



مختصر كتاب

شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم

تأليف

أبى سعيد عبد الملك بن محمد النيسابورى الخركوشى

المتوفى (٤٠٦ هـ)

اختصار وتقديم

حمدى عبد المجيد

الجزء الثانى



مختصر كتاب

شرف المصطفى

(الجزء الثانى)

الخركوشى، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم
النيسابورى، ..... ـ ١٠١٦.
مختصر كتاب شرف المصطفى/ الحافظ
الخركوشى النيسابورى: اختصار وتقديم: حمدى
عبد المجيد. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ٢٠١٥.
٣٩٢ص مج ٢؛ ٢٤ سم.
تدمك ٦ ٠٥٥٣ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ السيرة النبوية.
أ ـ عبد المجيد، حمدى. (مختصر ومقدم)
ب ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٢٧٦٧/ ٢٠١٥
I. S. B. N 978 - 977 - 91 -0553 - 6
ديوى ٢٢٩

مختصر كتاب

شرف المصطفى

الإمام الحافظ

الخركوشي النيسابوري

(المتوفى سنة ٤٠٦هـ)

اختصار وتقديم

حمدي عبد المجيد

(الجزء الثانى)



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٥

المختصرات التراثية

- الكتاب: مختصر كتاب شرف المصطفى جـ ٢
- تأليف : الإمام الخركوشى النيسابورى
- اختصار وتقديم : حمدى عبد المجيد
- طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
- الطبعة الأولى : ٢٠١٥ م

ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

www. egyptianbook. org.eg
E - mail : info@egyptianbook.org.eg

- الغلاف والإخراج الفنى : صبرى عبدالواحد

- يقع الكتاب الأصلى فى ٦ مجلدات.
وتم اختصاره إلى جزأين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

هناك في مدخل الكونجرس أهم هيئة دستورية في الولايات المتحدة الأمريكية جدارية تصف الرسول محمدًا (ﷺ) بأعظم المشرِّعين، هذه الجدارية قام بإبداعها الفنان أدولف واينمان عام ١٩٣٥م عندما كان تشارلز إيفانز هيوز السياسي والمحامي الأمريكي رئيسًا للمحكمة الدستورية العليا، وهي الهيئة التي كرمت الرسول (ﷺ) وبالجدارية مجموعة من الأشخاص متجاورون ومثبتة على يمين غرفة القضاة في الجدار الشمالي لمقر المحكمة الدستورية العليا وحسب خيال واينمان يقف رسولنا الكريم (ﷺ) يحمل بيساره نسخة من المصحف وبيمينه السيف كرمز للقوة والعدالة والشرائع وأسفل هذه الجدارية اعتراف من أهم هيئة دستورية للأمريكيين بأن النبي محمدًا (ﷺ) واحد من أعظم المشرعين في العالم وأن القرآن يوفر المصدر الأساسي للشريعة، وأن النبي محمدًا (ﷺ) قام بشرح وتعليم وتعزيز أحكام القرآن.

هكذا ظنوا أنهم كرَّموه!! نعم، فهم لم يعرفوه حق المعرفة وإلا لقاموا بأكثر من ذلك وأنَّى لهم وأتباع محمد (ﷺ) في سبات عميق، أشبه بغيبوبة كاملة هل يعود ذلك السبات وتلك الغيبوبة إلى أنهم لم يعرفوا قدر نبيهم، أو إلى الضعف والوهن الذي دَبَّ في عقولهم وأبدانهم فلم يروا المكانة الحقيقية والمنزلة اللائقة التي يجب أن تنزلها الدنيا لأعظم مخلوق وأشرف مبعوث من العناية الإلهية لإنقاذ البشرية، فمحمد (ﷺ) ملك للبشرية جمعاء وليس للعرب فقط، وشرائعه من أجل كل الكائنات؛ لذا وجدنا بعض الهيئات

العالمية مثل الأمم المتحدة تدَّعي كذبًا أنها صاحبة الإعلانات العالمية لحقوق المرأة والإنسان والطفل، تُرى ألهم العذر في ذلك، أم يغضون الطرف من أجل مصالحهم، لكن شمس الحقيقة تقول على لسان العقاد في عبقريته:

«إن محمدًا عظيم في كل ميزان، عظيم في ميزان الدين، وعظيم في ميزان العلم، وعظيم في ميزان الشعور، وعظيم عند من يختلفون في العقائد ولا يسعهم أن يختلفوا في الطبائع الآدمية إلا أن يرين العنت على الطبائع فتنحرف عن السواء وهي خاسرة بانحرافها، إن التعظيم حق لعبقرية محمد فهو الذي رجح بميزانها وميزان العمل وميزان العقيدة؛ لذا فهو نبي عظيم وبطل عظيم وإنسان عظيم»، ويستمر العقاد: محمد في نفسه عظيم بالغ العظمة، وفاقًا لكل مقياس صحيح يقاس به العظيم عند بني الإنسان في عصور الحضارة فما مكان هذه العظمة في التاريخ؟ وما مكانها في العالم وأحداثه الباقية على مر العصور؟ مكانها في التاريخ أن التاريخ كله بعد محمد متصل به مرهون بعمله»؛ لذا يقول المؤرخ فيليب حتَّى: لم يسجل التاريخ أن رجلاً واحدًا سوى محمد كان صاحب رسالة وباني أمة ومؤسس دولة وهذه الثلاثة التي قام بها محمد كانت وحدة متلاحمة وكان الدين هو القوة التي توحدها على مر التاريخ[1].

ونسى فيليب حتَّى أن نبينا (ﷺ) أسس حضارة دعائمها الأخلاق الكريمة والعلم والسلام والأمن، وضعوا رسمًا له على جدارية واعتبروه تكريمًا!! تراهم يعرفون أن الله قربه إليه ليلة الإسراء: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ (النجم: ٩) حبًا وتكريمًا، فكان التكريم الذي لا بعد له ولا قبل له؛ لأن الله يعرف قدره ومكانته أما أتباعه فيا للأسف، الذين يحتاجون شفاعته، والذي ادَّخر

(١) مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي، ٨/٢١٤.

دعوته لهم حبًا فيهم، لا يقومون به أمام العالم، ثم يدَّعون بعد ذلك حبَّه، هيهات هيهات، عموا وصموا أم تعاموا وتصامُّوا، يقول المهاتما غاندي في حوار مع صحيفة يونج إنديا: لقد أصبحت مقتنعًا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود وتفانيه - إخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وفي هذا الجزء سنقرأ أعظم كلمات الوفاء لأصحابه وسنرى أروع الصور التي لم تعرف البشرية مثيلاً لها - وبالطبع لن ترى - حيث التفوا حوله أفذاذًا يدينون له بالإجلال والمحبة وهم يعرفون كيف كرمه الله وشرفه وأجله على كل الأنبياء وأعطاه كل معجزاتهم، بل وزاده ولم لا آخرهم بعثًا وأعظمهم مكانة؛ لأن الإله يعرف من هو محمد!

فاق النبيين في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ولم يدانوه في علم ولا كرم

أما نحن فنقولها بكل صراحة وإلا فما هو الدليل على أننا نعرف قدر نبينا (ﷺ) الأولون من الصحابة أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وخالد ابن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح والمقداد بن عمرو هؤلاء نوع من الطراز الذي يؤكد أن كل واحد منهم أمة في رجل أو رجل في أمة أو مؤسس لدولة اعتزوا بالهادي الصادق الأمين.

دعا إلى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم

وذاقوا حلاوة صداقته والتي كانت مقياسًا للعظمة الإنسانية لم يتحقق لعظيم من عظماء بني الإنسان؛ فالصداقة العالية أكبر برهان من براهين العظمة المحمدية في صورتها الإنسانية مع صورتها النفسية الإلهية.

وينطق بكلمة حق العلامة سرنستن الأسوجي، المستشرق حين يقول:

إننا لم ننصف محمدًا إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا؛ فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية مصرًا على مبدئه وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين فأصبحت شريعته أكمل الشرائع وهو فوق عظماء التاريخ.

هكذا نظرة عقلاء الدنيا لنبينا (ﷺ) نظرة إجلال وتقدير وفهم، بل نجد عميد كلية الحقوق بفيينا العلامة د. شيريل يقول:

إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمته[1].

ويتساءل المفكر الفرنسي لامارتين: بكل مقاييس العظمة البشرية أود أن أتساءل: هل هناك أعظم من النبي محمد (ﷺ)[2].

كيف ألقاك يا حبيبي يوم القيامة؟ وبأي وجه؟ كيف أطلب منك الشفاعة وأنا لم أقدمك للعالم ليعرف قدرك؟ كيف وأنت أغلى من الروح والنفس والمال والولد والأهل.

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم

ولكننا في هذا الكتاب نقدم تشريف الإله لحبيبه وحب النبي لأصحابه في سيمفونية معزوفة على أوتار الصدق وأنغام الإخلاص والوفاء، في سيمفونية تحتاج إليها البشرية لتواصل مسيرها في طريق الزمن بكل قوة وبقيت كلمة:

---

(١) كتاب هذا ديننا، محمد الغزالي.

(٢) كتاب تاريخ تركيا «لامارتين» ١٨٥٤، ج٢، ص٢٧٧.

ماذا ندرك من عظمة «محمد» إلا بمقدار ما تدرك الأبصار من ضوء الشمس التي تفيد الإنسانية نورًا وحرارة وطاقة، تمدهم بسر الحياة وشرط البقاء، أما سر العظمة في الشمس فهو فوق متناول الأيدي والعيون وفوق حدود الأخيلة والظنون، الكلمات ثكلى وقاصرة على أن تحيط بمن أوتي جوامع الكلم ونردد مع الكونت كاتياني قوله:

أليس الرسول جديرًا بأن تقدم للعالم سيرته حتى لا يطمسها الحاقدون عليه وعلى دعوته التي جاء بها لينشر في العالم الحب والسلامة؟[1]

بلى يا كونت كاتياني، ولكن أمة محمد تعدت المليار نفس وهي عنه منشغلة - ولكن الإله يعصمه - عجزت عن تقديمه للعالم رغم ثرواتها الضائعة في ما لا يفيد - تناسته (ﷺ) رغم أنه لم ينسها حتى يوم القيامة حبًا ووفاءً له، وهذه همسة لكل ما بأيدينا من طاقات، قدرات فلننصره بأن يكون كل مِنَّا محمدًا في كل شيء، فلنعش سنته، ولنحيا مع هذا الكتاب بأرواحنا ونفوسنا ... ولكن:

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ... قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

حمدي عبد المجيد



(١) تاريخ الإسلام، كاتياني.

فصل: في آيات إخباره (ﷺ) بما أطلعه عليه من المغيَّبات والكوائن وما يقع في نفوس المنافقين وغيرهم من الصحابة وما في ذلك من الدلائل

١- فمن ذلك: أن من كان بحضرته من المنافقين كانوا لا يكونون في شيء من ذكره، ولا يفيضون في غيبته إلا أطلعه الله عليه، وبينه (ﷺ) لهم، حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه: اسكت فوالله لو لم يكن عندنا إلا الحجارة لأخبرته حجارة الأبطح، لم يكن ذلك منه (ﷺ) ولا منهم مرة واحدة ولا مئة مرة، وقد كان يخبرهم (ﷺ) بما قالوا على لفظهم وينبئهم بما في ضمائرهم، ولما ضوعف عليهم في الآيات ازدادوا عمى وإدبارًا وضلالة.

وحديث ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال: كان رسول الله (ﷺ) في ظل حجرة، وقد كاد الظل أن يتقلص، فقال رسول الله (ﷺ): إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعين شيطان، فإذا جاءكم فلا تكلموه، فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق أعور، فقال حين رآه رسول الله (ﷺ): على ما تشتمني أنت وأصحابك؟ فقال: ذرني آتيك بهم، فانطلق فدعاهم، فحلفوا ما قالوا وما فعلوا حتى يخون، فأنزل الله (عز وجل): ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ (المجادلة: ١٨) ومن حديث حذيفة قال: كنت آخذًا بخطام ناقة رسول الله (ﷺ) أقود به وعمار يسوقه- أو قال: أنا أسوقه وعمار يقوده-، حتى إذا كنا بالعقبة إذا أنا باثني عشر راكبًا قد اعترضوه فيها، قال: فأنبهت رسول الله (ﷺ) بهم، فصرخ بهم فولوا مدبرين، فقال لنا رسول الله (ﷺ): هل عرفتم القوم؟ قلنا: لا يا رسول الله، كانوا متلثمين ولكنا قد عرفنا الركاب قال (ﷺ): هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة، هل تدرون ما أرادوا؟ قلنا: لا، قال (ﷺ): أرادوا أن يزحموا رسول الله (ﷺ) في العقبة فيلقوه منها، قلنا: يا رسول الله، أو لا

تبعث إلى عشائرهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم؟ قال (ﷺ): لا، أكره أن تحدث العرب بينها: أن محمدًا قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم، ثم قال (ﷺ): اللهم ارمهم بالدبيلة، قلنا: يا رسول الله وما الدبيلة؟ قال (ﷺ): شهاب من نار يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك.

٢- ومنها: أنه لما أتى يهود بني النضير واندس رجل يريد أن يطرح عليه صخرة وكان (ﷺ) قاعدًا في ظل أطم، فنبأه الله (عز وجل) بما أضمروا له، فقام راجعًا إلى المدينة، ورد الله كيد عدوه عنه، وقتله بعض أقربائه، ونفله رسول الله (ﷺ) ماله.

٣- ومنها: أمر سحر اليهود له (ﷺ) فأخبره الله تعالى حتى استخرج ذلك علي (رضي الله عنه) بأمر رسول الله (ﷺ) فكان كلما حل عقدة ظهر البرء على رسول الله (ﷺ) حتى كأنه أطلق من عقال.

وعن ابن عباس: أن الذي استخرجه عمار بن ياسر، وفيها قال: مرض رسول الله (ﷺ) مرضًا شديدًا، فأتاه ملكان فقعدا، أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما ترى؟ قال: طب، قال: وما طبه؟ قال: سحر، قال: وما سحره؟ قال: لبيد بن أعصم يهودي، قال: أين هو؟ قال: في بئر آل فلان، تحت صخرة في ركية، فأتوا الركي فانزحوا ماءها، وارفعوا الصخرة، ثم خذوا الكرية فأحرقوها، فلما أصبح رسول الله (ﷺ) بعث عمار بن ياسر في نفر فأتوا الركي فإذا ماؤها مثل ماء الحناء، فنزحوا الماء، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الكرية فأحرقوها، فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة، فأنزلت هاتان السورتان فجعل كلما قرأ آية انحلت عقده ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ قال الحافظ البيهقي: الاعتماد على الأول، أي على ما في الصحيحين من حديث عاشة: أن النبي

(ﷺ) أتى البئر، ثم رجع إليها فقال: والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكن نخلها رؤوس الشياطين، قالت: فقلت له يا رسول الله هلا أخرجته؟ قال (ﷺ): أما أنا فقد شفاني الله، وكرهت أن أثير على الناس منه شرًا.

ومن حديث عمرو بن عوف قال: خرجت لنا من الخندق صخرة بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا فشكونا إلى رسول الله (ﷺ) فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعتها وبرقت منها برقة أضاء ما بين لابتي المدينة، حتى لكأن مصباحًا في جوف ليل مظلم، فكبر رسول الله (ﷺ) ثم ضربها الثانية فصدعها وبرق منها برقة أضاء ما بين لابتيها فكبر، ثم ضربها الثالثة، وبرق منها برقة أضاء ما بين لابتيها فكبر، فقلنا: يا رسول الله، قد رأيناك تضرب فيخرج منها برق كالموج ورأيناك تكبر؟! فقال (ﷺ): أضاء لي في الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، فأخبرنَي جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، وأضاء لي في الثانية قصور الحمر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، وأضاء في الثالثة قصور صنعاء، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا بالنصر، فقال المنافقون: يخبركم محمد أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم، وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا؟! فنزل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الأحزاب: ١٢).

وأما حديث أنس بن مالك:

قال: ضرب النبي (ﷺ) يوم الخندق بمعوله ضربة فبرقت برقة فخرج نور من قبل اليمن، ثم ضرب أخرى فخرج نور من قبل فارس، ثم ضرب أخرى فخرج نور من قبل الروم، فعجب سلمان من ذلك، فقال رسول الله (ﷺ): أرأيت؟ قلت:

نعم، قال: لقد أضاءت لي المدائن وإن الله بشرني في مقامي هذا بفتح اليمن والروم والفرس.

وأما حديث سلمان الفارسي:

قال: ضربت في ناحية من الخندق فعطف عليّ رسول الله (ﷺ) وهو قريب مني فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان عليّ، نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة فلمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى، ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى، قلت: يا رسول الله (ﷺ): ما هذا الذي رأيت يلمع؟ قال (ﷺ): أما الأولى فإن الله فتح عليّ به اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق.

فحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول في زمن عمر وزمن عثمان وما بعده: افتتحوا ما بدا لكم فوالذي نفسي بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا والله تعالى قد أعطى محمدًا مفاتيحها.

أما حديث البراء بن عازب قال: عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ فيها المعاول، فشكونا ذلك إلى النبي (ﷺ) فلما رآها أخذ المعول وقال: بسم الله، وضرب ضربة فكسر ثلثها، فقال (ﷺ): الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر إلى قصورها الحمراء، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثًا آخر، فقال (ﷺ): الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة فقطع الحجر فقال: (ﷺ): الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة.

٤- ومن ذلك أنه كتب إلى قيصر وكسرى كتابين دعاهما فيهما إلى الإسلام وبدأ بنفسه.

أما قوله: أنه كتب إلى قيصر، عظيم الروم هرقل، القصة في الصحيحين من حديث ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: حدثني أبو سفيان من فيه إلى فيّ قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله (ﷺ) قال: فبينا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من النبي (ﷺ) إلى هرقل، قال: وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل، قال: فقال هرقل: هل هنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

فقالوا: نعم، قال: فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نسبًا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان، فقلت: أنا، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا بترجمانه، فقال: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي فإن كذبني، فكذبوه.

قال أبو سفيان: وايم الله لولا أن يؤثروا عليّ الكذب لكذبت، ثم قال هرقل لترجمانه: سله: كيف حسبه فيكم؟ قال أبو سفيان، قلت: هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قال: قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت: بل ضعفاؤهم، قال: يزيدون أو ينقصون؟ قال: قلت: لا، بل يزيدون، قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ قال: قلت: لا، قال: فهل قاتلتموه؟ قال: قلت: نعم، قال: فكيف قتالكم إياه؟ قال: قلت: تكون الحرب بيننا سجالاً يصيب منا ونصيب منه، قال: فهل يغدر؟ قال: قلت: لا، ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما هو صانع فيها، قال: والله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت: لا.

ثم قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه فيكم، فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك: هل كان في آبائه ملك؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك آبائه، وسألتك عن أتباعه: أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم من أتباع الرسل، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله، وسألتك: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب، وسألتك: هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدن وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً، ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم الغلبة، وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك: هل قال أحد هذا القول قبله؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان قال هذا القول أحد قبله، قلت رجل ائتم بقول قيل قبله، قال: ثم قال: بم يأمركم؟ قال: قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف.

قال: إن يك ما تقول فيه حقًا فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أك أظنه منكم، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغن ملكه تحت قدمي..

قال: ثم دعا بكتاب رسول الله (ﷺ) فقرأه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم،

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ (آل عمران: ٦٤) إلى قوله تعالى: ﴿ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

قال: فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط، وأمر بنا فأخرجنا، قال: فقلت لأصحابي حين خرجنا لقد أمر أمر بن أبي كبشة، وإنه يخاف ملك بني الأصفر، فما زلت موقنًا بأمر رسول الله (ﷺ) أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام.

قال الزهري: فدعا هرقل عظماء الروم فجمعهم في دار لهم، فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد وأن يثبت لكم ملككم؟ قال: فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فقال: عليّ بهم فدعا بهم، فقال: إني إنما اختبرت شدتكم على دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحببت، فسجدوا له ورضوا عنه.

لفظ البخاري في التفسير، باب قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ (آل عمران: ٦٤) فوضع قيصر كتابه على الوسادة، وأجابه بجواب حسن وأكرم كتاب النبي (ﷺ) ووضعه في مسك، فقال النبي (ﷺ) ثبَّت الله ملكه، وأما كسرى فإنه مزق كتابه، وكتب إلى فيروز بن ديلم باليمن -وهو من بقية أصحاب سيف بن ذي يزن- يأمره بالمسير إلى النبي (ﷺ) وأخذه وقتله.

فقال (ﷺ): اللهم مزق ملكه، فمزق الله ملكه.

فقال: وسار إليه فيروز وأعلمه بما قد أمر به كسرى.

فقال النبي (ﷺ): إن ربي قد أعلمني أنه قتل البارحة، فراع فيروز وهاله، وكره الإقدام عليه لما رأى وسمع، فأتاه الخبر أن ابنه شيرويه وثب عليه في تلك الليلة بعينها فقتله.

قال: فأسلم فيروز لما رأى وسمع من النبأ اليقين، وصار إلى اليمن، ودعا من باليمن من أبناء الفرس إلى الإسلام فأسلموا فلما خرج العنسي الكذاب باليمن بعد رسول الله (ﷺ) تآمر هو وقيس بن مكشوح على قتله، فدخل عليه فيروز وهو نائم، فلوى عنقه فدقها.

٥- **ومنها:** قوله (ﷺ) للأنصار: إنكم سترون بعدي أثرة، فلما وُلِّي عليهم معاوية منع عنهم عطاياهم، فقدم عليهم فلم يتلقَّوه، فقال: ما الذي منعكم أن تلقوني؟ قالوا: لم يكن لنا ظهور نركبها، فقال لهم: أين كانت نواضحكم؟ فقال أبو قتادة: عقرناها يوم بدر في طلب أبيك، ثم رووا له الحديث.

فقال لهم: وما قال لكم رسول الله (ﷺ)؟ فقالوا: قال لنا، اصبروا حتى تلقوني، فقال: فاصبروا إذن.

فقال في ذلك حسان بن ثابت:

ألا أبلغ معاوية بن صخر   أمير المؤمنين نبأ كلامي

فإنا صابرون ومنتظروكم   إلى يوم التغابن والخصام

٦- **ومنها:** قوله (ﷺ) لعثمان بن عفان (رضي الله عنه): إن الله مقمصك قميصًا، وإنهم حاملوك على خلعه، فلا تفعل، فلما حوصر عثمان قالوا له: اخلع الخلافة، قال لهم: إن النبي (ﷺ) قال لي كذا كذا، ولست فاعلاً ما تقولون، فقتل وعن عائشة قالت: قال رسول الله (ﷺ) -يعني في مرضه-: لو كان عندنا رجل يحدثنا؟ فقلت: يا رسول الله ألا أبعث إلى أبي بكر؟ فسكت،

ثم قال: لو كان عندنا رجل يحدثنا؟ فقالت حفصة: ألا أرسل لك إلى عمر؟ فسكت، ثم قال: لا ثم دعا رجلاً فسارَّه بشيء فما كان إلا أن أقبل عثمان، فأقبل عليه بوجهه وحديثه فسمعته يقول له: يا عثمان إن الله (عَزَّوَجَلَّ) لعله أن يقمصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه، ثلاث مرار، قال: فقلت: يا أم المؤمنين فأين كنت عن هذا الحديث؟ فقالت: يا بني أنسيته، والله لقد أنسيته حتى ما ظننت أني سمعته.

ومنها: قوله (ﷺ) حين صعد هو وأبو بكر وعمر وعثمان جبل حراء: ما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان فكان كما قال وصعد معهم أيضًا: علي وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد والزبير فتحركت بهم الصخرة، فقال رسول الله (ﷺ) اهدأ– أو: اثبت، أو اسكن –حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد.

ومنها: قوله (ﷺ) للزبير: إنك ستقاتل عليًا، وأنت له ظالم، ففعل، وقرعه عليّ بذلك يومئذ، فرجع عنه وترك القتال لما ذكره بذلك.

ولما دنا عليّ وأصحابه من طلحة والزبير، ودنت الصفوف بعضها من بعض خرج عليّ وهو على بغلة رسول الله (ﷺ) فنادى: ادعوا لي الزبير بن العوام فإني عليّ، فدعي له الزبير، فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما، فقال عليّ: يا زبير نشدتك بالله أتذكر يوم مرَّ بك رسول الله (ﷺ) ونحن في مكان كذا وكذا، فقال: يا زبير تحب عليًا؟ فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني، فقال: يا عليّ أتحبه؟ فقلت: يا رسول الله (ﷺ) ألا أحب ابن عمتي وعلى ديني، فقال (ﷺ): يا زبير لتقاتلنَّه وأنت له ظالم! قال: بلى والله، لقد نسيته منذ سمعته من قول رسول الله (ﷺ) ثم تذكرته الآن والله لا أقاتلك، فرجع.

ومنها: قوله (ﷺ) لعمار بن ياسر: إن آخر زادك في الدنيا شربة من لبن

ومن حديث أبي البختري: أن عمار بن ياسر أُتي بشربة لبن، فضحك، فقال: إن رسول الله (ﷺ) قال: إن آخر شراب أشربه لبن حتى أموت، بين الطبراني اسم الذي سقاه هو أبو المخارق، ثم نظر إلى لواء معاوية فقال: قاتلت صاحب هذه الراية مع رسول الله (ﷺ).

ومن حديث إبراهيم بن سعد، عن أبيه عن جده قال: سمعت عمار بن ياسر بصفين في اليوم الذي قتل فيه وهو ينادي: أزلفت الجنة، وزوجت الحور العين، اليوم نلقى حبيبنا محمدًا (ﷺ)، عهد إليّ أن آخر زادك من الدنيا ضيح من لبن.

ومن حديث حبة العرني قال: دخلنا مع أبي مسعود الأنصاري على حذيفة ابن اليمان أسأله عن الفتن فقال: دوروا مع كتاب الله حيثما دار، وانظروا الفئة التي فيها ابن سمية فاتبعوها فإنه يدور مع كتاب الله حيثما دار، قال فقلنا: ومن ابن سمية؟ قال: عمار، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية، تشرب شربة ضياح تكن آخر رزقك من الدنيا.

ومن حديث أبي عبيدة، عن لؤلؤة مولاة أم الحكم بنت عمار قالت: لما كان اليوم الذي قتل فيه عمار والراية يحملها هاشم بن عتبة.. ومع عمار ضيح من لبن فكان وجوب الشمس أن يفطر، فقال حين وجبت الشمس وشرب الضيح: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: آخر زادك من الدنيا ضيح من لبن، قال: ثم اقترب فقاتل حتى قتل وهو يومئذ ابن أربع وتسعين سنة.

ومن حديث أبي عبيدة، عن مولاة لعمار قالت: اشتكى عمار شكوى أرق منها فغشي عليه، فأفاق ونحن نبكي حوله فقال: ما تبكون أتخشون أن أموت على فراشي؟ أخبرني حبيبي (ﷺ) أنه تقتلني الفئة الباغية، وأن آخر أدمي من الدنيا مذقة من لبن.

ومنها: قوله (ﷺ): تقتلك الفئة الباغية.

ومنها: نعيه (ﷺ) إلى أصحابه قتل جعفر الطيار، وزيد بن حارثة، وعبد الله ابن رواحة يوم قتلوا وهم بالشام، وذلك أنه يوم أنفذهم قال (ﷺ): إن أصيب زيد فجعفر، وإن أصيب جعفر فعبد الله، وإن أصيب عبد الله فخالد بن الوليد.

فأصيبوا كلهم إلا خالد بن الوليد ونعاهم (ﷺ) إلى أصحابه ساعة أصيبوا، وجاء النعمان بن مهص اليهودي فوقف على رسول الله (ﷺ) مع الناس، فقال رسول الله (ﷺ): زيد بن حارثة أمير، فإن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل عبد الله بن رواحة، فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم، فقال النعمان: أبا القاسم إن كنت نبيًا، فسميت من سميت قليلاً أو كثيرًا أصيبوا جميعًا، إن الأنبياء من بني إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل على القوم فقالوا: إن أصيب فلان ففلان، فلو سموا مئة أصيبوا جميعًا، قال: ثم جعل اليهودي يقول لزيد: اعهد، فلن ترجع إلى محمد أبدًا، إن كان محمدًا نبيًا، قال زيد: فأشهد أنه نبي صادق بار (ﷺ).

وعن عبد الجبار بن عمارة بن غزية، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم قالا: لما التقى الناس بمؤتة جلس رسول الله (ﷺ) على المنبر، وكشف له ما بينه وبين الشام فهو ينظر إلى معتركهم، قال رسول الله (ﷺ): أخذ الراية زيد بن حارثة فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياة، وكره إليه الموت، وحبب إليه الدنيا فقال: الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين يحبب إليّ الدنيا؟! فمضى قدمًا حتى استشهد فصلى عليه رسول الله (ﷺ) وقال: استغفروا له، فقد دخل الجنة وهو يسعى، فلما قتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فجاءه الشيطان، فمناه الحياة وكره إليه الموت، ومناه الدنيا فقال: الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين، تمنيني الدنيا؟! ثم مضى قدمًا حتى استشهد، فصلى عليه رسول الله (ﷺ) ودعا له، وقال: استغفروا لأخيكم فإنه شهيد، دخل الجنة، فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من

الجنة.

قال: ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد، ثم دخل الجنة معترضًا، فشق ذلك على الأنصار، فقيل: يا رسول الله ما اعتراضه؟ قال: لما أصابته الجراح نكل فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد، فدخل الجنة فَسُرِّي عن قومه.

وقدم يعلى بن منبه بخبر أهل مؤتة فقال رسول الله (ﷺ): إن شئت فأخبرني، وإن شئت أخبرتك، قال: أخبرني يا رسول الله، قال: فأخبرهم رسول الله (ﷺ) خبرهم كله ووصفه لهم، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفًا لم تذكره، وإن أمرهم كما ذكرت، فقال رسول الله (ﷺ): إن الله تبارك وتعالى رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم.

ومن حديث عبد الله بن الحارث، عن أبيه في هذه القصة: أنه لما أخذ خالد ابن الوليد الراية قال رسول الله (ﷺ): الآن حمي الوطيس، قال: فحدثني العطاف بن خالد قال: لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد بن الوليد، فلما أصبح غدا وقد جعل مقدمته ساقته، وساقته مقدمته، وميمنته ميسرته، وميسرته ميمنته، فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم فقالوا: قد جاءهم المدد، فرعبوا فانكشفوا منهزمين فقتلوا مقتلة عظيمة.

وكان كل ذلك ببركة دعائه (ﷺ) وأن النبي (ﷺ) لما أخبرهم بأخذ خالد بن الوليد اللواء، قال: لم يكن من الأمراء، وهو أمر نفسه-، ثم قال (ﷺ): اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره، قال: فمن يومئذ سُمِّي خالد: سيف الله.

ومن حديث أنس: أن النبي (ﷺ) نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ الراية جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب -وعيناه تذرفان- حتى أخذ الراية سيف من سيوف

الله حتى فتح الله عليهم.

١٣- **ومنها:** قوله (ﷺ) لأُبيّ بن خلف -في فرس كان يعلفها بمكة: ليُقتلن عليها محمد (ﷺ) فقال (ﷺ): بل أنا أقتله إن شاء الله، فطعنه (ﷺ) يوم أحد فسقط يخور كما يخور الثور، فقيل له: إنما هي خدشة، فقال: والله لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لقتلهم، وكان والله توعدني بالقتل وأنا بمكة فقال: بل أنا أقتل أبيًا.

وعن ابن المسيب قال: لما أسر أبيّ بن خلف يوم بدر وافتدي من رسول الله (ﷺ) قال لرسول الله (ﷺ): إن عندي فرسًا أعلفه كل يوم فرق ذرة لعليّ أقتلك عليها، فقال رسول الله (ﷺ): بل أنا أقتلك عليها إن شاء الله، قال: فلما كان يوم أحد أقبل أبي بن خلف يركض فرسه تلك حتى دنا من رسول الله (ﷺ) فاعترض رجال من المسلمين له ليقتلوه، فقال لهم رسول الله (ﷺ): استأخروا استأخروا، فقام رسول الله (ﷺ) بحربة في يده فرمى بها أبيّ بن خلف فكسرت الحربة ضلعًا من أضلاعه فرجع إلى أصحابه ثقيلاً فاحتملوه، حتى ولوا به وطفقوا يقولون له: لا بأس بك، فقال لهم أبيّ: ألم يقل لي: بل أنا أقتلك إن شاء الله؟ فانطلق به أصحابه فمات ببعض الطريق فدفنوه، قال ابن المسيب: وفيه أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال: ١٧).

وعن عبد الله بن كعب بن مالك أخي بني سلمة: إن أول من عرف رسول الله (ﷺ) بعد الهزيمة وقول الناس: قتل رسول الله (ﷺ): كعب بن مالك، قال كعب: عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله (ﷺ) فأشار إليّ أن أنصت، فلما عرف المسلمون رسول الله (ﷺ) نهضوا به، ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر،

وعمر بن الخطاب، وعليّ بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، والحارث بن الصمة (رضي الله عنهم) أجمعين في رهط من المسلمين، قال: فلما أسند رسول الله في الشعب أدركه أبيّ بن خلف وهو يقول: أين محمد؟ أين محمد؟ لا نجوتُ إن نجوتَ، فقال القوم: أيعطف عليه يا رسول الله رجل منا فقال: دعوه فلما دنا، تناول رسول الله (ﷺ) الحربة من الحارث بن الصمة يقول بعض القوم فيما ذكر لي: فلما أخذها رسول الله (ﷺ) انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر من ظهر البعير إذا انتفض بها، ثم استقبله فطعنه بها طعنة تردّى بها عن فرسه مرارًا.

١٤- **ومنها:** كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بمسير رسول الله (ﷺ) إليهم، ودفع الكتاب إلى امرأة، فأطلع الله نبيّه (ﷺ) فبعث عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام فأدركاها فاستخرجاه من قرونها، فأتيا به رسول الله (ﷺ) فقال: يا حاطب أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: وما حملك على ذلك؟ قال: يا رسول الله أما والله إني ناصح لله ورسوله، ولكنني كنت غريبًا في أهل مكة، وكان أهلي بين أظهرهم فخشيت عليهم، فكتبت هذا الكتاب لأؤلف به قلوبهم، ولكي لا يؤذوا أهلي، قال: فاخترط عمر بن الخطاب سيفه ثم قال: يا رسول الله مكني منه أضرب عنقه فإنه قد كفر، فقال رسول الله (ﷺ): يا عمر، ما يدريك لعل الله اطلع على هذه العصابة من أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

أما قوله: «ولكي لا يؤذوا أهلي.. في رواية: أحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادًا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله (ﷺ): أما إنه قد صدقكم، وفي رواية: صدق فلا تقولوا له إلا خيرًا.

ومنها: قوله (ﷺ) لما مر بالحجر في غزوة تبوك ونزلها واستقى الناس من بئرها، فلما راحوا قال (ﷺ): لا تشربوا من مائها، ولا تتوضئوا منها للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه به فاعلفوه للإبل ولا تأكلوا منه شيئًا، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له، ففعل الناس ما أمرهم رسول الله (ﷺ) إلا رجلين من بني طيّ خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعير له، فأما الذي خرج لحاجته فإنه خنق على مذهبه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلى طي، فأُخبر بذلك رسول الله (ﷺ) فقال: ألم أنهكم أن يخرج أحد إلا ومعه صاحب له، ثم دعا للذي أصيب في مذهبه فشفي، وأما الآخر فإن طيًا أهدته لرسول الله (ﷺ) حين قدم المدينة.

ومنها: أن رسول الله (ﷺ) لما دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دومة الجندل وهو: أكيدر بن عبد الملك رجل من كندة، وكان ملكًا عليها، وكان نصرانيًا -قال رسول الله (ﷺ): إنك ستجده يصيد البقر، فخرج خالد، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته، فأتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا، والله، قالت: فمن يترك هذا الصيد؟ قال: لا أحد، فنزل، فأمر بفرسه فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له: حسان، فركب وخرجوا معه بمطاردهم، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله (ﷺ) فأخذته، وقتلوا أخاه حسانًا وكان عليه قباء ديباج مخوض بالذهب فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله (ﷺ) قبل قدومه عليه.

ثم إن خالدًا قدم بالأكيدر إلى رسول الله (ﷺ) فحقن دمه، وصالحه على الجزية، ثم خلّى سبيله، فرجع إلى قريته.

وكان المسلمون يذكرون قول رسول الله (ﷺ) لخالد: إنك ستجده يصيد

البقر، وما صنع البقر تلك الليلة حتى استخرجه لقول رسول الله (ﷺ).

١٧- **ومنها:** ما رُوي عن سهل بن سعد أنه قيل لرسول الله (ﷺ) يوم أحد: ما رأينا مثل ما أبلى فلان، لقد فر الناس وما فر، وما ترك للمشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، قال: من هو؟ قال: فنسب له فلم يعرفه، ثم وصف له صفته فلم يعرفه، حتى إذا طلع الرجل بنفسه، قالوا: هذا يا رسول الله الذي أخبرناك عنه، فقال (ﷺ): هو هذا؟ قالوا: نعم فقال (ﷺ): أما أنه من أهل النار، قال: فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا: فأينا من أهل الجنة إذا كان فلان من أهل النار؟! فقال رجل من القوم، وكان أمثلهم: يا قوم أنظروني، فوالذي نفسي بيده لا يموت على مثل الذي أصبح عليه، ولأكونن صاحبه من بينكم.

قال: فكان يميل خلفه في العدو، فجعل يشد معه إذا شد، ويرجع معه إذا رجع، فينظر ما يصير إليه أمره، حتى إذا أصابه جرح أذلقه، فاستعجل الموت فوضع قائمة سيفه على الأرض، وذبابته بين ثدييه ثم تحامل على سيفه حتى خرج من ظهره، وخرج الرجل يعدو ويقول:

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، حتى وقف بين يدي رسول الله (ﷺ) فأخبره بما صنع، فقال رسول الله (ﷺ): إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه لمن أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه لمن أهل الجنة.

١٨- عن ثوبان مولى رسول الله (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): زويت لي الأرض، فأريت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها، فكان كذلك.

١٩- ومن ذلك أنه (ﷺ) وعدهم كنوز كسرى، وقوله: وعدهم كنوز

كسرى، فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ)، قال: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده، لتنفقن كنوزهما في سبيل الله.

٢٠- وقال (ﷺ) لسراقة بن مالك بن جعشم: كأني بك وقد تسورت بسواري كسرى، فألبسه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

وقوله: وكأني بك وقد تسورت بسواري كسرى».

عن الحسن أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أتى بفروة كسرى فوضعت بين يديه وفي القوم سراقة بن مالك بن جعشم، قال: فألقى إليه سواري كسرى ابن هرمز فجعلهما في يديه، فبلغ منكبيه، فلما رآهما في يدي سراقة قال: الحمد لله -سوارا كسرى بن هرمز في يد سراقة بن مالك بن جعشم، أعرابي من بني مدلج.

قال الشافعي: وإنما لبسهما سراقة لأن النبي (ﷺ) قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه: كأني بك قد لبست سواري كسرى، وقال الشافعي: وقال عمر (رضي الله عنه) حين أعطاه سواري كسرى: البسهما، ففعل، فقال: قل الله أكبر، قال: الله أكبر، قال: قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن جعشم أعرابيًا من بني مدلج.

وعن أبي موسى عن الحسن أن رسول الله (ﷺ) قال لسراقة: كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟ قال: فلما أُتي عمر بسواري كسرى دعا سراقة فألبسه، وقال: قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة الأعرابي.

٢١- وقال لعبد الله بن عمر: كيف بك إذا دفعت من حصن خيبر، فكان

كذلك، دفعته اليهود فانكسرت يده.

وقوله: «قال لعبد الله بن عمر» من حديث نافع عن ابن عمر قال: لما فدع أهل خيبر عبد الله بن عمر قام عمر خطيبًا فقال:

إن رسول الله (ﷺ) عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال (ﷺ): نقرّكم ما أقرّكم الله، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعدى عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدونا وتهمتنا، وقد رأيت إجلاءهم، فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني أبي الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين: أتخرجنا وقد أقرّنا محمد (ﷺ) وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر: أظننت أني نسيت قول رسول الله (ﷺ).. كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة؟ فقال: كان ذلك هزيلة من أبي القاسم فقال: كذبت عدوّ الله، فأجلاهم عمر، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضًا من أقتاب وحبال وغير ذلك.

٢٢- وقال أبو بكر (رضي الله عنه) للمهاجرين والأنصار الذين وجههم إلى قتال مسيلمة وأهل الردة: إن رسول الله (ﷺ) قد وعد المسلمين الفتح، وأن يظهر دينه على كل دين، وأن يستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وإن الله متم نوره، ومصدق وعده، ولكن أخوف ما أخاف عليكم أن يصرفهم الله إلى غيرنا لتقصير يكون منا، فجدوا وبادروا لتحوزوا.

٢٣- ومن ذلك: أنه (ﷺ) بعث رجلاً إلى أبي بكر (رضي الله عنه) فقال: إنك ستجده في داره محتبيًا، فكان كذلك.

وقال لرجل بعثه إلى عمر: إنك ستجده راكبًا تلوح صلعته، فوجدوه كذلك.

قوله: «بعث رجلاً إلى أبي بكر»:

من حديث زيد بن أرقم قال: بعثني رسول الله (ﷺ) فقال: انطلق حتى تأتي أبا بكر فتجده في داره جالسًا محتبيًا، فقل: إنَّ النبي (ﷺ) يقرأ عليك السلام ويقول: أبشر بالجنة، ثم انطلق حتى تأتي الثنية فتلقى عمر راكبًا على حمار تلوح صلعته فقل: إن النبي (ﷺ) يقرأ عليك السلام ويقول: أبشر بالجنة، ثم انصرف حتى تأتي عثمان فتجده في السوق يبيع ويبتاع فقل: إن النبي (ﷺ) يقرأ عليك السلام ويقول: أبشر بالجنة بعد بلاء شديد... الحديث بطوله.

أخرجه البيهقي في الدلائل شاهدًا لما أخرجه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري قال: توضأت في بيتي ثم خرجت فقلت: لأكونن اليوم مع رسول الله (ﷺ)، فجئت المسجد فسألت عن النبي (ﷺ) فقالوا: خرج وتوجه ها هنا، فخرجت في أثره حتى جئت بئر أريس وبابها من جريد، فمكثت عند بابها حتى ظننت أن النبي (ﷺ) قد قضى حاجته وجلس، فجئته فسلمت عليه وإذا هو قد جلس على قف بئر أريس فتوسطه ثم دلّى رجليه في البئر وكشف عن ساقيه، فرجعت إلى الباب فقلت: لأكونن بواب رسول الله (ﷺ) اليوم، فلم أنشب أن دق الباب، فقلت: من هذا؟ قال: أبو بكر، قلت: على رسلك، وذهبت إلى رسول الله (ﷺ) فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال: أئذن له وبشره بالجنة... الحديث بطوله.

٢٤- ومن ذلك: أنه (ﷺ) قال لأصحابه في سفر له: تهجمون على رجل في هذا الوادي معتجرًا ببرد أحمر من أهل الجنة، يبايع الناس، فهبطوا إلى الوادي فإذا الرجل على الصفة التي وصفها لهم رسول الله (ﷺ)، وإذا هو عثمان بن عفان.

٢٥- وعن أسماء بنت يزيد (رضي الله عنها) قالت: خرج نبي الله (ﷺ) فإذا هو بأبي ذر نائمًا في المسجد، فضربه برجله، قال: فقام، فقال: يا أبا ذر كيف أنت إذا

أخرجت منه؟ قال: إذًا أرجع إلى هذا، قال: فإن منعوك؟ قال: أقاتلهم بسيفي حتى ألقاك، قال: لا تفعل، ولكن انقد لهم حيث قادوك، وانسق لهم حيث ساقوك حتى تلقاني.

قوله: «وعن أسماء بنت يزيد»: قالت: إن أبا ذر كان يخدم النبي (ﷺ)، فإذا فرغ من خدمته آوى إلى المسجد فكان هو بيته يضطجع فيه، قالت: فدخل رسول الله (ﷺ) المسجد ليلة فوجد أبا ذر نائمًا منجدلاً في المسجد، فنكته رسول الله (ﷺ) برجله حتى استوى جالسًا، فقال له رسول الله (ﷺ): ألا أراك نائمًا؟ قال أبو ذر: يا رسول الله فأين أنام، هل لي من بيت غيره، فجلس رسول الله (ﷺ) فقال له: كيف أنت إذا أخرجوك منه؟ قال: إذًا ألحق بالشام، فإن الشام أرض الهجرة وأرض المحشر وأرض الأنبياء فأكون رجلاً من أهلها، قال له: كيف أنت إذا أخرجوك من الشام؟ قال: إذًا أرجع إليه فيكون هو بيتي، قال له: كيف أنت إذا أخرجوك منه الثانية؟ قال: إذًا آخذ سيفي فأقاتل عني حتى أموت، قال: فكشر إليه رسول الله (ﷺ) فأثبته بيده قال: أدلك على خير من ذلك؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي يا نبي الله، قال رسول الله (ﷺ): تنقاد لهم حيث قادوك، وتنساق لهم حيث ساقوك حتى تلقاني وأنت على ذلك.

٢٦- ومنها: ما روي عن عقبة بن عامر الجهني قال: كنت في خدمة رسول الله (ﷺ) فجاء نفر من اليهود فقالوا: استأذن لنا على رسول الله (ﷺ)، فأخبرته.

فدخلوا فقالوا: أخبرنا عما جئنا نسألك عنه.

قال: جئتم تسألونني عن ذي القرنين، قالوا: نعم، قال: كان غلامًا من أهل الروم، ناصح لله (عز وجل) فأحبه الله، وملك الأرض، وسار حتى أتى مغرب الشمس، ثم سار إلى مطلعها، ثم سار إلى جبل يأجوج ومأجوج فبنى السد فيها.

قالوا: نشهد أن هذا شأنه، وإنه لفي التوراة.

٢٧- **ومن ذلك:** ما روى سفينة أن رسول الله (ﷺ) قال: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء.

٢٨- **ومنه:** قوله (ﷺ): اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر.

٢٩- **وقوله** (ﷺ): إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا.

قال أبو سعد - صاحب هذا الكتاب -: فأعلمنا (ﷺ) بهذا أن الخليفة بعده أبو بكر وعمر.

٣٠- وقال أبو بكر الصديق رضوان الله عليه: يا رسول الله رأيت كأن في صدري رقمتين وعليّ حبرة، فقال (ﷺ): صدقت رؤياك، يولد لك غلام تحبر به، وتلي بعدي سنتين.

وعن الحسن قال: قال أبو بكر: يا رسول الله ما أزال أراني أطأ في عذرات الناس، قال: لتكونن من الناس بسبيل، قال: ورأيت في صدري كالرقمتين، قال: سنتين، قال: ورأيت عليّ حلة حبرة، قال: ولد تحبر به، قال أبو سعد (رحمه الله): لم يقل النبي (ﷺ) كما يقول المعبرون: لئن صدقت رؤياك، بل قال: صدقت رؤياك، حتمًا منه، فوجد الأمر كذلك.

٣١- وروي عن محمد بن علي قال: أقبل جيران أم أيمن إلى رسول الله (ﷺ) فقالوا: يا رسول الله، إن أم أيمن لم تنم البارحة من البكاء، لم تزل تبكي حتى أصبحت.

قال: فبعث رسول الله (ﷺ) إلى أم أيمن فجاءته (ﷺ) فقال: يا أم أيمن لا أبكى الله عينيك، إن جيرانك أتوني فأخبروني أنك لم تنمي الليل أجمع، فلا أبكي الله عينيك، ما الذي أبكاك؟

قالت: يا رسول الله، رأيت رؤيا عظيمة شديدة، فلم أزل أبكي الليل أجمع، فقال لها رسول الله (ﷺ): فقصيها عليّ، فإن الله ورسوله أعلم بذلك، فقالت: يعظم عليّ أن أتكلم بها، فقال (ﷺ) لها: إن الرؤيا ليست على ما ترين، فقصيها على رسول الله، قالت: إني رأيت في ليلتي هذه كأن بعض أعضائك ملقى في بيتي.

فقال لها رسول الله (ﷺ): نامت عينك يا أم أيمن، تلد فاطمة الحسين فترينه وتلين بعض أعضائي في بيتك.

فلما ولدت فاطمة الحسين (رضي الله عنه) وكان اليوم السابع، أمر رسول الله (ﷺ) فحلق رأسه، وتصدق بوزن شعره فضة، وعق عنه، ثم هيأته أم أيمن، ولفته في برد رسول الله (ﷺ) ثم أقبلت به إلى رسول الله (ﷺ) فقال (ﷺ) مرحبًا بالحامل والمحمول، هذا تأويل رؤياك.

٣٢- **ومن ذلك:** قوله (ﷺ) لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه): أشقى الناس عاقر الناقة، والذي يخضب هذه من هذه، يعني: الذي يضرب رأسك فيخضب لحيتك من دم رأسك، فضرب على رأسه (رضي الله عنه) حتى قتل.

ومن حديث أبي سنان الدؤلي: أنه عاد عليًا (رضي الله عنه) في شكوى له شكاها قال: فقلت له: لقد تخوفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكواك هذه، فقال: لكني والله ما تخوفت على نفسي منه؛ لأني سمعت رسول الله (ﷺ) الصادق المصدوق يقول: إنك ستُضرب ضربة ها هنا، وضربة ها هنا -وأشار إلى صدغيه- فيسيل منها دمها حتى تختضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود.

ومن حديث ثعلبة بن يزيد الحماني، قال: سمعت علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يقول: قال رسول الله (ﷺ): من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار

وأشهد أنه كان مما يشير إليّ رسول الله (ﷺ) لتخضبن هذه وهذه يعني لحيته من رأسه.

وأما حديث عمار، عن محمد بن خيثم أبي زيد عنه قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة ذات العشيرة، فلما نزلها رسول الله (ﷺ) وأقام بها ناسًا من بني مدلج يعملون في عين لهم وفيه: أي في الحديث قال رسول الله (ﷺ): ألا أحدثكما بأشقى الناس: رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا عليّ على هذه يعني: قرنه حتى تبل منه هذه -يعني لحيته-.

وعن جابر بن سمرة: أن النبي (ﷺ) قال لعلي: إنك مؤمر مستخلف، وإنك مقتول، وهذه مخضوبة من هذا -يعني: لحيته من رأسه.

وعن عليّ (رضي الله عنه) قال: أتاني عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلي في الغرز وأنا أريد العراق فقال: لا تأت العراق، فإنك إن أتيته أصابك به ذباب السيف، فقال عليّ: وايم الله لقد قالها لي رسول الله (ﷺ) قبلك، قال أبو الأسود: فقلت في نفسي: يا الله يا الله، ما رأيت كاليوم رجلاً محاربًا يحدث الناس بمثل هذا.

٣٣- **ومن ذلك:** قوله (ﷺ) في الحسن بن علي (رضي الله عنه): أنه سيد، وإن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك.

٣٤- **ومن ذلك:** أنه (ﷺ) حين خرج إلى الطائف فأتى على موضع قال: هذا قبر أبي رغال -وكان من أصحاب ثمود- منعه الله (عز وجل) لمنصبه من الحرم مات فدفن فيه، ودفن معه غصن من ذهب، فطفق أصحابه (ﷺ) فحفروا عنه حتى استخرجوا الغصن.

٣٥- **ومن ذلك:** ما روى عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) قال: صالح رسول الله (ﷺ) أهل خيبر على كل بيضاء وصفراء، وعلى كل شيء إلا أنفسهم وذراريهم، فأتى بالربيع وكنانة ابني أبي الحقيق وأحدهما عروس بصفية بنت حيي، فلما أتى بهما، قال: أين آنيتكما التي كانت تستعار في أعراس المدينة؟ قال: أخرجتنا وأجليتنا فأنفقناها، فقال لهما: انظراما تقولان، فإنكما إن كتمتماني استحللت بذلك دماءكما وذراريكما، فقالا: نعم، فدعا رسول الله (ﷺ) رجلاً من الأنصار فقال: اذهب إلى مكان كذا كذا إلى نخل كذا وكذا، فانظر نخلة في رأسها رقعة، فانزع الرقعة واستخرج ما فيها، وائتني بها، قال: فانطلق حتى جاءه، فقدمهما فضرب أعناقهما، وبعث إلى ذراريهم، فأتى بصفية وهي عروس مخضبة فأمر بها بلالاً، فذهب بها إلى منزل رسول الله (ﷺ).

٣٦- وقال (ﷺ) لرجل يقال له: أبو سلمى: إنك ستبقى بعدي حتى تُسأل، فكان كذلك.

٣٧- **ومن ذلك:** أنه (ﷺ) أعلم أصحابه بموته ودنو أجله، وأسرّ إلى ابنته فاطمة (رضي الله عنها)، وأخبرها أنها أول أهل بيته لحوقًا به، فكان كذلك.

وعن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ (النصر: ١) قال رسول الله (ﷺ).. نعيت إليّ نفسي بأني مقبوض في تلك السنة، وأخرج البخاري في تفسيرها عن ابن عباس قوله: أجل، أو مثل ضرب لمحمد (ﷺ)، نعيت له نفسه، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيرها من حديث أم حبيبة قالت: قال رسول الله (ﷺ): إن الله لم يبعث نبيًا إلا عمَّر في أمته شطر ما عمر النبي الماضي قبله، وإن عيسى ابن مريم كان أربعين سنة في بني إسرائيل، وهذه لي عشرون سنة، وأنا ميت في هذه السنة، فبكت فاطمة، فقال رسول الله (ﷺ) أنت أول أهل بيتي لحوقًا بي، فتبسمت، وفي صحيح البخاري من حديث

عروة عن عائشة قالت: دعا النبي (ﷺ) فاطمة في شكواه الذي قبض فيه فسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارَّها بشيء فضحكت، فسألناها عن ذلك فقالت: سارّني أنه يقبض في وجعه الذي تُوفِّي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت.

٣٨- **ومن ذلك:** قوله (ﷺ) للعباس بن عبد المطلب حين أسره: فاد نفسكِ وابني أخويك: عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، فإنك ذو مال، فقال: إن مالي قد ذهب، فقال (ﷺ): ما فعلت الدنانير التي دفعتها لأم الفضل ليلة أردت الخروج إلى بدر وقلت لها: إن أصبت في هذا الوجه فافعلي كذا وكذا؟ فتعجب العباس بن عبد المطلب وقال: والله ما كان لنا ثالث إلا الله (عز وجل). فأيقن بنبوته وبالإسلام.

ومن حديث عروة، عن الزهري، وغيره في قصة أسارى بدر: فبعث قريش إلى رسول الله (ﷺ) في فداء أسراهم، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا، وقال العباس بن عبد المطلب: يا رسول الله إني قد كنت مسلمًا، فقال (ﷺ): الله أعلم بإسلامك، فإن يكن كما تقول، فالله يجزيك بذلك، فأماظاهرًا منك فكان علينا، فافد نفسك وابني أخيك: نوفل بن الحارث وعقيل بن أبي طالب، وحليفك عتبة بن عمرو أخي بني الحارث بن فهر، قال: ما أخال ذلك عندي يا رسول الله، قال: فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل، فقلت لها: إن أصبت في سفري هذا فهذا المال لبني: الفضل بن العباس وعبد الله بن العباس وقثم بن العباس؟ فقال: والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا شيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي.

وعن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: لما أسر نوفل بن الحارث ببدر قال

رسول الله (ﷺ): افد نفسك يا نوفل، قال: ما لي شيء أفدي به نفسي يا رسول الله، قال: افد نفسك من مالك الذي بجدة، قال: أشهد أنك رسول الله، ففدى نفسه بها فكانت ألف رمح.

قال الحافظ البيهقي في الدلائل: المشهور عند أهل المغازي أن عباسًا (رضي الله عنه) فداه.

٣٩- **ومن ذلك:** أن بعض أصحابه (ﷺ) -وهو خبيب- أسر، فقدم به مكة فباعوه- ابتاعه بعض المشركين-، وكان قد قتل لهم يوم بدر قتيلاً، فاجتمعوا بمكة فصلبوه، فقال وهو مصلوب: اللَّهُمَّ إني لا أجد أحدًا يقرئ رسولك مني السلام، فأقرئه مني السلام، والنبي (ﷺ) ساعة ذلك بالمدينة على المنبر فقال: وعليك و(عليه السلام)، هذا جبريل يخبرني أن خبيبًا صلب وهو يقرأ عليَّ السلام.

وقوله: «وهو خبيب».

القصة بطولها عند البخاري، عن أبي هريرة قال: بعث رسول الله (ﷺ) عشرة رهط سرية عينا- وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم ابن عمر بن الخطاب- فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة -وهو بين عسفان ومكة- ذكروا الحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا قريبًا من مئتي رجل كلهم رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرا تزودوه من المدينة فقالوا: هذا تمر يثرب، فاقتصوا آثارهم، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد، وأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا وأعطونا أيديكم، ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحدًا، فقال عاصم بن ثابت أمير السرية: أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصمًا في سبعة، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق، منهم: خبيب الأنصاري وابن دثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم: أطلقوا أوتار قسيهم

فأوثقوهم فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن لي في هؤلاء لأسوة -يريد القتلي- وجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه، فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع خبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان خبيب قد قتل الحارث ابن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيرًا، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منهم موسى يستحد بها فأعارته، فأخذ ابنًا لي وأنا غافلة حتى أتاه، قالت: فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي، فقال: تخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك، والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل من قطف عنب في يده وإنه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر، وكانت تقول: إنه لرزق من الله رزقه خبيبًا، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: ذروني أركع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها اللهم أحصهم عددًا:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث، فكان خبيب هو من سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبرًا.

واستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، فأخبر النبي (ﷺ) أصحابه خبرهم وما أصيبوا، وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف، وكان قد قتل رجلاً من عظمائهم يوم بدر، فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسولهم فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئًا.

٣٩- **ومن ذلك:** ما روى قيس بن أبي حازم، عن أبي شهم قال: كنت بالمدينة فرمت بي امرأة فأخذت بكشحها، فأصبح رسول الله (ﷺ) يبايع، فأتيته فلم يبايعني، وقال لي: ألست صاحب الجبيذة بالأمس؟ فقلت: لا أعود يا رسول الله، قال: فبايعني.

٤٠- **ومن ذلك:** ما روى أبو السفر قال: رأى أبو سفيان يومًا رسول الله (ﷺ) يمشي والناس يطؤون عقبه، فقال بينه وبين نفسه: لو عاودت هذا القتال، فجاء رسول الله (ﷺ) حتى ضرب بيده على صدره فقال: إذن يخزيك الله، قال: أتوب إلى الله وأستغفر الله مما تفوهت به.

ومن ذلك: أن رجلاً من المشركين -كان رأسًا فيهم وعظيمًا من عظمائهم- قعد في نادي قومه وهو بمكة يقال له: عمير بن وهب، فتحدثوا بما أصيبوا يوم بدر وذكروا أصحاب القليب من قريش، وقالوا: لا خير في الحياة بعدهم، فقال عمير بن وهب: والله لولا دين عليّ وبنات أخلفهن لسرت إلى محمد وشفيت نفسي بقتله.

فتحمل صفوان بن أمية دينه، وضمن له من يقوم بعياله على أن يقتل محمدًا (ﷺ).

قال: فلما جاء إلى المدينة عقل ناقته بباب المسجد، وأخذ السيف فعمد لرسول الله (ﷺ) وسيفه على عاتقه، فلما رآه عمر (رضي الله عنه) سبقه إلى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله هذا الغادر عمير بن وهب قد أقبل عليك فلا تأمنه على نفسك، فقال رسول الله (ﷺ): أدخله عليّ، فأقبل عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بحمائل سيفه يقوده إلى رسول الله (ﷺ) فقال: دعه يا عمر، ادن يا عمير، ما الذي جاء بك؟ قال: جئت للأسير الذي بين أيديكم، قال: أصدقني، ما أقدمك؟ قال: ما جئت إلَّا لذلك، فقال له (ﷺ): فما بال سيفك على عاتقك؟

فقال: قبحها الله من سيوف، ما أغنت عنا شيئًا، فنزل جبريل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأعلمه بقصته وبما جاء فيه، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم): لا، بل قعدت أنت وفلان وفلان في الحجر وتذاكرتم قتلاكم ببدر فقلت: لولا دين عليّ وبنات ورائي لقصدت محمدًا، ولأقتلنه، فضمن عنك دينك فلان، وكفل بناتك فلان، والله تعالى حائل بينك وبين ما تريد، فقال عمير بن وهب: من أخبرك بهذا يا محمد؟ قال: الله تعالى الذي أخبرني به، فأسلم عمير مكانه.

٤١- وعن جابر بن عبد الله قال: هبت ريح شديدة، والنبي (صلى الله عليه وسلم) في بعض أسفاره فقال: هذه لموت منافق، فلما قدمنا المدينة إذا عظيم من عظماء المنافقين قد مات.

٤٢- **ومن ذلك:** ما روي عن قتادة بن النعمان قال: كانت ليلة شديدة الظلمة والمطر، فقلت: لو أني اغتنمت الليلة شهود العتمة مع النبي (صلى الله عليه وسلم)، فبقيت.

فلما انصرف النبي (صلى الله عليه وسلم) أبصرني ومعه عرجون يمشي معه، فقال: ما لك يا قتادة ها هنا هذه الساعة؟

قلت: اغتنمت شهود الصلاة معك يا رسول الله.

قال: فأعطاني العرجون، وقال: إن الشيطان قد خلفك في بيتك، فاذهب بهذا العرجون فاستضيء به حتى تأتي بيتك فتجده في زاوية البيت فاضربه بالعرجون.

قال: فخرجت من المسجد فأضاء العرجون بمثل الشمعة، فاستضأت به فأتيت أهلي فوجدتهم رقودًا، فنظرت في الزوايا فإذا فيها قنفذ، فلم أزل أضربه بالعرجون حتى خرج.

ومنه: قوله (صلى الله عليه وسلم) لعائشة (رضي الله عنها): تنبح عليك كلاب الحوأب.

ومن حديث قيس بن أبي حازم قال: لما أقبلت عائشة مرت ببعض مياه بني عامر طرقتهم ليلاً، فسمعت نباح الكلاب فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب، قالت: ما أظنني إلَّا راجعة، قالوا: مهلاً، يرحمك الله، تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله بك، قالت: ما أظنني إلّا راجعة، إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب.

ومن حديث ابن عباس مرفوعًا: أيتكن صاحبة الجمل الأحمر الأدبب تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب، يقتل حولها قتلى كثيرة، ثم تنجو بعدما كادت.

٤٣- **ومنه:** نعيه (ﷺ) النجاشي وإخباره أصحابه بموته.

٤٤- ذلك أن النجاشي مات بأرض الحبشة، فطوى الله تعالى لنبيه الأرض حتى نظر إلى جنازته في اليوم الذي مات فيه، ثم قام فصلى عليه هو وأصحابه، ثم قال (ﷺ): استغفروا لأخيكم.

قوله: «نعيه (ﷺ) النجاشي»:

أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة: أن رسول الله (ﷺ) نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات، وأخرجا من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (ﷺ): مات اليوم رجل صالح، فصلوا على أصحمة.

قوله: «استغفروا لأخيكم»:

أخرجاه من حديث أبي هريرة، فرقه البخاري في غير موضع، وأخرجه من مناقب الأنصار، باب موت النجاشي بنحو اللفظ هنا من حديث أبي سلمة، وابن المسيب عن أبي هريرة، وفيه: أن رسول الله (ﷺ) نعى لهم النجاشي صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه، وقال: استغفروا لأخيكم.

وأخرجه مسلم في الجنائز، باب في التكبير على الجنازة، رقم ٩٥١ (٦٣).

٤٥- **ومنه:** قوله (ﷺ) لزيد بن صوحان: زيد وما زيد، يسبقه عضو منه إلى الجنة، فقطعت يده يوم نهاوند في سبيل الله تعالى.

قوله: «زيد وما زيد»:

وعن علي (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): من سره أن ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة، فلينظر إلى زيد بن صوحان.

ومن حديث الحارث الأعور قال: كان ممن ذكره الرسول (ﷺ) زيد الخير وهو زيد بن صوحان قال (ﷺ): سيكون بعدي رجل من التابعين -وهو زيد الخير- يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة بعشرين سنة، قال: فقطعت يده اليسرى بنهاوند، ثم عاش بعد ذلك عشرين سنة، ثم قتل يوم الجمل بين يدي علي بن أبي طالب.

ومن حديث الأجلح، عن عبيد بن لاحق قال: كان رسول الله (ﷺ) في سفر، فنزل رجل من القوم فساق بهم ورجز، ثم نزل آخر، ثم بدا لرسول الله (ﷺ) أن يواسي أصحابه فنزل فجعل يقول: جندب، وما جندب؟ والأقطع الخير زيد، ثم ركب، فدنا منه أصحابه فقالوا: يا رسول الله سمعناك الليلة تقول: جندب، وما جندب؟ والأقطع الخير زيد، فقال: رجلان يكونان في هذه الأمة يضرب أحدهما ضربة تفرق بين الحق والباطل، والآخر تقطع يده في سبيل الله، ثم يتبع الله آخر جسده بأوله.

قال الأجلح: أما جندب فقتل الساحر عند الوليد بن عقبة، وأما زيد فقُطِعت يده يوم جلولاء، وقتل يوم الجمل.

وعن ابن سيرين: أن عائشة (رضي الله عنها). قالت لخالد بن الواشمة: أنشدك الله

أصادقي أنت إن سألتك؟ قال: نعم، وما يمنعني؟ قالت: ما فعل طلحة؟ قلت: قُتِل، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم قالت: ما فعل الزبير؟ قلت: قُتِل، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، قلت: بل نحن لله ونحن إليه راجعون، على زيد وأصحاب زيد، قالت: زيد بن صوحان؟ قلت: نعم، فقالت له: خيرًا، فقلت: والله لا يجمع الله بينهما في الجنة أبدًا، فقالت: لا تقل، فإن رحمة الله واسعة، وهو على كل شيء قدير.

ومن ذلك أنه (ﷺ) بعث نفرًا إلى خالد بن سفيان ليقتلوه فقال: إنكم إذا رأيتموه ذكَّركم الشيطان ما بينكم وبينه فتأخذكم قشعريرة قال: فكان كذلك.

وعن ابن عبد الله بن أنيس، عن أبيه قال: دعاني رسول الله (ﷺ) فقال: إنه بلغني أن ابن سفيان بن نبيح الهذلي جمع لي الناس ليغزوني وهو بنخلة -أو بعرنة- فأته، قال: قلت يا رسول الله انعته لي حتى أعرفه، فقال: آية ما بينك وبينه، أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة، قال: فخرجت متوشحًا سيفي حتى وقعت عليه في ظعن يرتاد لها منزلاً، حين كان وقت العصر فلما رأيته، وجدت ما وصف لي رسول الله (ﷺ) من القشعريرة فأخذت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه، أومئ برأسي، فلما انتهيت إليه. قال: ممن الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاء لذلك، قال: أجل، إني أنا في ذلك، قال: فمشيت معه شيئًا حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف حتى قتلته، ثم خرجت، وتركت ظعائنه منكبَّات عليه، فلما قدمت على رسول الله (ﷺ) فرآني قال: قد أفلح الوجه، قال: قلت: قتلته يا رسول الله، قال: صدقت، قال: ثم قام معي رسول الله (ﷺ) فأدخلني بيته، فأعطاني عصا، فقال (ﷺ): أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس، قال: فخرجت بها على الناس: فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت:

أعطانيها رسول الله (ﷺ) وأمرني أن أمسكها، قالوا: أفلا ترجع فتسأله لم ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله (ﷺ) فقلت: يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا؟ قال (ﷺ): آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المختصرون -أو المتخصِّرون- يومئذ، فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضُمت معه في كفنه ثم دُفِنا جميعًا (رحمه الله).

ومن ذلك: أنه (ﷺ) لما خرج إلى غزوة بدر وبلغ بدرًا جعل يسير إلى موضع موضع ويقول: هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله تعالى، وهذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله تعالى.. فما أخطأوا تلك المواضع.

وهذا لفظ مسلم عن أنس: أن رسول الله (ﷺ) شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله (ﷺ) فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج فأخذوه، فكان أصحاب رسول الله (ﷺ) يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول: مالي علم بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف، فإذا قال ذلك ضربوه فقال: نعم أنا أخبركم، هذا أبو سفيان، فإذا تركوه فسألوه فقال: ما لي بأبي سفيان علم، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في الناس، فإذا قال هذا أيضًا ضربوه، ورسول الله (ﷺ) قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف، قال: والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم وتتركوه إذا كذبكم، قال: فقال رسول الله (ﷺ): هذا مصرع فلان، قال: ويضع يده على الأرض ها هنا وها هنا، قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله (ﷺ).

٤٧- وقال رسول الله (ﷺ): ليرعفن على منبري رجل من بني أمية، فكان كذلك، رعف عنده عمرو بن سعيد حتى سال رعافه على درج المنبر.

٤٨- ومن ذلك أن بعض من كان يكتب لرسول الله (ﷺ) ارتد على عقبيه كافرًا فمات، فقال (ﷺ) لن تقبله الأرض، فدُفن، فأصبحوا به فوق الأرض، ثم دفن فأصبحوا به كذلك، ثم كذلك حتى ألقوه في بعض الغيران.

أما قوله: «أن بعض من كان يكتب لرسول الله (ﷺ) يعني: الوحي، أخرج الشيخان من حديث أنس قال: كان رجلاً نصرانيًا فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي (ﷺ) فعاد نصرانيًا، فكان يقول: ما يدري محمد إلَّا ماكتبت له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم، فألقوه خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه، وأخرج الإمام أحمد في المسند وهذا لفظ ابن حبان: كان رجل يكتب للنبي (ﷺ) يملي عليه: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، فيكتب ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، فيقول رسول الله (ﷺ): اكتب أيهما شئت، قال: فارتد عن الإسلام، فلحق المشركين فقال: أنا أعلمكم بمحمد، إن كنت لأكتب ما شئت، فمات، فبلغ ذلك النبي (ﷺ) فقال: إن الأرض لن تقبله، قال: فقال أبو طلحة: فأتيت تلك الأرض التي مات فيها، وقد علمت أن الذي قال رسول الله (ﷺ) كما قال، فوجدته منبوذًا، فقلت: ما شأن هذا؟ فقالوا: دفناه فلم تقبله الأرض.

٤٩- **ويروى:** أن أبا عمرو النخعي قدم على رسول الله (ﷺ) في وفد النخع فقال: يا رسول الله إني رأيت في طريقي هذا رؤيا، رأيت أتانا تركتها في

الحي ولدت جديًا أسفع أحوى.

فقال له النبي (ﷺ): هل لك من أمة تركتها مسرة حملاً؟

قال: نعم تركت أمة إني أظنها قد حملت، قال: قد ولدت غلامًا هو ابنك، قال: فما له أسفع أحوى؟ قال (ﷺ): ادن مني، فدنا منه، قال: هل بك برص تكتمه؟ قال: نعم، والذي بعثك بالحق ما رآه مخلوق ولا علم به، قال: هو ذاك.

وقوله: «هو ذاك».

قال: يا رسول الله، ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان، قال: ذاك ملك العرب رجع إلى أحسن زيه وبهجته، قال: ورأيت عجوزًا شمطاء خرجت من الأرض، قال: تلك بقية الدنيا، قال: ورأيت نارًا خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له: عمرو وهي تقول: لظى لظى، وبصير وأعمى، أطعموني آكلكم أهلكم ومالكم، قال (ﷺ): تلك فتنة تكون في آخر الزمان، قال: يا رسول الله وما الفتنة؟ قال رسول الله (ﷺ): يقتل الناس إمامهم، ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس -وخالف رسول الله- (ﷺ) بين أصابعه - يحسب المسيء فيها أنه محسن، ويكون دم المؤمن عند المؤمن أحل من شرب الماء، إن مات ابنك أدركت الفتنة، وإن مت أنت أدركها ابنك، قال: فقال: يا رسول الله ادع الله أن لا أدركها، فقال رسول الله (ﷺ): اللهم لا يدركها.

فمات وبقى ابنه عمرو فكان ممن خلع عثمان بالكوفة وفي رواية: فكان أول من خلع عثمان وبايع عليًا.

٥٠- وعن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: بينما النبي (ﷺ) جالس في مجلسه - يعني: المسجد- معه ناس من أصحابه، منهم: عامر بن فهيرة، وبلال،

وسلمان، إذ دخل قيس بن مطاطية الثقفي فقال: هؤلاء الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة رسول الله (ﷺ): فما بال هؤلاء؟ فسمعه حذيفة بن اليمان فقام إليه فلبَّبه، ثم أقبل يقوده إلى رسول الله (ﷺ) فأخبره بالذي قال، فقال (ﷺ): اشدد يدك به.

ثم علا رسول الله (ﷺ) المنبر، فاجتمع إليه ناس، فحمد الله (عز وجل) وأثنى عليه، ثم قال (ﷺ): ألا إن الرب (عز وجل) واحد، وإن العربية اللسان الناطق، فمن تكلم بها فهو منهم، ألا وإن مولى القوم منهم، وابنه من أبنائهم، وابن ابنه من أنفسهم.

ثم نزل رسول الله (ﷺ) فقال حذيفة: ما أصبح لقيس يا رسول الله؟ فقال: خلّ عنه، فإنه من أهل النار، يكفيهم عمله. قال: فقتل يوم اليمامة مع مسيلمة الكذاب مرتدا.

٥١- وروي عن سمرة بن جندب: أن النبي (ﷺ) صلى على جنازة فقال: هاهنا من آل فلان أحد؟ فلم يقم أحد حتى قالها ثلاثًا، فقام إليه رجل، فقال: ان فلانًا مأسور بدينه، قال: فلقد رأيت أهله ومن تحزن به قاموا، فقضوا ما عليه حتى لم يبق عليه شيء.

٥٢- وروي أن رجلاً ضخمًا من العرب رآه رسول الله (ﷺ) فقال: يا محمد صارعني، فإن صرعتني قتلتني ولك أغنامي، وإن صرعتك قتلتك وأرحت العباد منك، قال (ﷺ): نعم، فصارعه فألقاه رسول الله (ﷺ) على الأرض، فقال الرجل له (ﷺ): أقلني هذه المرة، فأقاله، فصرعه الثانية، فلما صرعه الثالثة عزم الرجل أن يأخذ برجله، فهبط جبريل (عليه السلام) فأخبره فقال (ﷺ) تريد أن تخدعني؟ قال: كيف؟ قال (ﷺ) تريد أن تأخذ برجلي، قال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

٥٣- **ومن ذلك:** أنه (ﷺ) بعث بعض نسائه إلى امرأة يريد أن يخطبها فقال لها: انظري إليها، فذهبت المرأة، فلما رأتها رأت على وجهها مسحة من الجمال، فقال: لئن وصفتها لرسول الله (ﷺ) تزوجها، فرجعت، فقال لها رسول الله (ﷺ): ما رأيت؟ فقالت: ما رأيت طائلاً، فقال (ﷺ): قد رأيت طائلاً وخالاً بخدها اقشعرت كل شعرة منك، فقالت: ما دونك سر.

٥٤- وروي أنه (ﷺ) خرج إلى سفر فشكا إليه أصحابه الجوع، فقال (ﷺ): لا يأتيكم الله برزق حتى تصلوا العصر، فلما صلوا العصر إذا هم بأربعة بدن سمان بعث بها عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، فأكل القوم حتى شبعوا.

٥٥- وأهدي إلى أم سلمة زوج النبي (ﷺ) قدر من اللحم، فقالت للخادم: ارفعيها لرسول الله (ﷺ)، فإذا جاء فقدميها إليه، قالت: فجاء إليها رسول الله (ﷺ) فقالت: قدمي إلى رسول الله (ﷺ) قدرة اللحم، فجاءت بها، فإذا هي قد صارت حجرًا، فنظر رسول الله (ﷺ) إليها وقال: ما لك يا أم سلمة؟ فقصت عليه القصة، فقال (ﷺ): لعله قام على بابكم سائل فأهنتموه؟ قالت: أجل يا رسول الله، قال (ﷺ): فإن ذاك لذاك.

ومن ذلك: أنه (ﷺ) كان يخبرهم عند الأهلة: هل يزيد عددها أو ينقص؟ فيجدونها كما أخبرهم عنها.

وقوله: «كان يخبرهم عن الأهلة».

من حديث ابن عباس قال: سأل الناس رسول الله (ﷺ) عن الأهلة، فنزلت هذه الآية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٨٩) يعلمون بها حل دينهم، وعدة نسائهم ووقت حجهم، وكان رسول الله (ﷺ) يخبرهم أيضًا عند السحاب ووجهته وعن وقت وقوع المطر بفضل ما أعلمه الله (عز وجل) وأطلعه عليه.

ومن حديث ابن إسحاق قال: حُدثت عن عبد الرحمن بن خباب، عن

عبدالرحمن بن غنم الأشعري -وكانت له صحبة-: بينا رسول الله (ﷺ) في مسجده ومعه رجال من أهل الريب وهم المنافقون، إذ نشأت سحابة، قال: فأبدها رسول الله (ﷺ) عينيه ثم جعل كأنه يتبع بصره شيئًا حتى نظر نحو بعض حجره، قال: فقام، فلبث ما شاء الله ثم رجع فجلس، فقلنا : يا رسول الله رأيناك تصنع شيئًا ما رأيناك تصنعه، قال: إني بينا أنا معكم إذ نظرت إلى ملك تدلى من هذه السحابة فأتبعته بصري أنظر أين يعمد، فإذا هو قد وقع في بعض حجري، فقمت إليه فسلم علي، ثم قال: إني لم أزل أستأذن ربي في لقيك حتى كان هذا أوان أذن لي في ذلك، وإني أبشرك يا محمد أنه ليس آدمي أكرم على ربه منك، قلت: ومن أنت؟ قال: أنا ملك السحاب الذي وكل به، قلت: فهل أمطرتم شيئًامن البلدان؟ قال: نعم أمطرنا بلد كذا وكذا، وبلد كذا وكذا، وبلد كذا وكذا، وبلد كذا وكذا، قلت: فهل أُمرتم لنا بشيء؟! قال: أما في شهركم هذا فلا، ولكنا قد أمرنا أن نمطركم في شهركم الداخل ليلة كذا وكذا في كذا وكذا من الشهر، قال: ثم قام رسول الله (ﷺ) وتفرقنا، فقال أولئك النفر من المنافقين: قد فصل محمد بينكم وبين نفسه، انظروا ما قال لكم، فإن يك حقًا فالرجل نبي مرسل، وإلا يكن حقًا فأنتم على ما أنتم عليه، لم يزدكم في أمركم ذلك إلا شدة، ثم خرجوا يتلقون الركبان فلا يسألون عن بلد من البلدان التي ذكر رسول الله (ﷺ) إلا أخبروا عنه بمطر، قال: فقالوا : سأل الركبان كما سألنا فأُخبر، ولكن انظروا اللية التي وعدكم فيها ما وعدكم، فلما كانت الليلة التي وعدهم فيها ما وعدهم أُمطروا، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله (ﷺ) فقالوا : إنا كنا أهل ريب فهلم نبايعك بيعة جديدة، فبايعهم رسول الله (ﷺ) فحسن إسلامهم، وبورك لهم في ذلك المجلس.

٥٦- **ومن ذلك:** أنه (ﷺ) أعطى رجلاً من المشركين فرسًا فقيل له: تعطي

عدو الله؟ فقال (ﷺ): سيسلبها، فكان كذلك.

٥٧- **ومنها:** معجزة عجيبة -لعمر الله عند من عقل-: أمر ناقته حين افتقدت، فأرجف المنافقون فقالوا بألسنة حظلة، وقلوب خاوية، فطعنوا في الأمر الذي هو أعظم الحجة عليهم، قالوا: يأتينا بخبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فلما خاف (ﷺ) على المؤمنين وساوس الشيطان، دلهم عليها، ووصف لهم حالها، والشجرة التي هي متعلقة بها، فأتوها فوجدوها كما وصف من الحال التي أخبر (ﷺ).

قوله: «بألسنة حظلة»:

أي فاسدة، يقال: حظلت النخلة وحضلت بالظاء والضاد، إذا فسدت أصول سعفها.

قوله: «وهو لا يدري أين ناقته؟»:

القصة في سيرة ابن إسحاق وقد اختلف عليه في إسنادها، فقيل: عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل، وقيل: عن عاصم... قوله.

ففي سياق ابن إسحاق لقصة المسير في غزوة تبوك قال: ثم إن رسول الله (ﷺ) سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته فخرج بعض أصحابه في طلبها، وعند رسول الله (ﷺ) عمارة بن حزم الأنصاري -وكان في رحله زيد، وكان منافقًا -فقال زيد، أليس محمد يزعم أنه نبي، وأنه يخبركم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله (ﷺ)- وعمارة بن حزم عنده: إن رجلاً قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي ويخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله (ﷺ): وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، هي في الوادي قد حبستها الشجرة بزمامها، فانطلقوا

فجاءوا بها، فرجع عمارة إلى رحله فحدثهم عما جاء رسول الله (ﷺ) من خبر الرجل، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة: إنما قال زيد والله هذه المقالة قبل أن تأتي، فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه ويقول: إن في رحلي لداهية وما أدري، اخرج عني يا عدو الله فلا تصحبني، فقال بعض الناس: إن زيدًا تاب، وقال بعض الناس: لم يزل مصرًا حتى هلك.

٥٨- ومنها: أن الزبير بن العوام لما خرج إلى ياسر بخيبر مبارزًا، وقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: أيقتل ياسر ابني رسول الله؟ قال: لا، بل ابنك يقتله إن شاء الله، فخرج الزبير بن العوام فالتقيا، فقتله ابن الزبير.

٥٩- قوله: «لما خرج إلى ياسر».

وهو أخو مرحب اليهودي صاحب حصن خيبر الذي قتله علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) على اختلاف الروايات في ذلك خرج ياسر بعد مقتل أخيه وهو يرتجز:

قد علمت خيبر أني ياسر ... شاك السلاح بطل مغامر
إذا الليوث أقبلت تبادر ... وأحجمت عند صولة المساور
إن حماي فيه موت حاضر

وكان ياسر أشد من أخيه مرحب وأسير الذي قتله محمد بن مسلمة، كانت في يده حربة يحوش بها المسلمين حوشًا، فبرز له عليٌّ (رضي الله عنه) فقال له الزبير: أقسمت عليك إلَّا خليت بيني وبينه، ففعل علي (رضي الله عنه) فلما برز له الزبير ارتجز:

قد علمت خيبر أني زبار ... قوم لقوم غير نكس فرار
ابن حماة المجد وابن الأخيار ... ياسر لا يغررك جمع الكفار
فجمعهم مثل السراب الجرار

قالت صفية أمه (رضي الله عنها): يا رسول الله، واحزني، ابني يقتل يا رسول الله؟ فقال (ﷺ): بل ابنك يقتله، قال: فاقتتلا، فقتله الزبير، فقال رسول الله (ﷺ): لكل نبي حواري، وحواريي الزبير وابن عمتي.

٦٠- **ومنها**: قوله (ﷺ): أطولكن يدًا أسرعكن بي لحوقًا، فتطاولن فطالتهن سودة، ثم ماتت بعده (ﷺ) زينب، وكانت زينب صنيعة اليد، كثيرة الخير، عظيمة النفع، تجهز الجيوش، وتنفع الخلق، فلما ماتت على إثره (ﷺ) علمن أنه أراد بقوله: أطولكن يدًا، أي: أكثركن معروفًا، أراد به: الطول الذي هو الغنى والنفع.

٦١- وذكر عند أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: رجلان من ثقيف مبير وكذاب، فأما الكذاب فقد رأيناه، وهذا المبير- تعني: الحجاج.

٦٢- وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): اللهم كما ائتمنتهم فخانوني، ونصحت لهم فغشوني، فسلط عليهم فتى ثقيف الذيَّال الميال، يأكل خضرتها، ويلبس فروتها، ويحكم فيهم بحكم الجاهلية، قال الحسن: وما خلق الحجاج يومئذ.

٦٣- ويروى عن بعض التابعين قال: قدمت على عمر بن الخطاب رابع أربعة من أهل الشام ونحن حجاج، فبينا نحن عنده إذ أتاه آت من قبل العراق فأخبره أنهم حصبوا إمامهم، وقد كان عوَّضهم به مكان إمام كان قبله فحصبوه، فخرج إلى الصلاة فنسيها في صلاته، ثم أقبل على الناس فقال: من ههنا من أهل الشام؟ قال: فقمت أنا وأصحابي، فقال: يا أهل الشام تجهزوا لأهل العراق، فإن الشيطان باض فيهم وفرَّخ، ثم قال: اللهم إنهم قد لبَّسوا عليّ فلبِّس عليهم، اللهم عجِّل لهم الغلام الثقفي الذي يحكم فيهم بحكم الجاهلية، لا

يقبل من محسنهم، ولا يتجاوز عن مسيئهم.

فصل: ما جاء في مسارعة الله له في هواه وإعطائه ما لم تجر العادة به، وما في ذلك من الدلائل

١- **ومن ذلك**: ما روى أبو رافع مولى رسول الله (ﷺ) قال: أهديت لرسول الله (ﷺ) شاة فطبختها في قدر فقال (ﷺ): ناولني الذراع، فناولته الذراع فأكل، ثم قال (ﷺ): ناولني الذراع، فناولته، ثم قال (ﷺ): ناولني الذراع، فقلت: وهل للشاة إلا ذراعان يا رسول الله؟ فقال رسول الله (ﷺ): أما إنك لو التمسته لوجدته.

والأصل في هذا الفصل قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ (الضحى: ٥)، وقول أم المؤمنين عائشة فيما أخرجه الشيخان من حديثها: قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله (ﷺ) وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ﴾ (الأحزاب: ٥١) قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك، ويدخل فيه أيضًا: تمنيه (ﷺ) تحويل القبلة إلى الكعبة، وقد أورد ذلك المصنف في شرفه (ﷺ) في القرآن الكريم حتى بلغه مولاه ما تمنى.

٢- **ومنها**: أنه لما تخلف أبو خيثمة عن رسول الله (ﷺ) ثم خرج على إثره فسار أيامًا وليالي حتى تراءى للناس ورسول الله (ﷺ) نازل بتبوك فقال الناس: هذا راكب على الطريق فقال (ﷺ): كن أبا خيثمة، فلما دنا إذا هو أبو خيثمة وقوله: «كن أبا خيثمة».

أخرجه مسلم في التوبة من صحيحه ضمن سياق قصة كعب بن مالك وصاحبيه في التخلف عن غزوة تبوك الطويلة، وفيها قال كعب: ولم يذكرني

رسول الله (ﷺ) حتى بلغ تبوكًا، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا، فسكت رسول الله (ﷺ) فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضًا يزول بالسراب، فقال رسول الله (ﷺ): كن أبا خيثمة، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون.

ومن حديث ابن حزم وفيه: أن أبا خيثمة أخا بني سالم رجع بعد مسير رسول الله (ﷺ) أيامًا إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيأت له فيه طعامًا، فلما دخل قام على باب العريشين فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال: رسول الله (ﷺ) في الضح والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وماء بارد، وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم؟ ما هذا بالنصف، ثم قال: لا، والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله (ﷺ) فهيئا لي، زادا، ففعلتا، ثم قدم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله (ﷺ) حتى أدركه بتبوك حين نزلها، وقد كان أدرك أبا خيثمة: عمير بن وهب الجمجمي في الطريق يطلب رسول الله (ﷺ) فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك، قال أبو خيثمة لعمير: إن لي ذنبا فلا عليك أن تخلف عني حتى أتى رسول الله (ﷺ)، ففعل فسار حتى إذا دنا من رسول الله (ﷺ) وهو نازل بتبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله (ﷺ): كن أبا خيثمة وعن عروة بن الزبير وموسى بن عقبة وفيها قوله (ﷺ): فأتاه أبو خيثمة وهو يبكي، فقال له رسول الله (ﷺ): ما خلفك أبا خيثمة أولى لك؟ قال: كدت يا نبي الله أن أهلك بتخلفي عنك، تزينت لي الدنيا وتزين لي مالي في عيني، وكدت أن أختاره على الجهاد فعزم الله عليّ بالخروج، فاستغفر له ودعا له

بالبركة.

وعن محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله بن مسعود، قال: لما سار رسول الله (ﷺ) إلى تبوك جعل لا يزال يتخلف الرجل، فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان، فيقول (ﷺ): دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله تعالى منه، حتى قيل: يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره، فتلوم أبو ذر بعيره فأبطأ عليه، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فجعله على ظهره، ثم خرج يتبع رسول الله (ﷺ) ماشيا، ونزل رسول الله (ﷺ) في بعض منازله، فنظر ناظر من المسلمين، فقال: يا رسول الله هذا رجل يمشي على الطريق، فقال رسول الله (ﷺ): كن أبا ذر، فلما تأمله القوم، قالوا: يا رسول الله هو والله أبو ذر، فقال رسول الله (ﷺ): يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده.

وسار أبو ذر إلى الربذة، فلما حضره الموت، أوصى امرأته وغلامه: إذا مت فاغسلاني وكفناني، ثم احملاني فضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم، فقولوا: هذا أبو ذر، فلما مات فعلوا به ذلك، فاطلع ركب، فما علموا به حتى كادت ركابهم تطؤ سريره فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر فاستهل ابن مسعود يبكي، وقال: صدق رسول الله (ﷺ) قال: يرحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده ويبعث وحده، ثم نزل فوليه بنفسه حتى أجنه فلما قدموا المدينة ذكر لعثمان قول ابن مسعود وما ولي منه.

باب ما خُصَّ به النبي (ﷺ) من الشرف في القرآن الكريم

١- ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه قصة آدم فقال (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ (طه: ١٢١) وذكر الفعل فقال (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا

﴿سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ (طه: ١٢١) ثم توبته.

وذكر نوحًا فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (هود: ٤٦) وذلك حين قال: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ (هود: ٤٥) وذكر ذا النون فقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ (الأنبياء: ٨٧)، إلى قوله: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٨)، وقال (عَزَّوَجَلَّ): ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ (الصافات: ١٣٩) إلى قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ (الصافات: ١٤٣، ١٤٤).

وعرَّض بداود على لسان خصمين فقال: ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾ (ص: ٢٤).

وفي قصة موسى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ (القصص: ١٥) فنص على ذنب الجميع.

ولما ذكر النبي (ﷺ): قال: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح: ٢)، ذكر الغفران وترك الذنب مستورًا، وزاده فبشره بالفتح.

وقيل: إنه عنى ذنب آدم الذي تقدم وذنب أمته الذي تأخر.

٢- رُوي أن اليهود سألوا رسول الله (ﷺ) فقالوا: أخبرنا لأي شيء فرض الله جل جلاله على أمتك الصوم بالنهار ثلاثين يومًا، وفرض على الأمم أكثر من ذلك؟

فقال رسول الله (ﷺ): إن آدم لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يومًا، ففرض الله على ذريته الجوع والعطش ثلاثين يومًا، والذي يأكلونه تفضل من الله (عَزَّوَجَلَّ) عليهم، وكذلك كان على آدم، ففرض الله سبحانه

وتعالى ذلك على أمتي، ثم تلا رسول الله (ﷺ) هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ (البقرة: ١٨٣، ١٨٤).

فقالوا: صدقت.

وفيه شرف آخر ٢

وهو أنه في العتاب معه أقرع سمعه العفو أولاً فقال سبحانه وتعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ (التوبة: ٤٣) قوله: «أقرع سمعه العفو أولاً».

قال القاضي عياض: حكى السمرقندي عن بعضهم في معنى هذه الآية.

عافاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم، قال: ولو بدأ النبي (ﷺ) بقوله:

لم أذنت لهم، لخيف عليه أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام، لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو، حتى يسكن قلبه، ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ (التوبة: ٤٣) بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب؟! وفي هذا عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لُب.

قال: وقال أبو محمد المكي: هذا افتتاح كلام بمنزلة: أعزك الله أصلحك الله.

قال القاضي عياض: يجب على المسلم أن يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله ومعافاته ومحاوراته، فهو عنصر المعارف الحقيقية، وروضة الآداب الدينية والدنيوية، وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الأرباب، وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب، وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب إن كان ثم ذنب.

قال نفطويه: ذهب ناس إلى أن النبي (ﷺ) معاتب بهذه الآية وحاشاه من

ذلك؛ بل كان مخيرًا، فلما أذن لهم أعلمه الله تعالى أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم، وأنه لا حرج عليهم في الإذن لهم.

وفيه شرف آخر ٣

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ (الأحزاب: ٧)، فأخَّر بعثة رسول الله (ﷺ) عنهم وقدمه في الذكر عليهم، وذكر النبيين، واختار منهم خمسة، وفضلهم على الجميع، فجعل الله رسوله (ﷺ) واحدًا منهم وقدمه عليهم.

فلما ذكر الغلظة في الميثاق خفف عنه (ﷺ)، وقال في حقهم: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ (الأحزاب: ٧) وعن قتادة في هذه الآية: قال: كان النبي (ﷺ): إذا قرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ قال: بُدِئ بي في الخير وكنت آخرهم في البعث، وعن أبي هريرة: كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث، زاد بعضهم في هذا الحديث: فبدئ بي قبلهم -يعني هذه الآية.

وعن أبي هريرة أيضًا قال: خيار ولد آدم خمسة: نوح، إبراهيم، عيسى، موسى، ومحمد (ﷺ)، وخيرهم محمد (ﷺ).

شرف آخر ٤

خاطب الله (عز وجل) كل نبي باسمه فقال: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ (البقرة: ٣٣)، وقال: ﴿يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا﴾ (هود: ٤٨) وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ﴾ (هود: ٧٦) وقال (عز وجل): ﴿يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ (هود: ٨١)، وقال: ﴿يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ (هود: ٩١)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ (هود: ٥٣)، وقال (عز وجل): ﴿يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ﴾ (هود: ٦٢)، وقال تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (ص:

٢٦)، وقال عز من قائل: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ (الأعراف: ١٤٤)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ (يوسف: ٢٩)، وقال (عَزَّوَجَلَّ): ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾ (آل عمران: ٥٥)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ (مريم: ١٢).

فلما ذكر (عَزَّوَجَلَّ) رسوله (ﷺ) ذكره باسم التفخيم مشوبًا بمننه فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ (الأحزاب: ٤٥)، شاهدًا على الكل، مبشرًا لمن آمن بك بالجنة، ونذيرًا لمن تولى عنك بالنار.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ (المائدة: ٦٧)، وقال (عَزَّوَجَلَّ): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ (المائدة: ٤١).

قوله: ذكره باسم التفخيم.

قال الحافظ أبو نعيم في الدلائل: من فضائله (ﷺ) إخبار الله (عَزَّوَجَلَّ) عن إجلال قدر نبيه (ﷺ) وتبجيله وتعظيمه، وذلك أنه ما خاطبه في كتابه، ولا أخبر عنه إلا بالكناية التي هي النبوة والرسالة التي لا أجل منها فخرًا، ولا أعظم خطرًا، وخاطب غيره من الأنبياء وقومهم وأخبر عنهم بأسمائهم، ولم يذكرهم بالكناية التي هي غاية المرتبة، إلا أن يكون الرسول (ﷺ) في جملتهم بمشاركته معهم في الخطاب والخبر، فأما في حال الانفراد فما ذكرهم إلا بأسمائهم.

والكناية عن الاسم غاية التعظيم للمخاطب المجلل والمدعو العظيم؛ لأن من بلغ به غاية التعظيم كُنِّي عن اسمه، إن كان ملكًا قيل له: يا أيها الملك، وإن كان أميرًا قيل له: يا أيها الأمير، وإن كان خليفة قيل له: يا أيها الخليفة، وإن كان ديانا قيل له: يا أيها الحَبْر، أيها القس، أيها العالم، أيها الفقيه،

ففضل الله (عَزَّوَجَلَّ) نبيه (ﷺ) وبلغ به غاية الرتبة وأعالي الرفعة. قال: وكل موضع ذكر فيه مُحمدًا (ﷺ) باسمه أضاف إليه ذكر الرسالة فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، وقال (عَزَّوَجَلَّ): ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ (الفتح: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، وقال (عَزَّوَجَلَّ): ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ (محمد: ٢)، فسماه، ليُعلم من جحده أن أمره وكتابه هو الحق، ولأنهم لم يعرفوه إلا بمحمد، ولو لم يسمعه لم يُعلم اسمه من الكتاب، وكذلك سائر الأنبياء لو لم يسموا في الكتاب ما عرفت أساميهم، كتسمية الله له محمدًا، وذلك كله زيادة في جلالته ونبالته، ونباهته وشرفه؛ لأن اسمه مشتق من اسم الله، كما مدحه عمه فقال:

وشـق لـه مـن اسـمـه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمدُ

ثم جمع في الذكر بين اسم خليله ونبيه، فسمى خليله باسمه، وكنى حبيبه بالنبوة فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ (آل عمران: ٦٨) فكناه (ﷺ) إجلالاً ورفعة لفضل رتبته ونباهته عنده.

شرف آخر ٥

١- أمر المؤمنين بغض الأصوات، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ (الحجرات: ٢)، وتوعد على رفع الصوت فوق صوته بإحباط العمل، توقيرًا، وتعظيمًا لمحله وإجلالاً لأمره، ونبههم على عظم الخطيئة تحذيرًا لئلا يقدموا.

٢- فكان أبو بكر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يقول: لا أناجيك إلا سرًا- أو كما قال.

٣- وكان من شفقته (ﷺ) على أمته أن من دعاه بصوت جهوري يجيبه بمثله كي لا يأثم داعيه.

وقوله: «وكان من شفقته (ﷺ)».

في الصحيحين وفيهما أنه (ﷺ) افتقد ثابت بن قيس فسأل عنه فأخبر أنه في بيته حزين، يخشى أن تكون الآية نزلت فيه، وأن عمله قد حبط -فقد كان صيتا- وأنه من أهل النار، فبشره (ﷺ) بأنه من أهل الجنة، أخرجها البخاري في المناقب، وفي التفسير، ومسلم في الإيمان.

شرف آخر ٦

١- وهو أنه سبحانه وتعالى حرَّم على أمته أن ينادوه باسمه كدعاء بعضهم بعضًا، قال (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ (النور: ٦٣)، ولم يكن هذا لنبي قبله، بل حكى عنهم مخاطبات أنبيائهم، فقال (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾ (هود: ٣٢)، وقال تعالى ذكره: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ (هود: ٥٣)، وقال (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ (هود: ٦٢)، ولم يزجرهم عن ذلك.

فلما ذكر سبحانه وتعالى رسول الله (ﷺ) قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ٤، ٥).

٢- روى أبو سلمة بن عبد الرحمن: أن الأقرع بن حابس نادى رسول الله (ﷺ) من وراء الحجرات، فسكت عنه رسول الله (ﷺ) فقال له الأقرع: إن مدحي زين وإن ذمي شين، فقال عليه الصلاة والسلام: كذبت، ذلكم الله سبحانه.

وفيه لطيفة: وهو أن الله جلت عظمته لم يصرح بما ناداه به، بل عرض له كرامة له أن يسمع ما يكرهه، وكذلك في قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٣) لم يصرح بما شانه. وكذلك في قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: ١).

شرف آخر ٧

أسماء الله تعالى على نوعين: أحدهما لا يجوز أن يسمى بها مخلوق، والثاني: جائز أن يسمى بها مخلوق، فما جاز مدح به بعض أنبيائه، وقد يرد على صفة واحدة، كقوله في مدح نوح (عليه السلام): ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء: ٣) ومدح نفسه فقال: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٣٤)، وكذلك إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ (هود: ٧٥) ومدح نفسه فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٣٥)، وقال في موسى (عليه السلام): ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ (الدخان: ١٧)، ومدح نفسه فقال: ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٤٠)، فلما مدح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جمع له بين الوصفين فقال: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، كما مدح نفسه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٤٣).

شرف آخر ٨

وهو أن الله تبارك وتعالى تولى الرد على المشركين فيما عابوا عليه، بقولهم: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ (الصافات: ٣٦)، فرد عليهم فقال: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات: ٣٧)، وكذلك في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ (الطور: ٣٠) فرد عليهم فقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ (يس: ٦٩).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ (الفرقان: ١٤)، فرد عليه فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ (النحل: ١٠٣)، ثم قال: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل: ١٠٣) تخصيصًا لرسول الله (ﷺ).

وكان كل نبي إذا قوبل بما يكره يتولى الجواب بنفسه، كما ذكر لنوح (عليه السلام) في قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الأعراف: ٦٠) قال نوح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف: ٦١).

وكذلك في قصة هود قال له قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (الأعراف: ٦٦) فأجاب عن نفسه فقال: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف: ٦٧).

وكذلك في قصة موسى (عليه السلام) قال له فرعون: ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ (الإسراء: ١٠١)، فرد عن نفسه فقال: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ (الإسراء: ١٠٢).

ولما عيروا رسول الله (ﷺ) بالجنون رد الله تعالى الجواب عنه (ﷺ)، فقال (عز وجل): ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ (التكوير: ٢٢).

قوله: «تولى الرد على المشركين»: ومن فضائله (ﷺ): أن من تقدمه من الأنبياء (عليهم السلام) كانوا يدفعون ويردون عن أنفسهم ما قرفهم به مكذبوهم من السفه والضلال والكذب، وتولى الله ذلك عن رسوله فنزهه عما نسبوه إليه تشريفًا وتعظيمًا.

شرف آخر ٩

ذكر الله عز اسمه فضلَه على الأنبياء ولم يقيده بالتعظيم والتفخيم فقال

حاكيًا عن يوسف (عليه السلام): ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (يوسف: ٣٨).

وحكي عن سليمان (عليه السلام) قوله (عز وجل): ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾ (النمل: ٤٠).

وفي قصة داود (عليه السلام) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ﴾ (سبأ: ١٠).

فلما جاء إلى صنيعه مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ﴿وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ (النساء: ١١٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا﴾ (الإسراء: ٨٧).

فوصف الفضل مع محمد (صلى الله عليه وسلم) بالكبير والعظيم إجلالًا وتعظيمًا.

قوله: «فوصف الفضل مع محمد بالكبير والعظيم»:

قال القاضي عياض في الشفاء: حارت العقول في تقدير فضله عليه، وخرست الألسن دون وصف يحيط بذلك أو ينتهي إليه.

شرف آخر ١٠

وهو أن الأنبياء (عليهم السلام) أرسلهم سبحانه وتعالى إلى طائفة وأمة فقال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ (نوح: ١)، وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۗ﴾ (الأعراف: ٦٥)، وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۗ﴾ (الأعراف: ٧٣)، وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۗ﴾ (الأعراف: ٨٥)، وقال: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ۝٩٦ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ (هود: ٩٦، ٩٧).

فلما أرسل محمدًا (صلى الله عليه وسلم) أرسله إلى الناس كافة أجمعين، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ (سبأ: ٢٨)، وقال: ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١)، وقال: ﴿نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ﴾ (المدثر: ٣٦)، وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾

(الأنبياء: ١٠٧).

وقال (ﷺ): بُعثت إلى الخلق كافة.

وقال (ﷺ): أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: أرسلت إلى الناس كافة، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، ونصرت بالرعب -يخاف العدو مني على مسير شهر-، وأحلت لي الغنائم، وأعطيت الشفاعة يوم القيامة.

شرف آخر ١١

١- وهو أنه (ﷺ) مبعوث إلى الجن والإنس لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ (الأحقاف: ٢٩).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ (الجن: ١).

٢- وقال رسول الله (ﷺ): بعثت إلى الأحمر والأسود يعني الجن والإنس، وفيه دليل على أن الإنس أفضل من الجن لأنه سبحانه قال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ (الأحقاف: ٢٩) فلم يأمره بالمصير إليهم كما أمره بالمصير إلى الإنس، كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ (النساء: ٧٩).

شرف آخر ١٢

وهو أن الله تعالى ذكره جعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم فقال: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ (الأحزاب: ٦)، وفي قراءة أُبيّ: ﴿وهو أب لهم﴾.

وقوله: «وفي قراءة أبي».

من حديث ابن جريج، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت بجالة التميمي قال: مر عمر بغلام وهو يقرأ: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه وهو أب

لهم) فقال عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) : احكها يا غلام، قال: والله لا أحكها، اقرأنيها أبيّ، فأرسل عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) إلى أبيّ بن كعب فجاءه، قال: فرفع صوته عليه، فقال أبيّ: كان يشغلني القرآن، إذ كان يشغلك الصفق بالأسواق، قال: فسكت عمر وإسناده على شرط البخاري.

شرف آخر ١٣

وهو في قوله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣)، افترض مودة أقربائه له، وذكر نوحًا فقال: ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٩) وكذلك قال عن هود، وصالح.

شرف آخر ١٤

وهو أنه تعالى ذكره شهد لنبيه بالإيمان وقدمه على سائر الخلق فقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

شرف آخر ١٥

وهو أنه سبحانه وتعالى جعل اتباع رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) علمًا لمحبته (عَزَّ وَجَلَّ) فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، ثم جعل الشريعة منوطة بتصديق الرسول (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر: ٧).

شرف آخر ١٦

وهو أنه سبحانه ردهم عند الاختلاف إليه وإلى رسوله كما ذكر ندبًا، فقال: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ (النساء: ٥٩) ثم قال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩).

شرف آخر ١٧

وهو أنه أوحي إليه كما أوحي إلى سائر الأنبياء، ثم جعل الله له مزية بإرسال الرسول إلى قلبه؛ لأن القلب لا يخطئ، والسمع قد يخطئ ويصيب، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ (النساء: ١٦٣) ثم خصه فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٤)، وقال جل ذكره: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٩٧).

شرف آخر ١٨

وهو أنه سبحانه وتعالى جعل التزكية إليه في الآخرة كما جعلها في الدنيا فقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣). وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١).

شرف آخر ١٩

وهو أنه سبحانه وتعالى أمره باللين وحَفِظَهُ في الوسط، وأمر موسى وهارون في الحفظ إليهما فلم ينفع فرعون، وذلك حين قال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ (طه: ٤٤). ثم قال لرسوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

شرف آخر ٢٠

وهو أنه سبحانه وتعالى ضمن عصمته من الناس، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧) فأقبل رسول الله (ﷺ) على أصحابه فقال: تفرقوا فإن الله ضمن عصمتي.

شرف آخر ٢١

وهو أنه (عز وجل) أعطى رسول الله (ﷺ) قبل المسألة، وأعطى الرسل بعد

المسألة، فحكى سبحانه وتعالى سؤال إبراهيم (عليه السلام) أنه قال: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (الشعراء: ٨٧).

وحكم له (عز وجل) ولأمته فقال: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم: ٨).

وحكى سبحان عن موسى (عليه السلام) أنه قال: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ (طه: ٢٥، ٢٦).

وقال (عز وجل) في حق نبيه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ١).

شرف آخر ٢٢

وهو أن الله تعالى ذكره قال: ﴿يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم: ٧)، يعني: مثلًا في الفضل أو عدلاً في اسمه، ولم يقل ولم نجعل له من بعد، فقيل: عبَّر بالقبل دون البَعْد لما علم أنه يبعث بعد محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو أفضل البرية.

شرف آخر ٢٣

وهو أنه سبحانه وتعالى ذكر القسم بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يقول من نفسه شيئًا، في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ (النجم: ١-٣).

ولم يبرئ غيره، كما قال (عز وجل): ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ (ص: ٢٦)، وخاف إبراهيم على نفسه فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٥) يعني أن أعمل بهوى نفسي.

وقوله: «ولم يبرئ غيره».

قال القاضي عياض (رحمه الله) في الشفا معلقًا على هذه الآيات: اشتملت هذه الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته (صلى الله عليه وسلم) وعصمتها من الآفات، فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه، فأقسم تعالى بما أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمزته الكفرة به وتكذيبهم له فأقسم (عز وجل) على هداية المصطفى، وتنزيهه عن الهوى، وصدقه فيما تلا، وأنه وحي يوحى أوصله إليه عن الله جبريل، وهو الشديد القوي، ثم أخبر تعالى عن فضيلته بقصة الإسراء.

شرف آخر ٢٤

وهو أن الله سبحانه وتعالى جعل الأنبياء (عليهم السلام) كالتبع له حيث قال (عز وجل): ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ (آل عمران: ٨١)، ثم قال تعالى ذكره: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ (آل عمران: ٨١) وكقول عيسى لقومه: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦)

وقوله: «جعل الأنبياء (عليهم السلام) كالتبع له».

فعن أبي أيوب عن علي بن أبي طالب في هذه الآية قال: لم يبعث الله (عز وجل) نبيًا، آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه العهد في محمد لئن بُعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه.

ومن حديث ابن عباس في هذه الآية، قال: ثم ذكر ما أخذ عليهم -يعني على أهل الكتاب وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه، يعني: بتصديق محمد (صلى الله عليه وسلم) إذا جاءهم وإقرارهم به على أنفسهم.

وعن قتادة في هذه الآية قوله: هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضًا، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد (ﷺ) ويصدقوه وينصروه وعن الربيع قوله: هم أهل الكتاب، يقول: لتؤمنن بمحمد ولتنصرنه.

شرف آخر ٢٥

وهو أن الأسوة برسول الله (ﷺ) مطلقة عامة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ (النور: ٥٤).

وقوله: مطلقة عامة.

ذكر المصنف قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ لإخراج ما خُصَّ به (ﷺ) من ذلك الإطلاق والعموم الذي أشار إليه.

شرف آخر ٢٦

وهو أن الله تعالى ذكره لما ذكر عاص بن وائل السهمي رسوله (ﷺ) فقال عنه: إنه أبتر، وإنه إذا مات ذهب ذكره، رد ذلك أولًا، ولم يذكر ما عابه به؛ لكي لا يسمع رسوله (ﷺ) ما يكره ثانيًا، فقال: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ١-٣) يعني: هو المنقطع ذكره وأما أنت يا محمد فرفعنا لك ذكرك فتذكر حين أذكر، وقال: أنت ذكر، فحيث ذكرتُ ذكرتَ، قال تعالى: ﴿ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا﴾ (الطلاق: ١٠، ١١).

وقوله: «فقال عنه: إنه أبتر».

وذلك لما تأخر وأبطأ عليه الولد من السيدة خديجة (رضي الله عنها)، وقيل: عابه لما

توفي القاسم ابن رسول الله (ﷺ) أو إبراهيم ولده (ﷺ) من مارية القبطية
وروي ذلك من طرق عن ابن عباس وأبي أيوب، والسدي من مارية القبطية
وروي ذلك من طرق عن ابن عباس وأبي أيوب، والسدي ومحمد بن علي، وأخرج أحاديثهم: ابن سعد في طبقاته، وقيل نزلت في عقبة بن أبي معيط حين عاب النبي (ﷺ) بأنه لا يبقى له ولد، وقيل: نزلت في كعب بن الأشرف لما قدم مكة، وشكا إليه أهلها من قريش ما يرونه من النبي (ﷺ) فقال: أنتم خير منه، فنزلت.

شرف آخر ٢٧

وهو أنه سبحانه جعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فقال جل ذكره: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ (الأحزاب: ٦) إكرامًا له، فإن قيل: على هذا فلم لم يجعل بناته أخوات للمؤمنين؛ لأنهن بنات الزوجات وهن أمهاتم؟ فالجواب: أن ذلك على وجه الكرامة، والإنسان يلحقه غضاضة أن تخطب امرأته التي كانت في حباله لآخر، ويلحقه غضاضة أن لا تخطب بناته، فالمعنى الذي أوجب أن لا تخطب النساء: أوجب أن تخطب البنات.

قوله: «إكرامًا له».

زاد القاضي عياض (رحمه الله): وخصوصية، لأنهن له أزواج في الجنة، فهن في الحرمة كالأمهات، حرم نكاحهن عليهم بعده.

شرف آخر ٢٨

وهو أنه سبحانه وتعالى علَّم رسوله (ﷺ) أن يستغفر لنفسه وللمؤمنين، فقال (عز وجل): ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ (محمد: ١٩)، ثم لابد أن يجيبه، وإلا ما كان للأمر من فائدة.

ولم يكن هذا للأنبياء (عليهم السلام)؛ لأن نوحًا (عليه السلام) سأل في ابنه الهدى، وسأل إبراهيم (عليه السلام) في أبيه فلم يجبهما؛ لأنه لم يكن بالتعليم، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ (الإسراء: ٨٠)، و﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤) وأمثال ذلك.

شرف آخر ٢٩

وهو أنه سبحانه جعله محفوظًا وكلامه موزونا حين قال أبو بكر (رضي الله عنه) في الغار: لو نظر أحدهم إلى قدمه لرآنا، فقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠) والقصة لما خرجا متوجهين إلى الغار جعل أبو بكر طورًا يمشي خلفه، وطورًا عن يمينه، وطورًا عن شماله، فقال: ما هذا من فعالك يا أبا بكر؟! فقال: يا رسول الله أذكر الرصد فأحب أن أكون أمامك، وأذكر الخوف والطلب فأحب أن أكون خلفك، وأحفظ الطريق يمينًا وشمالاً، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حافيًا يطؤ الأرض بجميع قدميه، فحمله أبو بكر حتى انتهى إلى الغار فلما وضعه ذهب (صلى الله عليه وسلم) ليدخل، فقال أبو بكر: والذي بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخله فأسبره، فدخل أبو بكر (رضي الله عنه) يلتمس بيده في ظلمة الغار مخافة أن يكون فيه شيء يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلم ير شيئًا، ثم دخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فكانا فيه، فلما أسفر الصبح بعض الإسفار، رأى أبو بكر خرقًا في الغار فألقمه قدمه حتى الصباح مخافة أن يخرج منه ما يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الهوام وغيره، فلما جاء الطلب وخاف أبو بكر قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اسم الله على اسمه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة: ٤٠).

وموسى (عليه السلام) لما قالوا له حين تراءى الجمعان: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء: ٦١، ٦٢)، فقدم نفسه في الخطاب.

وقوله: «فقدم نفسه في الخطاب».

قال الإمام العارف الشمس ابن اللبان الشافعي معلقًا على هذا الشرف: تأمل رحمك الله في قول موسى (عليه السلام) لبني إسرائيل: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ (الشعراء: ٦٢)، وقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) للصديق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ (التوبة: ٤٠).

فموسى خص بشهود المعية، ولم يتعد منه إلى أتباعه ونبينا تعدى منه إلى الصديق، ولم يقل معي؛ لأنه أمد أبا بكر بنوره فشهد سر المعية، ومن ثم سرى سر السكينة على أبي بكر، وإلا لم يثبت تحت أعباء هذا التجلي والشهود، وأين معية الربوبية في قصة موسى (عليه السلام) من معية الإلهية في قصة نبينا (صلى الله عليه وسلم).

شرف آخر ٣٠

وهو أنه سبحانه وتعالى ذكر القسم بثلاثة أشياء فقال: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ (القلم: ١، ٢) حتى قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ (القلم: ٤)، قال (صلى الله عليه وسلم): بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، ولم يجعل ذلك لأحد قبله.

وقال لإبراهيم (عليه السلام) ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ (هود: ٧٥)، وقال لإسماعيل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ (مريم: ٥٤)، وقال سبحانه وتعالى لإدريس: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾ (مريم: ٥٦) وقال (عز وجل) ليونس (عليه السلام): ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ﴾ (الصافات: ١٤٣)، وقال سبحانه وتعالى ليحيى (عليه السلام): ﴿وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا﴾ (آل عمران: ٣٩)، وقال: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٣٠)، وقال لأيوب: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ (ص: ٤٤)، ولم يذكر القسم على مدح أحد.

شرف آخر ٣١

وهو أن الله تعالى أقامه خليفة في أرضه، وقال: كل ممن بايعك فقد بايعني وقد رضيت عنه، قال (عَزَّوَجَلَّ): ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفتح: ١٨) وكان بالحديبية ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ (الفتح: ١٠).

شرف آخر ٣٢

وهو أن الله تعالى ذكره فعل فعلاً على يدي رسول الله (ﷺ) نسبه إليه من وجه وإلى نفسه من وجه فقال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال: ١٧)، حمل رسول الله (ﷺ) قبضة من تراب ورمى بها إلى وجوههم، وقال: شاهت الوجوه، يعني: قبحت، فتحمل الله ذلك إلى أعينهم وأعماهم حتى اجتاز بهم رسول الله (ﷺ) ولم يروه.

قوله: «حتى اجتاز بهم رسول الله (ﷺ) ولم يروه».

الآية التي أورودها المصنف (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) وإن كان يدخل في معناها ما أورده ليلة خروجه (ﷺ) من مكة مهاجرًا إلا أن المشهور أنها متعلقة بفعله يوم بدر.

ومن حديث ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ (الأنفال: ١٧) قال: هذا يوم بدر، أخذ رسول الله (ﷺ) ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم، وحصاة في ميسرة القوم، وحصاة بين أظهرهم، فقال: شاهت الوجوه، فانهزموا.

ومن حديث محمد بن قيس، ومحمد بن كعب القرظي قالا: لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله (ﷺ) قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم، وقال: شاهت الوجوه، فدخلت في أعينهم كلهم، وأقبل أصحاب رسول

الله (ﷺ) يقتلونهم ويأسرونهم، وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله (ﷺ) فأنزل الله (عز وجل): ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال: ١٧).

وقد روي عن ابن المسيب والزهري أنها نزلت في رمية رسول الله (ﷺ) يوم أحد أُبَيَّ بن خلف بالحرية، أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وأخرجا من حديث عبد الرحمن بن جبير (رضي الله عنه) أنها نزلت يوم رمى ابن أبي الحقيق بقوسه وهو على فراشه، والآية تحتمل ذلك.

فأما خروجه مهاجرًا إلى المدينة فمن حديث محمد بن كعب القرظي قال: اجتمع قريش وفيهم أبو جهل على باب النبي (ﷺ).

فقالوا على بابه: إن محمدًا يزعم أنكم إن بايعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم وبعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها، فخرج رسول الله (ﷺ) وأخذ حفنة من تراب في يده قال: نعم أقول ذلك، وأنت أحدهم، وأخذ الله على أبصارهم فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هذه الآيات: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (يس: ١، ٢) إلى قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس: ٩)، حتى فرغ رسول الله (ﷺ) من هذه الآيات، فلم يبق رجل إلا وضع على رأسه ترابًا، فوضع كل رجل منهم يده على رأسه وإذا عليه تراب فقالوا: لقد كان صدقنا الذي حدثنا.

شرف آخر ٣٣

١- ذكر الله (عز وجل) أنبياءه (عليهم السلام) فلم يقسم لأحد منهم اسمًا مشتقًا من أسمائه تعالى ذكره، وشق اسم رسول الله (ﷺ) من الحميد والمحمود: محمد (ﷺ): ومدحه عمه أبو طالب فقال:

وشـق لـه مـن اسـمـه ليجله   فذو العرش محمود وهذا محمد

فبين كرامته.

٢- وروي: أن الله بعث مئة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي (صلى الله عليهم أجمعين)، منهم: ثلاثمئة وثلاثة عشر مرسلاً، والرسول لا يكون إلا نبيًا، والنبي يكون ولا رسالة له.

وقوله: وروي أن الله بعث.

روي من مسند أبي أمامة وأبي ذر الغفاري.

أما حديث أبي أمامة فله طريقان، فأخرجه الإمام أحمد من حديث علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة أن النبي (ﷺ) كان في المسجد وكانوا يظنون أنه ينزل عليه وفيه: قال أبو ذر: قلت يا نبي الله فأي الأنبياء كان أول؟ قال (ﷺ): آدم، قال: قلت: يا نبي الله أو نبي كان آدم؟ قال (ﷺ): نعم، بني مكلم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه روحه ثم قال له يا آدم قبلا، قال: قلت يا رسول الله كم وفَّى عدة الأنبياء؟ قال (ﷺ): مئة ألف وأربعة وعشرون ألفًا الرسل من ذلك ثلاثمئة وخمسة عشر جمًا غفيرًا.

شرف آخر ٣٤

وهو أن الله تعالى جعله سعادة لأمته لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ (الفتح: ١٨) فجعل رضاه في مبايعة رسوله (ﷺ)، كما جعل محبته في متابعة رسوله (ﷺ) فقال: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١) وحين ذكر سبحانه الحواريين لم يذكر لهم فضيلة، ولما وصف أمة محمد (ﷺ) في الكتب المنزلة عليهم امتدحهم فقال (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ (الفتح: ٢٩).

شرف آخر ٣٥

وهو أن دعوات الأنبياء أكثرها بر كقول آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ (الأعراف: ٢٣)، وكقول نوح: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾ (نوح: ٢١)، ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح: ٢٦).

فعلَّم الله سبحانه وتعالى نبيه (ﷺ) فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ (المؤمنون: ٩٧، ٩٨)، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ (الفلق: ١)، و ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤)، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ (الناس: ١) وزاده تعليمًا فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ (آل عمران: ٢٦)، و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الزمر: ٤٦).

فالله اسم يمتنع أن يدعى به غيره، وليس الرب كذلك؛ لأن العرب تقول: رب الدار، رب الدابة، ولذلك قال الصديق يوسف: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ (يوسف: ٤٢) فهذا تخيص وشرف لا يشترك فيه غيره (ﷺ).

شرف آخر ٣٦

١- وهو أنه سبحانه وتعالى لم يعط رسله إلَّا بعد سؤالهم إياه، وأعطى محمدًا (ﷺ) وأمته بغير سؤال فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ١) وقال موسى (عليه السلام) ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ (طه: ٢٥).

وجعل أصحاب محمد (ﷺ) وزراءه فقال: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ (التوبة: ٤٠)، وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ (الفتح: ٢٩).

٢- قال (ﷺ): لي وزيران في الأرض أبو بكر وعمر وقال لعلي: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، وسأل موسى ربه الوزير فقال: ﴿وَٱجْعَل

﴿لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي﴾ (طه: ٢٩-٣١).

وقوله: «لي وزيران في الأرض».

ومن طرق عن عطية العوفي عنه مرفوعًا:

ما من نبي إلَّا وله وزيران من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر.

شرف آخر ٣٧

١- وهو أنه تعالى ذكره جعل فعل الرسول فعل نفسه، وفعل نفسه فعل الرسول (ﷺ) فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠) وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال: ١٧) ثم جعل أمر التحريم والتحليل إليه ولم يجعل ذلك لأحد قبله، وهو أن الحرم أحل له حتى دخل محاربًا وغير محارب.

٢- قال رسول الله (ﷺ): لم تحل لأحد قبلي ولا لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من النهار.

قوله: «وإنما أحلت لي ساعة».

ومن حديث أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قام عام الفتح فقال: إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليهم رسوله والمؤمنين ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي.. الحديث في الصحيحين.

٣- وحين قيل له: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة قال رسول الله (ﷺ):

اقتلوه، فجعله حِلًا وهو حول الكعبة.

٤- وجعل رسول الله (ﷺ) دار أبي سفيان حرمًا وهو بعيد من البيت فقال (ﷺ): من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

شرف آخر ٣٨

وهو أنه سبحانه فوض إليه (ﷺ) بعض شرائعه بتسديد الله إياه في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ (النساء: ١٠٥)، وقال للأمم السابقة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ (المائدة: ٤٤) إلى قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤) ثم خاطب أهل الإنجيل فقال (عَزَّوَجَلَّ): ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (المائدة: ٤٧)، وجعل تارك الحكم بالتوراة ظالمًا وبالإنجيل فاسقًا وبالقرآن كافرًا، فرقًا بين الحكم بالقرآن والحكم بالتوراة والإنجيل.

شرف آخر ٣٩

وهو أنه (عَزَّوَجَلَّ) جعل التشديد والثقل على الأمم المتقدمة وجعل التسهيل والتيسير للنبي (ﷺ) وأمته فقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٥، ٦)، فجعل اليسرين مع عسر واحد قال رسول الله (ﷺ): لن يغلب عسر يسرين، ذلك أن العسر ذكره مرتين ومعناه مرة واحدة، لذكره إياه معرفًا بلام التعريف فهو مرة واحدة، أما اليسر فذكره منكرًا، فيكون يسرين قوله: «قال رسول الله (ﷺ)».

من طريق عائذ بن شريح قال: سمعت أنس بن مالك يقول: كان النبي (ﷺ) جالسًا وحياله جحر فقال (ﷺ): لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه، فيخرجه فأنزل الله (عز وجل): ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٥، ٦).

ومن حديث قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله (ﷺ) بشَّر أصحابه بهذه الآية فقال (ﷺ) لن يغلب عسر يسرين إن شاء الله.

وقال: خرج رسول الله (ﷺ) يومًا فرحًا مسرورًا وهو يقول (ﷺ): لن يغلب عسر يسرين، لن يغلب عسر يسرين: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٥، ٦) وفي رواية: أبشروا أتاكم اليسر، لن يغلب عسر يسرين.

قال الحافظ في الفتح: كتب عمر إلى أبي عبيدة: لهما ينزل بامرئ من شدة يجعل الله له بعدها فرجًا، وإنه لن يغلب عسر يسرين.

وقال عز ذكره في التشديد على الأمم السابقة لموسى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ﴾ (الأعراف: ١٤٥)، ثم قال: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ (الأعراف: ١٧١) وقال: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ﴾ (مريم: ١٢).

وقال في صفة النبي (ﷺ): ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٣، ١٩٤) وقال في شأن أمته: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ (العنكبوت: ٤٩). ورفع عنهم تلك الشدائد والأغلال حيث قال: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

شرف آخر ٤٠

١- وهو أن الله سبحانه جعل رزقه طيبًا مما أعطاه الله إياه، ولم يفرق بين ملكه وملك النبي (ﷺ) فقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ (الأنفال: ١) وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ (الأنفال: ٤١) فجعل -سبحانه وتعالى- خمس الخمس من الغنيمة، وأربعة أخماس الفيء وخمس خمسة مخصوصان بطعمته (ﷺ) وهي من أطيب الوجوه.

٢- قال (ﷺ): جعل رزقي في ظل سيفي، وقال للأنبياء (ﷺ): ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًاۖ﴾ (المؤمنون: ٥١) فبعضهم يكتسب وبعضهم يرعى بأجره وغير ذلك.

قال الحليمي في المنهاج، معلقًا على هذا الحديث: فلو كان انتظار الرزق بالصبر والصمت أفضل من طلبه -بما أذن الله تعالى فيه- لما حرم الله رسوله أفضل الوجهين.

وقال الإمام الغزالي (رحمه الله) معلقًا: الأنبياء (عليهم السلام) أشرف مخلوق على وجه الأرض، وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته، وأعلاهم رتبة نبينا (ﷺ) إذ أكمل الله به الدين وختم به النبيين، قال: ويلي الأنبياء: العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، فإنهم في أنفسهم صالحون، وقد أصلح الله بهم سائر الخلق، قال: ثم يليهم السلاطين بالعدل، لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم، قال: ولاجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا محمد (ﷺ) كان أفضل من سائر الأنبياء، فإنه أكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم إذ لم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء.

شرف آخر ٤١

١- وهو أن الملائكة كانت تنزل وتحارب العدو مع رسول الله (ﷺ) وقد

ذكر الله محاربة الأنبياء مع أعدائهم ولم يذكر إنزال الملائكة فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ (البقرة: ٢٤٦) إلى أن قال: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ (البقرة: ٢٥١) وذكر موسى ولم يذكر إنزال الملائكة وأنها قاتلت معه وذكر محمدًا (ﷺ)، فقال: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران: ١٢٥)، وقال في موضع آخر: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ (آل عمران: ١٢٤)، وقال جل ذكره: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران: ١٢٥)، وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال: ٩)، وقال: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (التوبة: ٢٦)، فذكر الملائكة ولم يكن ذلك إلا له (ﷺ).

قوله: «وهو أن الملائكة كانت تنزل وتحارب»:

قال الحليمي (رحمه الله) في المنهاج في معرض بيان أدلة أفضليته: ووجه سادس وهو أن من ينزل عليه الملك كرامة له إذا كان أفضل ممن لم ينزل عليه، وحسب أن يكون من ينزل عليه فيتجاوز مكالمته مقاتلة المشركين عنه حتى يظفره الله عليهم أفضل ممن لا يكون من الملك إلا إبلاغ الرسالة إياه ثم الانصراف عنه، ومعلوم أن هذا لم يكن إلا لنبينا (ﷺ)، فينبغي أن يكون لذلك أفضل الأنبياء صلوات الله عليهم.

وقال البيهقي في الشعب: أما قتال الملائكة مع النبي (ﷺ) فإنها كرامة خالصة عرّضه الله لها بفضله دلالة على نفاسة قدره وعظيم منزلته.

٢- وروي: أنه لما رجع رسول الله (ﷺ) من الأحزاب وضع لأمته وسلاحه، فنزل جبريل (عليه السلام) وقال: يا محمد، أتضع سلاحك ونحن معشر الملائكة لم

نضع الأسلحة؟! فخرج إلى بني قريظة وبني النضير.

وأخرج البخاري في المغازي بعد روايته قول جبريل (عليه السلام) للنبي (صلى الله عليه وسلم) من حديث أنس قال كأني أنظر إلى الغبار ساطعًا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى بني قريظة.

٣- وروي أن بعض الصحابة قال: يا رسول الله شددت على رجل من المشركين لأقتله فسمعت صوتًا من الهواء يقول: أقدم حيزوم، فسبقني وقتل الرجل، قلت: فمن حيزوم؟ فقال (صلى الله عليه وسلم):

حتى أسأل جبريل (عليه السلام)، فلما نزل سأله عنه فقال: ما كل خلق الله أعرفه، فهذه منقبة ومنزلة لم تذكر لأحد من الأنبياء قبله دل على شرف منزلته.

قوله: «أقدم حيزوم»:

وعن ابن عباس في قصة بدر: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: صدقت، ذلك مدد من السماء الثالثة، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين.

وعن ابن عباس عن رجل من بني غفار قال: حضرت أنا وابن عم لي بدرًا ونحن على شركنا، وإنا لفي جبل ننتظر الواقعة على من تكون الدائرة، فأقبلت سحابة فلما دنت من الجبل سمعنا منها حمحمة الخيل، وسمعنا قائلاً يقول: أقدم حيزوم، قال: فأما صاحبي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه،

وأما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت.

قوله: «حتى أسأل جبريل»:

ومن حديث خارجة بن إبراهيم، عن أبيه قال: قال رسول الله (ﷺ) لجبريل: من القائل يوم بدر من الملائكة: أقدم حيزوم؟ فقال جبريل: يا محمد ما كل أهل السماء أعرف! فيحتمل أن يكون هذا قبل أن يعلمه الله، لما تقدم قبله في رواية مسلم والله أعلم.

وروي عن بعض الصحابة أنه قال: كنا نقصد الرجل من المشركين فقبل أن تصل إليه سيوفنا نرى رأسه ملقى بين أيدينا.

قوله: «وروي عن بعض الصحابة»:

أخرج الحاكم في المستدرك (٣/٤٠٩)، والبيهقي في الدلائل (٣/٥٦)، وأبو نعيم -كما في الخصائص الكبرى (١/٥٠١)- من حديث أبي أمامة بن سهل، قال: قال لي أبي: يا بني لقد رأيتنا يوم بدر، وإن أحدنا يشير بسيفه إلى رأس الشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه، صححه الحاكم، وأقره الذهبي في التلخيص وإسحاق بن يسار، وعن رجال من بني مازن بن النجار، عن أبي داود المازني -وكان شهد بدرًا- قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه إذ رفع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري.

وعن أبي بردة بن نيار، قال: جئت يوم بدر بثلاثة رؤس بين يدي النبي (ﷺ) فقلت: يا رسول الله أما رأسان فقتلتهما، وأما الثالثة فإني رأيت رجلاً أبيض طويلاً ضربه، فأخذت رأسه، فقال رسول الله (ﷺ): ذاك فلان من الملائكة.

شرف آخر ٤٢

وهو انتصار الله له ممن يؤذيه -وإن كانت امرأة- لأن الله تعالى ذكر امرأة

نوح وامرأة لوط فقال: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ (التحريم: ١٠)، فذكر الله خيانتهما والأذى بلسانيهما، ولا يجوز لامرأة نبي أن ترتكب المحظور، أما امرأة نوح فكانت تقول: هذا مجنون، وأما امرأة لوط فكانت تخبر المشركين بأضيافه.

فلما ذكر الله تبارك وتعالى أزواج النبي (ﷺ) قال: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم: ٤) زجرًا لنسائه عن التظاهر عليه، ومراجعته ومخالفته، ورفعة لمنزلته (ﷺ)، قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ﴾ (الأحزاب: ٣٠) إلى قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣١) وقال: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ (الأحزاب: ٣٢) إلى قوله ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (الأحزاب ٣٢)، وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

شرف آخر ٤٣

في قوله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ١) وقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩)، يحمده الأولون والآخرون لأن لك مقام الشفاعة، والكوثر نهر في الجنة، وفيه أن بعض الكفار عابه بأنه أبتر وينقطع ذكره عند موته فأحزن ذلك رسول الله (ﷺ) فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية تسلية له، ثم قال في آخر السورة بعد أن قال: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ (الكوثر: ٢)، اشتغل بي، واشكر لي ولا تجبهم فإني أجيبهم عنك إن الذي عابك هو الأبتر، وهذا كما قال: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ (القلم: ١، ٢)، لما عابوه بأنه كاهن ومجنون، وكما قال

بعد القسم: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (الضحى: ١-٣)، وذلك حين زعمت الجهال عند انقطاع الوحي عنه أيامًا تأديبًا له وتهذيبًا لأخلاقه، قالوا: إن محمدًا قلاه ربه فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (الضحى: ٣)، فأجابهم كما شاء.

قوله: «يحمده الأولون والآخرون»:

ومن حديث ابن مسعود وإني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة، فقال الأنصاري: وما ذاك المقام المحمود؟ قال: ذاك إذا جيء بكم عراة حفاة غرلاً، فيكون أول من يكسى إبراهيم (عليه السلام) يقول: اكسوا خليلي، فيؤتى بربطتين بيضاوين فيلبسهما، ثم يقعد فيستقبل العرش، ثم أوتى بكسوتَيَّ فألبسهما، فأقوم عن يمينه مقامًا لا يقومه أحد غيري فيغبطني الأولون والآخرون...

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩)، عن ابن عمر قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي (ﷺ)، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

٢- فمنهم أبو لهب حين قام رسول الله (ﷺ) على العقبة بمكة وجمع قريشًا فقال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا! تبًا لك.

فأنزل الله تعالى وأجابه عنه فقال: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ (المسد: ١-٥) فذكره وذكر امرأته وأجابه بواحدة ستة.

شرف آخر ٤٤

١- وهو أن الله تعالى جعله رحمة للناس ورحمة للعالمين فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ (الفرقان: ٥٦)، ثم بين ما للمؤمنين وما للكافرين فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ (إبراهيم: ١)، وقال: ﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

فجعله سببًا لنجاة المؤمنين، ثم لما نجاهم وأنقذهم لا يردهم إلى النار، هذا للمؤمنين. وقال للكافرين: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣)، يعني: ما دمت نبيهم يا محمد فإن الله لا يعذبهم، ولا يعذبهم أيضًا وفي أصلابهم مؤمن يستغفر، وذلك حين ذكر المتقدمين من الكفار فقال: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ (العنكبوت: ٤٠)، وذكر موسى وما دعا على قومه: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ (يونس: ٨٨)، ففعل وجعل سُكّرهم حجرًا، وأنزل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع، فلما قال جهال قريش: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ (الأنفال: ٣٢)، قال الله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾ (الأنفال: ٣٣)، وهذا بيِّن في رحمته للمؤمنين والكافرين، وشرف لا يشاركه فيه أحد من الأنبياء.

قوله: «فلما قال جهال قريش»:

أخرج الإمام البخاري في التفسير من صحيحه من حديث أن أبا لهب قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ

﴿ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الأنفال: ٣٢)، قال: فنزلت: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ ﴾ (الأنفال: ٣٣).

قوله: «وشرف لا يشاركه فيه أحد من الأنبياء»:

ذلك أن الله تعالى عذب أمم من تقدم من الأنبياء في حياة رسلهم وأنبيائهم أمام أعينهم، وشرف نبيه (ﷺ) بأنه لم يهلك أمته في حضرته، ولن يهلك جميعها بعده لأسباب إلهية رتبها بحكمته، وجعلها مرتبطة بنبيه لما منَّ عليه بفضله وخصه بكرمه، بينت ذلك وأوضحته جملة من الأحاديث المروية:

منها: من حديث أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ ﴾ (الأنفال: ٣٣)، قال: أنزل الله عليّ أمانين لأمتي: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٣).

ومنها: من حديث ثوبان: وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، وألا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من أقطارها ... وفي حديث عمرو بن قيس عند الدارمي: وإن الله وعدني في أمتي وأجارهم من ثلاث: لا يعمهم بسنة، ولا يستأصلهم عدو، ولا يجمعهم على ضلالة.

ومنها: من حديث أبي موسى مرفوعًا: إن الله إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطًا وسلفًا يشهد له... الحديث.

ومنها: ما من حديث ابن مسعود مرفوعًا: حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض أعمالكم عليّ، فما رأيت من خير حمدت

الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم.

٢- قوله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ١-٤)، وذلك حين قالوا: إنه ليس بوحي وإنه لسحر، فأقسم سبحانه بالنجم الذي في السماء.

شرف آخر ٤٦

وهو في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (النجم: ٩) يعني: بل هو أدنى من ذلك، وهذه مرتبة خص الله بها محمدًا (ﷺ)، لم يشركه فيها أحد من أنبيائه، وليس المراد هنا تقريب المكان وإنما هو تقريب الجاه، يقال: فلان قريب من فلان ينظره بعينه، أراد جاهه عنده.

قوله: «وإنما هو تقريب الجاه»:

روي نحوه عن جعفر بن محمد، ذكره القاضي عياض في الشفا فقال: قال جعفر بن محمد -يعني في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ (النجم: ٩): الدنو من الله لا حد له، انقطعت الكيفية عن الدنو، ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه، ودنا محمد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان، فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه، وزال عن قلبه الشك والارتياب؟

قال القاضي عياض: اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى، بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد، وإنما دنو النبي (ﷺ) من ربه وقربه منه إبانة عن عظيم منزلته وتشريف رتبته وإشراف أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته، ومنٌّ الله تعالى مبرة وتأنيس وبسط وإكرام، قال: ويتأوله فيه ما يتأول في قوله (ﷺ): ينزل ربنا إلى سماء الدنيا على أحد الوجوه، نزول إفضال وإجمال

وقبول وإحسان، قال الواسطي: من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة، بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدًا -يعني: عن درك حقيقته- إذ لا دنو للحق ولا بعد. اهـ.

شرف آخر ٤٧

وهو أن الله تعالى حكم له بتمام الأعمال، وجعل الزيادة نافلة له فقال عز من قائل: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾ (الإسراء: ٧٩) والنافلة لا تكون إلا زيادة على الفرض، وذكر إبراهيم فقال: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ ﴾ (البقرة: ١٢٤)، وقال: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾ (النجم: ٣٧) ولم يذكر الإتمام لأحد غير إبراهيم وزاد لرسول الله (ﷺ).

ومن حديث مجاهد في قوله تعالى: ﴿نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ (الإسراء: ٧٩) قال: لم تكن النافلة لأحد إلا للنبي (ﷺ) خاصة، من أجل أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما عمل من عمل مع المكتوب فهو نافلة سوى المكتوب من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب، والناس يعملون ما سوى المكتوب في كفارة ذنوبهم، فليس للناس نوافل، إنما هي للنبي (ﷺ) خاصة.

وأخرج ابن أبي حاتم برقم ١٣٣٦٦، وابن جرير (١٥/ ١٤٣)، عن قتادة، مثله وأخرج ابن المنذر -كما في الدر المنثور- عن الحسن، مثله.

شرف آخر ٤٨

وهو أنه سبحانه أمر الأنبياء المتقدمين بالبشارة به قبل بعثته، وجعل نبوته ممتدة إلى قيام الساعة، فقال حاكيًا عن عيسى (عليه السلام): ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ﴾ (الصف: ٦)، وقد علمنا أن نبوة النبي المتقدم تكون إلى خروج

النبي المتأخر، ثم لما لم يكن بعد رسول الله (ﷺ) نبي لقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، وقوله معلمًا رسوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ (الأنعام: ١٩)، كان الإنذار قائمًا إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران: ٨٥).

قوله: «أمر الأنبياء المتقدمين بالبشارة»:

للإعلام به، قال البيهقي (رحمه الله) في الشعب عند الكلام على بيان أفضليته: ومنها أنه (ﷺ) في الدنيا أكثر الأنبياء إعلامًا، ومعلوم أن أقل الإعلام إذا كان يوجب الفضيلة فإن كثرة الإعلام توجب لصاحبها اسم الأفضل.

شرف آخر ٤٩

وهو أن الله تعالى جعل أمته خير الأمم لكون نبيِّها خير الأنبياء، فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، ولم يذكر هذا التفضيل لأمة من الأمم، وإن مدح قومًا فإنما مدح طائفة فقال (عز وجل): ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٩) ولم يمدح الله (عز وجل) من مدح الأقوام إلا على التخصيص، وعم بالفضل أمة محمد (ﷺ) ولم يخص، فصار ذلك فضيلة له على الأنبياء قبله.

شرف آخر ٥٠

وهو أن الله تعالى جعل القرآن شرفًا له ولقومه فقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (الزخرف: ٤٤)، وقال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ (الأنبياء: ١٠) يعني: شرفكم، ونزل القرآن بلسانهم فقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ (الزخرف: ٣)، وقال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء: ١٩٥)، إكرامًا له وإبانة لفضله ودرجته (ﷺ).

وعن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وأبي حصين، والسدي في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ (ص: ١)، قالوا: ذي الشرف.

قوله: «ونزل القرآن بلسانهم»:

أي: بلسان قريش، ومن مرسل محمد بن إبراهيم التيمي أنهم كانوا عند النبي (ﷺ) في يوم دجن فقال: كيف ترون بواسقها، الحديث وفيه: فقال رجل: يا رسول الله ما أفصحك؟ ما رأيت الذي هو أعرب منك؟ فقال: حق لي، وإنما أنزل القرآن علي بلسان عربي مبين.

ويروى عن سفيان بن عيينة في تفسير هذه الآية أنه قال: يسأل الرجل فيقال: من أين أنت؟ فيقول: من العرب، فيقال: من أي قبيلة؟ فيقول: من حي من قريش، فيقال: كفى بقريش شرفًا أن أنزل الله القرآن بلسانهم ولغتهم.

قوله: «ويروى عن سفيان بن عيينة»:

وعن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: يقال: ممن هذا الرجل؟ يقال: من العرب، فيقال: من أي العرب؟ يقال: من قريش، فيقال: من أي قريش؟ فيقال: من بني هاشم.

شرف آخر ٥١

١- وهو أن الله تعالى جعل أمته ذوي العقول والألباب، ورسوله (ﷺ) أكثرهم عقلاً، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (البقرة: ١٩٧)، وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ (ق: ٣٧).

وذكر تعالى الأمم السالفة فقال في قصة أصحاب موسى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۖ﴾ (البقرة: ٥٧).

وقوله: «ورسول الله (ﷺ) أكثرهم عقلاً»:

ومن حديث وهب بن منبه قال: قرأت في واحد وسبعين كتابًا فوجدت جميعها أن محمدًا (ﷺ) أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأيًا فكان ينزل على أصحاب موسى الطير المشوي والترنجبين الأبيض، فقالوا: ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ﴾ (البقرة: ٦١)، قال موسى: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ﴾ (البقرة: ٦١)، استصغر عقولهم، وقالوا حين رأوا الأصنام في قوله: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ (الأعراف: ١٣٨)، قال موسى: ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ (الأعراف: ٣٨)، ولم ينكر الله على موسى (عليه السلام) ولا رد عليه؛ لأن الله تعالى أهلك عدوهم فرعون ونجاهم من الغرق فطلبوا بعد ذلك صنمًا يعبدونه.

ولما غاب موسى ووعدهم أربعين ليلة أخطأوا العدد، ولبَّس عليهم السامري فقال: عشرين يومًا وعشرين ليلة، واتخذ لهم العجل فعبدوه.

وكذلك لما أراد موسى (عليه السلام) أن يدخل أرض العمالقة، وعلم أصحابه قوة بطش العدو، قالوا لموسى ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤).

قوله: «والترنجبين الأبيض».

هو المن، ومن حديث السدى في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ﴾ (البقرة: ٥٧).

قال: قالوا: يا موسى كيف لنا بماء ههنا؟ أين الطعام؟

فأنزل الله عليه المن، فكان يسقط على شجر الترنجبين، والسلوى: طائر

يشبه السمانى.

٢- ولم يحك الله عن أمة محمد (ﷺ) مثل هذا، بل لما أراد الخروج إلى الغزو وقال له أصحابه: لا نقول لك اذهب أنت وربك كما قال أصحاب موسى، بل نقول: نحن معك برًا وبحرًا ونفديك بآبائنا وأمهاتنا.

وقوله: «لما أراد الخروج إلى الغزو»:

يعني: إلى بدر، أخرج الإمام البخاري في المغازي من صحيحه باب قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٩) ومن حديث ابن مسعود قال: شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به، أتى النبي (ﷺ) وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول لك كما قال قوم موسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ (المائدة: ٢٤)، ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك، قال: فرأيت رسول الله أشرق وجهه وسره يعني: قوله.

٣- ومن قوة عقولهم قول عمر (رضي الله عنه) لما أتى الحجر الأسود للاستلام قال: اللهم إني أعلم أن هذا الحجر لا يضر ولا ينفع ولولا أني رأيت رسول الله (ﷺ) قبّله ما قبّلته.

ولما مات رسول الله (ﷺ)، قام أبو بكر فقال: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت.

وكانوا رضوان الله عليهم يبذلون أرواحهم لرسول الله (ﷺ) في حياتهم، فمن ذلك.

أ- نوم علي (رضي الله عنه) على فراشه (ﷺ) لما قصده المشركون، يعني ليلة الهجرة.

ب- وكان أصحابه (ﷺ) يبايعونه في المنشط والمكره، والنساء يقدمنه على آبائهن وأقاربهن، وفي قصة حمنة بنت جحش لما قُتِل أخوها وزوجها وأبوها ويوم أحد أنها طلبت أباها فقيل: قُتِل فطلبت أخاها فقيل: قُتِل، فقالت: أين زوجي؟ فقيل: قُتِل، فقالت: أين رسول الله (ﷺ)؟ فقالوا: ها هو هنا، فقالت: كل المصائب جلل بعد أن سلم رسول الله (ﷺ).

ثم قد أخبر ابن إسحاق في سيرته (٤١/٣ ابن هشام)، وابن ماجه في سننه برقم ١٥٩٠، وابن سعد في الطبقات (٢٤١/٨)- واللفظ له - والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٠١).

أن النساء قمن حين رجع رسول الله (ﷺ) من أحد يسألن الناس عن أهليهن فلم يخبرن حتى أتين رسول الله (ﷺ)، فلا تسأله امرأة إلا أخبرها، فجاءته حمنة بنت جحش، فقال (ﷺ) يا حمنة احتسبي أخاك عبد الله بن جحش، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله وغفر له، ثم قال: يا حمنة احتسبي خالك حمزة بن عبد المطلب، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله وغفر له، ثم قال (ﷺ) يا حمنة احتسبي مصعب بن عمير فقالت: يا حرباه (وفي رواية: فصاحت وولولت).

فقال النبي (ﷺ) إن للرجل لشعبة من المرأة ما هي له شيء (وفي رواية: إن زوج المرأة منها لبمكان، لما رأى من صبرها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها.

شرف آخر ٥٢

١- وهو أن الله تعالى ذكر أصحاب الجنة من الأمم التي تقدمت فقال ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ١٣، ١٤) فجعل أمته من أهل الجنة أقل من الأمم قبله.

٢- فقال عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): يا رسول الله، أترضى أن يكون ثلة من الأولين وقليل من الآخرين؟ راجع (ﷺ) ربه حتى سوى الله أمته أممًا قبلها، فقال: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ (الواقعة: ٣٩، ٤٠) ثم زاد له تعالى.

قوله: «فقال عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)»:

أخرجه ابن مردويه، وابن عساكر -كما في الدر المنثور- عن طريق عروة ابن رويم، عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ (الواقعة: ١) وذكر فيها: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ١٣، ١٤) قال عمر: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ (الواقعة: ٣٩، ٤٠)، فقال رسول الله (ﷺ): يا عمر، تعالى فاستمع ما قد أنزل الله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ (الواقعة: ٣٩، ٤٠)، ألا وإن من آدم إليَّ ثلة، وأمتي ثلة، ولن نستكمل ثلتنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل، ممن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك.

٣- حتى قال (ﷺ): إن أهل الجنة مئة وعشرون صفًا، ثمانون منها من أمتي، وأربعون من سائر الأمم.

٤- وقال (ﷺ) حين ذكر القيامة: أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة.

وعن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ (الواقعة: ١٣، ١٤) شق ذلك على أصحاب رسول الله (ﷺ)، فنزلت ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ (الواقعة: ٣٩، ٤٠)، فقال رسول الله (ﷺ): إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة، وتقاسمونهم الشطر الثاني.

شرف آخر ٥٣

١- وهو فيما خصه الله من تعجيل العذاب على من يعاديه، قال تعالى: ﴿فَقُلْ

﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١) ودعاهم إلى شيء معاين ووعد كل طائفة من أعدائه نوعًا من العذاب.

٢- فأما أبو جهل فإنه حلف لئن رأى محمدًا (ﷺ) ليطأن على عنقه، فجاء جبريل (عليه السلام) وقال: انطلق يا محمد علانية حتى تدخل الحجر، فاقرأ: ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١)، فإذا قرأت وفرغت فاسجد ولا ترفع رأسك حتى يأتيك، فانطلق (ﷺ) فقيل لأبي جهل: هذا محمد ساجد في الحجر، فقام مسرعًا إلى باب الحجر، فوقف ونكص رأسه، فقال له أصحابه: ما لك لا تتقدم؟ قال: إن بيني وبينه فحلاً فاتحًا فاه لو دخلت لالتقمني، ورجع هاربًا، وقام (ﷺ) وقال: لو دنا مني لاختطفته الملائكة.

٣- وروى أنه (ﷺ) أمر أن يدعو اليهود للمباهلة قال الشعبي:

كان أهل نجران من النصارى يجادلون رسول الله (ﷺ)، فأنزل الله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ (آل عمران: ٥٩) إلى قوله: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١) فتواعدوا أن يلاعنوه من الغد، فانطلق أهل نجران إلى السيد والعاقب أحبار لهم -فبايعوا وذهبوا إلى رجل من كبرائهم، وذكروا القصة، فقالوا: لا تفعلوا، قالوا: كيف نفعل وقد وعدناه غدًا؟ قال: إذا غدوتم عليه وعرض عليكم الذي فارقتموه عليه، فقولوا: نعوذ بالله، فلعله يعافيكم، فلما غدوا على رسول الله (ﷺ)، قام (ﷺ)، ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين رفعوا ظهور أكفهم إلى السماء، فقال أسقفٌ للنصارى لمعشر أهل نجران: إني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل الجبل من مكانه لفعل فلا تبتهلوا فتهلكوا، فقال النبي (ﷺ): والذي بعثني بالحق لو مضوا على الابتهال لمسخوا قردة وخنازير، ولقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران حتى الطير لو تمموا الملاعنة.

٤- وكذلك في قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الحجر: ٩٤)، قال: ثم جاء جبريل (عليه السلام) بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ (الحجر: ٩٥)، الوليد بن المغيرة، والحارث بن عيطلة، والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن عبد المطلب.

قال: أتاه جبريل، فشاكهم إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فأراه الوليد بن المغيرة، فأومأ جبريل (عليه السلام) إلى أكحله، قال: ما صنعت؟ قال: كفيتكه، ثم أراه الأسود بن عبد المطلب، فأومأ إلى عينيه، فقال: ما صنعت؟ قال: كفيتكه.

قال: فأما الوليد بن المغيرة فمر برجل من خزاعة وهو يرش نبلاً له فأصاب أكحله فقطعها، وأما الأسود بن عبد المطلب فمنهم من يقول: عمي، ومنهم من يقول: نزل تحت شجرة فجعل يقول: يا بني ألا تدفعون عني؟ قد قتلت، ها هو ذا يطعن بالشوك في عيني، فجعلوا يقولون: ما نرى شيئًا، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه.

وأما الأسود بن عبد يغوث الزهري فخرجت في رأسه قروح فمات منها.

وأما الحارث بن عيطلة فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خراؤه من فيه فمات منها.

وأما العاص بن وائل السهمي فبينما هو كذلك يومًا إذ دخل في رأسه شبرقة حتى امتلأت منها، فمات منها.

شرف آخر ٥٤

١- وهو أن الله أطلع نبيه على ما يحدث ويكون، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ (الجن: ٢٦، ٢٧)، فأعلمه بما يكون، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (المائدة: ٥٤)، فأعلمه كيف يحارب من يرتد عن الإسلام، ثم أطلعه على ما لم يطلع عليه غيره، حتى قال (ﷺ) لعلي: إنك تحارب المارقين والناكثين.

وعن علي قال: أمرت بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، وعن ابن مسعود قال: أمر عليّ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

ومن حديث سويد بن غفلة عن علي (رضي الله عنه) قال: إذا حدثتكم عن رسول الله (ﷺ) فلأن أخر من السماء أحب إليّ من أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة.

ومن حديث أبي سعيد الخدري قال: بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) وهو يقسم قسمًا إذ أتاه ذو الخويصرية وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله أعدل، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي أن أضرب عنقه، فقال: دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافة فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه -وهو قدحه- فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس، قال أبو سعيد، فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله (ﷺ) وأشهد أن علي

ابن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به، حتى نظرت إليه على نعت النبي (ﷺ) الذي نعته.

٢- وقال (ﷺ): إن جبريل نفخ في روعي -يعني-: ففهمت كل شيء.

قوله: «ففهمت كل شيء»:

أورد الإمام محمد بن إدريس الشافعي (رحمه الله) في الرسالة في تفسيرها ومعناها أقوالاً، فقال: منهم من قال: ألقى في روعه كل ما سن، وسنته: الحكمة، فكان ما ألقي في روعه سنته، ومنهم من قال: لم يسن سنة قط إلا ولها أصل في الكتاب، كما كانت سنته لتبيين عدد الصلاة، وعملها على أصل جملة فرض الصلاة، وكذلك ما سن من البيوع وغيره من الشرائع، فما أحل وحرم فإنما بيّن فيه عن الله كما بيّن الصلاة، قال: وكل جاءه من نعم الله كما أراد الله.

٣- وفي حديث: إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب.

وعن ابن مسعود مرفوعًا: أيها الناس إنه ليس من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا قد أمرتكم به، وإنه ليس شيء يقربكم من النار ويساعدكم ويباعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه، ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوا بمعاصي الله، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته.

وأما حديث أبي أمامة: نفث روح القدس في روعي أن نفسًا لن تخرج من الدنيا حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته.

شرف آخر ٥٥

وهو أن الله لعن من آذى رسوله (ﷺ)، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٧)، فأخبر أن من آذى رسوله استحق اللعنة مع ما أعد له من العذاب في الآخرة، وذكر الأنبياء والأمم قبله، فقال: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ (الأنعام: ٣٤)، لم يذكر اللعنة.

٢- ولما قال بعض الصحابة: لأنكحن فلانة -لبعض أزواج النبي (ﷺ)- بعد وفاته، أنزل الله سبحانه وتعالى الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ (الأحزاب: ٥٣)، إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٣) ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٧).

قوله: «لما قال بعض الصحابة»:

عن أبي بكر بن حزم في هذه الآية قالوا: نزلت في طلحة بن عبيد الله أنه قال: إن توفي النبي (ﷺ) تزوجت عائشة، فأنزل الله (عز وجل): ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ (الأحزاب: ٥٣).

٣- ومن فضله (ﷺ): أنه لما قذف المنافقون بعض أزواجه أنزل الله فيه ثماني عشرة آية، فقال (عز وجل): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (النور: ١١)، إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور: ٢٦).

شرف آخر ٥٦

١٤٢- وهو أن الله تعالى خفف عن أمته ما لم يخفف عن سائر الأمم فقال: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ﴾ (المائدة: ٤٥) ثم جعل لهم العفو والترخيص في شرعته (عَزَّوَجَلَّ)، فقال: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ١٧٨) فجعل للمجني عليه الخيار بين العفو والقتل وقبول الدية تبيينًا لفضيلة محمد (ﷺ) وشريعته رحمة بهم -وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨) ووصف رسوله (ﷺ) فقال: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

١٤٣- ثم قال (ﷺ): إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

١٤٤- عن محمد بن كعب القرظي، قال: ما بعث الله نبيًا مرسلاً إلا أمره أن يعرض على أمته: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (البقرة: ٢٨٤) فكان إذا عرض عليهم قالوا: لا نستطيع أن يؤاخذنا الله بما نوسوس به قلوبنا، فلما بعث الله (عَزَّوَجَلَّ) محمدًا (ﷺ) أنزلها عليه فآمن، وعرضها على أصحابه فآمنوا بها، فخفف الله تعالى عنهم.

فلما عرج بالنبي (ﷺ) ليلة المعراج وانتهى من القربى إلى الله بمكان كما قال عزت قدرته: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ (النجم: ٨) محمد إلى ربه جل ذكره ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ (النجم: ٨) فقرب بالجاه لا بالمكان ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ (النجم: ٩) من قسي العرب ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (النجم: ٩) بل أدنى ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ (النجم: ١٠) محمد (ﷺ) ﴿مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ (النجم: ١٠، ١١) فؤاد محمد (ﷺ) ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾ الذي رأى محمد (ﷺ) ربه بقلبه، ويقال: ببصره، وهذا جواب القسم.

فلما أخبرهم النبي (ﷺ) بذلك كذبوه، فنزل قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ

﴿مَا يَرَىٰ﴾ (النجم: ١٢) أفتكذبونه على ما قد رأى محمد (ﷺ) وإن قرأت بالألف يقول: أتجاحدونه على ما قد رأى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (النجم: ١٣) مرة أخرى غير التي أخبركم بها ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ (النجم: ١٤) التي ينتهي إليها كل ملك مقرب ونبي مرسل، ويقال: ينتهي إليها علم كل ملك مقرَّب ونبي مرسل وعالم راسخ ﴿عِندَهَا﴾ (النجم: ١٥) عند سدرة المنتهى ﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ (النجم: ١٥) تأوي إليها أرواح الشهداء ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ (النجم: ١٦) ما يعلو: نور، ويقال: ملائكة، ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ (النجم: ١٧) ما مال بصر محمد (ﷺ) يميناً وشمالاً مما رأى ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ (النجم: ١٧) ما تجاوز عما رأى. فلما جاوز النبي (ﷺ) السماوات السبع والحجب كان جبريل (عليه السلام) معه في كل ذلك، وانتهى إلى حجاب موقف جبريل (عليه السلام) فوقف جبريل (عليه السلام)، فقال النبي (ﷺ): مالك يا جبريل وقفت؟ فقال: يا محمد، وما منّا إلا له مقام معلوم، قد جاوزت من مقامي لجلالتك مقدار خمسمئة عام، تقدم فإنك أكرم على الله مني، فتقدم رسول الله (ﷺ) حتى انتهى إلى يمين العرش، فوق السماء السابعة، ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ (النجم: ١٨) من عجائب ربه العظمى، فقال له الجليل جل جلاله: يا محمد، هل تدري ما الدرجات والحسنات؟

فالدرجات: إسباغ الوضوء في السبرات، والمشي على الأقدام في الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة.

والحسنات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام.

قال النبي (ﷺ): فتدلى قطرة من العرش على لساني فما ذاق الذائقون قط أحلى منها، فآتاني الله بها بيان علم الأولين والآخرين، فنادى جبريل (عليه السلام): حي يا محمد ربك، فألهمني الله تعالى فقلت: التحيات لله والصلوات والطيبات، فأجابه الله تعالى بثلاث أجوبة، فقال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله

وبركاته، فلم يرد النبي (ﷺ) أن تكون له كرامة لا يشاركه فيها أمته، فقال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فلما رأت الملائكة كرامته ومناجاته مع المولى بغير ترجمان قال كل واحد منهم: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

قال بعض العلماء: التحية: الملك، فمعنى التحيات لله، يعني: الملك لله، والصلوات: الخمس، والطيبات: الزكوات.

ثم قال الله (عز وجل): ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ (البقرة: ٢٨٥) أي: صدق الرسول ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ (البقرة: ٢٨٥) إلى قوله: ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، فرفع الله تعالى عن أمته حديث أنفسهم بالمعصية فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

قوله: «عن محمد بن كعب القرظي»:

عن محمد بن كعب القرظي قال: ما بعث الله من نبي ولا أرسل من رسول أنزل عليهم الكتاب إلا أنزل عليه هذه الآية: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٨٤)، فكانت الأمم تأبى على أنبيائها ورسلها، ويقولون: نؤاخذ بما نحدث به أنفسنا ولم تعمله جوارحنا؟! فيكفرون ويضلون، فلما نزلت على النبي (ﷺ) اشتد على المسلمين ما اشتد على الأمم قبلهم، فقالوا: يا رسول الله أنؤاخذ بما نحدث به أنفسنا، ولم تعمله جوارحنا؟ قال (ﷺ): نعم، فاسمعوا وأطيعوا واطلبوا إلى ربكم، فذلك قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، فوضع الله عنهم حديث النفس إلا ما عملت الجوارح ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، من خير، ﴿وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، قال: فوضع عنهم الخطأ والنسيان ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ (البقرة: ٢٨٦) قال:

فوضع عنهم الخطأ والنسيان ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، قال: فلم يكلفوا ما لم يطيقوا، ولم يحمل عليهم الإصر الذي جعل على الأمم قبلهم، وعفا عنهم وغفر لهم ونصرهم.

قال النبي (ﷺ): إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثوا به أنفسهم ما لم يعملوا به أو يتكلموا، ولم يرفع عن أمة غيرها.

قال الله تعالى: يا محمد سل تعطه، فدعا لنفسه ولأمته، فقال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ﴾ (البقرة: ٢٨٦) الطاعة، فقال الرب تبارك وتعالى لا أؤاخذكم بالنسيان.

ألا ترى أن من أكل بالنسيان وهو لا يذكر لم يؤاخذ؟

فقال النبي (ﷺ): ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦) فقال الله تعالى: لا أؤاخذكم بالخطأ ولكن ما تتعمدون.

ألا ترى أن من قتل مؤمنًا بالخطأ لم يقتص منه، لأنه مرفوع عنه قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (الأحزاب: ٥) وقال رسول الله (ﷺ):

إن الله رفع عن أمتي الخطأ والنسيان.

ثم قال (عز وجل): يا محمد سل تعط، فقال النبي (ﷺ) ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦) يعني: شدة وجهدًا.

فقال الله جل وجلاله: قد رفعت الإصر والشك عن أمتك، وذلك قوله (عز وجل): ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨)، وقوله (عز وجل): ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥) وكان الإصر على بني إسرائيل في عشرة أشياء.

الأول: كانوا إذا أذنبوا ذنبًا حرم عليهم طعامًا طيبًا كما قال جل جلاله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ (النساء: ١٦٠).

والثاني: كان عليهم خمسون صلاة.

والثالث: عليهم الزكاة ربع المال.

والرابع: إذا أصابهم حدث من جنابة أو حيض أو نفاس أو لا يجدون الماء كانوا نجسًا رجسًا ولا يطهرهم غير الماء.

والخامس: كان عليهم فريضة أن يصلوا في المساجد، ولا يجوز لهم الصلاة في غير المساجد.

والسادس: كانوا في صيامهم إذا صلوا العتمة وناموا حرم عليهم الطعام والشراب إلى الليل القابل.

والسابع: كان عليهم الجماع حرامًا بعد صلاة العتمة والنوم.

والثامن: كان قبول صدقاتهم بالقربان مع الفضيحة إذا تصدقوا، إن قبله تعالى تجيء نار فتحرقه وإن لم يقبله الله لم تحرقه النار فيفتضح صاحبه.

والتاسع: كانت حسناتهم واحدة بواحدة.

والعاشر: كان فيهم مع الفضيحة، كانوا إذا أذنبوا ذنبًا بالليل اصبحوا مكتوبًا على باب دارهم وافتضحوا.

فكانت هذه الأشياء العشرة إصرًا على بني إسرائيل، فرفع الله جل جلاله عن هذه الأمة بدعوة النبي (ﷺ) وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦).

فقال (عَزَّوَجَلَّ): يا محمد لا أحرم على أمتك الطيبات من الطعام بذنوبهم،

بفضل دعوتك، كما حرمت على بني إسرائيل، وما حرمت على بني إسرائيل فقد حللته لك بفضلي، لقوله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

يا محمد: لا آمر أمتك بخمسين صلاة كما أمرت بني إسرائيل، بفضل دعوتك، وأثيبهم بخمس صلوات ثواب خمسين صلاة بفضلي، لقوله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام: ١٦٠).

يا محمد: لا آمر أمتك بإخراج ربع المال وهي الزكاة كما أمرت بني إسرائيل، بفضل دعوتك، وجعلت عليهم ربع عشر المال وأطهر مالهم بفضلي.

يا محمد: لا أدع أمتك في نجاسة الذنوب والحدث والجنابة والحيض والنفاس إذا لم يجدوا الماء كما كان لبني إسرائيل، بفضل دعوتك، جعلت طهارتهم من الجنابة والحدث بالتراب والتيمم بفضلي، لقوله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: ٦).

يا محمد: لا أفسد صلاة أمتك إذا صلوا في غير المساجد بفضل دعوتك، جعلت صلاتهم في غير المساجد مقبولة بفضلي، لقوله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥)، وقال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا.

يا محمد: لا أحرم على أمتك الطعام والشراب بعد صلاة العشاء والنوم كما حرمت على بني إسرائيل بفضل دعوتك، ورخصت لهم الأكل والشرب

بفضلي، لقوله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ (البقرة: ١٨٧) ورفعت أيضًا الحساب لما تأكل أمتك من الفطور والسحور بفضلي.

يا محمد: لا أحرم على أمتك الجماع بعد صلاة العشاء كما حرمت على بني إسرائيل بفضل دعوتك ورخصت لهم الجماع إلى أن يتبين الصبح بفضلي، لقوله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧).

يا محمد: لا أجعل صدقات أمتك مع الفضيحة كما جعلت بني إسرائيل، بفضل دعوتك، وأخذ صدقاتهم بفضلي، لقوله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ (التوبة: ١٠٤).

يا محمد: لا أجعل حسنات أمتك واحدة بواحدة كما جعلت حسنات بني إسرائيل، بفضل دعوتك، وأجعل حسنة واحدة عشرة وسبعين وألفى ألف بفضلي، لقوله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام: ١٦٠).

يا محمد: لا أفضح أمتك بكتب الذنوب على أبوابهم كما فضحت بني إسرائيل، بفضل دعوتك، وأستر ذنوبهم من الخلائق والملائكة بفضلي.

فلم يبق شيء مما أعطى الله الأمم المتقدمة إلا وأعطي هذه الأمة، وجعل لك فضلاً وهو أن القرآن كتابك ظاهرًا ولم تقرأ أمة كتابها ظاهرًا، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٧).

وجعل أيضًا كتبهم منسوخة وكتابك ناسخًا فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ (فصلت: ٤١، ٤٢).

وأمرهم بالدعوة وأمرك بالدعوة أيضًا حتى استويت معهم، ثم فضلك عليهم بالقتال، لقوله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾

(التوبة: ٢٩).

وأمرهم بالصلاة وأمرك أيضًا بالصلاة حتى استويت معهم، ثم فضلك عليهم بالجماعة لقوله (عز وجل): ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ (النساء: ١٠٢)، وفضل الجماعة إذا بلغوا اثني عشر نفسًا لا يدري فضلها أحد إلا الله، وجعل علامة صلاتهم الناقوس وعلامة صلاتك الأذان والإقامة.

وأمرهم بالصيام وأمرك بالصيام حتى استويت معهم، ثم فضلك عليهم بليلة القدر.

وجعل قبلتهم ببيت المقدس وجعل قبلتك في أول الإسلام بيت المقدس حتى استويت معهم، ثم فضلك عليهم بصرفك إلى الكعبة قبلة إبراهيم.

وأعطاهم عمرًا طويلاً، وعقلاً قليلًا، وأعطاك عمرًا قصيرًا، وعقلاً كثيرًا.

وأخبرك بمساوئهم، ولم يخبرهم بمساوئك حتى بان فضلك عليهم بقدرته، فرفع الشدائد عن أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) بدعوته قال: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦).

قال له: يا محمد سل تعط، فقال: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، كما حملت بني إسرائيل من أنواع الأشياء، مثل تعجيل العقوبة إذا أذنبوا، وكانوا إذا أصابت أعضاءهم وثيابهم قذارة كان عليهم القطع ولا يجوز غسلها، وكانت عقوبتهم إذا أذنبوا أن يقتلوا أنفسهم، يقول لهم (عز وجل): لا أغفر لكم حتى تقتلوا أنفسكم، لقوله عزت قدرته: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ (البقرة: ٥٤)، وقال لهذه الأمة: إن لم تقتلوا أنفسكم أغفر لكم، لقوله عز اسمه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: ٢٩).

فمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، أي لا تجعل توبة أمتي بالقتل، فقال: جعلت لأمتك الندامة بفضلي، ورفعت قطع الثياب والأعضاء بذلك، ولا أعجلهم بالعذاب بفضلي، لقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ (الكهف: ٥٨).

ثم قال: يا محمد سل تعطه، فقال: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، فدعا بثلاث دعوات: الأولى: العفو، والثانية: المغفرة، والثالثة: بالرحمة، لأن الله (عَزَّوَجَلَّ) عذب قبل أمته ثلاث أمم، واحدة بالخسف، وهو قارون، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ (القصص: ٨١)، وواحدة بالمسخ وهم قوم داود، لقوله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ (المائدة: ٦٠)، وواحدة بالقذف بالحجارة وهم قوم لوط، قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (هود: ٨٢).

فخاف النبي (ﷺ) من هذه الخصال على أمته، فقال: واعف عنا من الخسف، قال الله تبارك وتعالى: لا أخسف بذاتهم الأرض بسؤالك ودعوتك، وأخسف بذنوبهم بفضلي، حتى لا يرى الملائكة والآدميون ذنوبهم.

فقال النبي (ﷺ): واغفر لنا من المسخ، فقال الرب (عَزَّوَجَلَّ): لا أمسخ أبدناهم ولا أحوالهم من حال الإنسانية، وأمسخ ذنوبهم أي: أحولها إلى حسنات بفضلي، لقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ (الفرقان: ٧٠).

فقال النبي (ﷺ): وارحمنا من القذف، فقال: لا أمطر عليهم الحجارة بدعوتك، وأمطر عليهم الرحمة بفضلي.

قال رسول الله (ﷺ): ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، لأنا قليل وهم كثير مثل الشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، قال الله (عَزَّوَجَلَّ): أنا ناصرك، وناصر أمتك يا صفيِّي وحبيبي، لقوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ

ﭐللَّهُ﴾ (آل عمران: ١٦٠).

وقوله: «مثل الشعرة البيضاء»:

وفي البخاري عن أبي سعيد في حديثه الطويل في قصة يأجوج ومأجوج، وفيه: قال رسول الله (ﷺ): أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجلاً، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة، فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال (ﷺ): والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال (ﷺ): والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد -وفي رواية: في جنب- الثور الأسود- أو كالرقمة في ذراع الحمار- لفظ مسلم.

فأعطى الله (عَزَّوَجَلَّ) محمدًا (ﷺ) ما سأل وما لم يسأله أعطاه إياه أيضًا، فلم يدر رسول الله (ﷺ) ما يسأل ربه من عبادة الملائكة القيام أم الركوع أم السجود أم التشهد.

فقال الله تعالى للنبي (ﷺ): مر أمتك بالصلاة حتى يجتمع في صلواتهم عبادة الملائكة من العرش إلى الثرى إذا كبروا، فإذا كبروا أعطاهم الله ثواب المكبرين، وإذا ركعوا أعطاهم الله ثواب الراكعين، وهكذا في القيام، والقراءة، والسجود، والتشهد.

وبذلك أعطى الله النبي (ﷺ) مراده وشهوته في أمته بفضله.

شرف آخر ٥٧

وهو أن الله خصه بعلامة يُعرف بها شرف رسوله (ﷺ) عند الدعاء إلى الصلوات، ولم يكن ذلك لنبي من أنبياء الأمم المتقدمة، إنما كان لهم قرن أو

ناقوس، قال تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ (الشرح: ٤) تذكر حيث أذكر، وقال عز من قائل: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ (فصلت: ٣٣).

قوله: «تذكر حيث أذكر»:

عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: أتاني جبريل فقال: إن ربي وربك يقول: كيف رفعت لك ذكرك؟ قال: الله أعلم! قال: إذا ذكرت ذكرت معي، ومن حديث مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ (الشرح: ٤) قال: لا أذكر إلا ذكرت معي.

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

وعن قتادة في هذه الآية قال: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس من خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي:

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

شرف آخر ٥٨

وهو أن الله تعالى غير قبلته عن قبلة الأنبياء قبله حيث غير، إذ قالوا: ألست تصلي إلى قبلتنا؟ فنظر رسول الله (ﷺ): إلى السماء منتظرًا جبريل (عليه السلام) أن ينزل فيخبره بما في قلبه، فنزل جبريل بقوله تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ (البقرة: ١٤٤) وقال (عز وجل): ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ (البقرة: ١٤٣)، ولم يفعل ذلك بأحد قبله تبيانًا لشرفه وحفظًا لجاهه جعله متبوعًا لا تابعًا.

قوله: «منتظرًا جبريل»:

من حديث البراء قال: كان رسول الله (ﷺ) يصلي نحو بيت المقدس

ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾ (البقرة: ١٤٤).

ومن حديث البراء أيضًا: أن النبي (ﷺ) كان يعجبه وفي رواية: كان يحب أن تكون قبلته قبل البيت.

ومن حديث أبي العالية: أن رسول الله (ﷺ): نظر نحو بيت المقدس فقال لجبريل: وددت أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها، فقال له جبريل: إنما أنا عبد مثلك، ولا أملك لك شيئًا إلا ما أمرت، فادع ربك وسله، فجعل رسول الله (ﷺ) يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بالذي سأل فأنزل الله: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ﴾ (البقرة: ١٤٤).

قوله: «ولم يفعل ذلك بأحد»:

أي أنه سبحانه لم يهتم لأمر نبي وهواه كما فعل مع حبيبه (ﷺ) ومنه يفهم معنى قول أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها): ما أرى ربك إلا يسارع في هواك، وربما قالت: رضاك أخرجه الشيخان وغيرهما.

شرف آخر ٥٩

حيث رضي الله تبارك وتعالى عن أمته، ذكر الله رضاه عن أمته في مواضع فقال سبحانه وتعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ (البينة: ٨) وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ (التوبة: ٧٢) إلى قوله: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ (التوبة: ٧٢)، وقال (عز وجل): ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ (الفتح: ١٨) وهذه الدرجة مما تمنت الأنبياء ذلك، أخبر الله عن موسى (عليه السلام) أنه قال حيث قيل له: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ (طه: ٨٣،

٨٤) فأخبر الله (عز وجل) أنه (عليه السلام) إنما عجل طلبًا للرضى، ثم رأينا أن الله لم ينص في القرآن على إعطائه سؤله من الرضا، ولم يقل له إني قد رضيت عنك، كما فعل ذلك في سؤاله في غير الرضا حيث قال تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ (طه: ٣٦).

ونص في الرضا عن أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) بمتابعتهم إياه من غير إظهار مسألة منهم بالقول بل لطفًا منه بهم وفضلاً منه عليهم.

شرف آخر ٦٠

أعطى الله تبارك وتعالى محمدًا وأمته فضلاً منه وإكرامًا له ما تمنى موسى (عليه السلام) أن يعطاه ذلك بالسؤال، وذلك في قوله (عز وجل) ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الأعراف: ١٥٥) إلى قوله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٥٥، ١٥٦).

وذكر فضيلة أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) عقيبة فقال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ (الأعراف: ١٥٦، ١٥٧).

إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

قوله: «ما تمنى موسى (عليه السلام) أن يعطاه».

من حديث ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ (الأعراف: ١٥٥) قال: سأل موسى ربه مسألة فأعطاها محمدًا (صلى الله عليه وسلم) وفي رواية أخرى. فأعطى محمدًا (صلى الله عليه وسلم) كل شيء سأل موسى ربه في هذه الآية.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، قال: كتبها الله لهذه الأمة.

وعن ابن عباس قال: دعا موسى فبعث الله سبعين، فجعل دعاءه حين دعاه لمن آمن بمحمد (ﷺ) وأتبعه قوله: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٥) ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ (الأعراف: ١٥٦) والذين يتبعون محمدًا (ﷺ).

وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦) فقال موسى: يا ليتني أخرت في أمة محمد.

شرف آخر ٦١

أن الله تعالى جعل لأنبيائه ورسله وأوليائه الاختيار لأنفسهم، أن يختاروا كيف شاؤا ولم يرض لنبيه محمد (ﷺ) وأمته الاختيار، بل تولّى الله (عز وجل) الاختيار لهم وذلك في شأن قتل حمزة فعزم (ﷺ) على أن يمثل بأربعين منهم إن أظفره الله بهم، فخيره الله بين العقوبة بالمثل أو الصبر وترك القود، ثم لم يتركه واختياره بل تولى له الاختيار فقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ (النحل: ١٢٦) ثم قال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ (النحل: ١٢٧) فاختار له الصبر وترك القود.

قوله: «فعزم (ﷺ) على أن يمثل بأربعين منهم» ومن حديث أبي هريرة أن النبي (ﷺ) وقف على حمزة حين استشهد فنظر إلى منظر لم ير شيئًا قط أوجع لقلبه منه، ونظر إليه وقد مُثِّل به فقال (ﷺ): رحمة الله عليك، فإنك كنت ما علمت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات، ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله من أرواح شتى، أما والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل - والنبي (ﷺ) واقف بخواتيم النحل: ﴿وَإِنْ

عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾ (النحل: ١٢٦)، فكفَّر النبي (ﷺ) عن يمينه، وأمسك عن الذي أراد وصبر.

ومن حديث ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ) حين قتل حمزة ومثل به: لئن ظفرت بقريش لأمثلن بسبعين رجلاً منهم، فأنزل الله ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ﴾، فقال رسول الله (ﷺ): بل نصبر يا رب فصبر ونهى عن المثلى.

ومن حديث عطاء بن يسار مرسلًا قال: نزلت سورة النحل كلها بمكة وهي مكية إلا ثلاث آيات في آخرها نزلت في المدينة بعد أحد حيث قتل حمزة ومثِّل به فقال رسول الله (ﷺ) لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بثلاثين رجلًا منهم، فلما سمع المسلمون ذلك قالوا: والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مُثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط، فأنزل الله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ﴾ (النحل: ١٢٦).

وكذلك حين وقف على خيانة اليهود وما همُّوا به، فاختار الله له العفو عنهم والصفح، فقال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ (المائدة: ١٣) ثم ندبه إلى العفو فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣).

قوله: حين وقف على خيانة اليهود:

أي: يهود بني النضير حين خرج إليهم (ﷺ) يستعينهم على دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري فأوهموه بالترحيب والإعانة وأضمروا له الخيانة والغدر وتآمروا أن يطرحوا عليه صخرة من على ظهر بيتهم، فأتى النبي (ﷺ) الخبر فانصرف.

ومن حديث قتادة عند ابن جرير في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ﴾

(المائدة: ١٣)، قال: لم يؤمر يومئذ بقتالهم، فأمره الله أن يعفو عنهم ويصفح، ثم نسخ ذلك في سورة براءة فقال: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ (التوبة: ٢٩)، ولم نجد الله تعالى فعل ذلك بأحد من الأنبياء قبله، بل وجدناه خلَّى بين الأنبياء وبين اختيارهم لأنفسهم فيما يعزمون عليه ويتخيرون فيه، فأخبر عن سليمان (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في شأن غيبة الهدهد عنه وقت الحاجة منه إليه، وعزمه على ما عزم عليه فقال: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ (النمل: ٢٠، ٢١)، ثم لم نجد الله اختار له ترك العقوبة ولا فرض عليه إيثار العفو بل وجدناه ساكتا عن الاختيار له في ذلك، وكذلك وجدناه فعل بنوح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في مقابلته فعل الكفرة بمثله، ولم نجده اختار له ترك ذلك فقال: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ ﴾ (هود: ٣٨)، ولم نجده اختار له الكف عن مقابلتهم والميل إلى الأحسن من العفو والصفح فيهم، وكذلك وجدناه فعل بيوسف في قوله لإخوته: ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ (يوسف: ٦٠) ولم نجده اختار له ترك ذلك وأمره بإيفاء كيلهم إذ كان ذلك أحسن به وأجمل وأرفق بهم وأولى، بل تركهم كلهم، وإيثار ما يعزمون عليه من أفعالهم.

شرف آخر ٦٢

وهو ما أحدث الله تعالى في السماوات من انشقاق القمر وإقامة الرصد من الشهب المانعة للجن والشياطين من استراق السمع، حكى الله عنهم في قوله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ (الجن: ٩).

وهو أنه سبحانه زاده في النعم (ﷺ) فعلمه الشكر وزيادة على شكر الأنبياء، فقال فيما حكى الله تعالى عن إبراهيم (عليه السلام) أنه قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ (إبراهيم: ٣٩)، واقتصر على ذلك، ومدح نوحًا فقال (عز وجل): ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء: ٣) وعلمه فقال: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٨)، ثم سوى الله بينه وبينهم فأعطاه ما أعطاهم فقال: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل: ٥٩)، ثم تمم له في مفتتح كتابه بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الفاتحة: ٢)، فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الصافات: ١٨١، ١٨٢)، وقال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنعام: ٤٥) وقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الزمر: ٧٥).

٢- وهو أن الله تعالى ذكره خص كتابه بأسماء لم يجعل لكتب الأنبياء المتقدمين ذلك، فسماه قرآنًا، وكتابًا، وكلامًا، وهدى، ورحمة، ونورًا، وفرقانًا، وشفاء، وذكرًا، وتبيانًا، وحبلاً، وعهدًا، وحكيمًا، وعلمًا، ومهيمنًا، وصراطًا مستقيمًا، وصحفًا مطهرة وبيانًا، وبلاغًا، وبشرى، وموعظة، ومباركًا، وذكر كتب الأنبياء (عليهم السلام) فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلى: ١٨، ١٩) وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ (النساء: ١٦٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ﴾ (المائدة: ٤٤)، فلم يزد على اسم واسمين، فدلت كثرة الأسماء على جلالة الكتب، وجلالة الكتاب بجلالة الرسول.

قال أبو سعد صاحب الكتاب (رحمه الله): فلا نقول بأن بعض الكلام أفضل من بعض، إلا أن الله يثيب على البعض أكثر، وأما الفائدة في الاختصار ما

روي أن بعض العلماء صنف في الحيض كتابًا في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ (البقرة: ٢٢٢)، وقع في أجزاءه، فبلغ ذلك بعض المجوس فقال: اعلم أن كتابهم حق، حيث جعل الله فيه من البركة ما يصنف في نصف آية كتابٌ مبسوط، وأسلم.

قوله: «فلا نقول بأن بعض الكلام أفضل من بعض»:

نعم لا نقول ذلك من عند أنفسنا، بل نقوله تبعًا لما جاء عن الله وعلى لسان رسوله (ﷺ) وقد ثبت عنه (ﷺ) تفضيله لآيات وسور من كتاب الله، ومعلوم أن ذلك مرتبط بحب الله لتلك الآيات والسور حتى رتب عليها الأجر العظيم لذاكرها وحافظها.

شرف آخر ٦٥

قوله (عز وجل): ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ (التحريم: ٣).

وكان (ﷺ) أسر إلى حفصة كلمات منها: أن أباها وأبا عائشة يملكان من بعده أمته، فلم تتمالك من الفرح أن أخبرت عائشة سرًا وأمرته أن تكتمه فأظهره الله عليه، وذلك قوله (عز وجل): ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (التحريم: ٣).

قوله: «منها: أن أباها وأبا عائشة يملكان من بعده»:

عن عائشة (رضي الله عنها) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ﴾ (التحريم: ٣) قال: أسر إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي، عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) دخل بمارية القبطية ببيت حفصة.. فذكر القصة بطولها وفيها: ثم قال لي يا حفصة ألا أبشرك؟ فقلت: بلى بأبي وأمي يا رسول الله، فأعلمني أن أباك يلي الأمر من

بعده، وأن أبي يليه بعد أبيك... وعن علي وابن عباس قالا: والله إن إمارة أبي بكر وعمر لفي كتاب الله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ (التحريم: ٣) وقال لحفصة: أبوك وأبو عائشة واليا الناس بعدي.

شرف آخر ٦٦

١- قوله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ (النور: ٥٥).

فهذا برهان ظاهر ودليل باهر على صدق القرآن، فإنه يقول هذا وهم يومئذ قليلون ذليلون يخافون ولا يُخافون، فصار الأمر كما قال، فاستخلفهم في الأرض وملكهم على العباد، ومكن لهم في البلاد، وأعز لهم دينهم الذي ارتضى لهم وأبدلهم بعد الخوف أمنًا يخافهم الأمم ولا يخافون أحدًا إلا الله ويعبدونه ولا يشركون به شيئًا.

٢- ولما قدمت الروم منهزمة على هرقل بأنطاكية، قال لهم: أخبروني ويلكم: هؤلاء الذين يقاتلونكم أليسوا بشرًا مثلكم؟ قالوا: بلى، قال: فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم؟ فقال شيخ: من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنَّا نشرب الخمر، ونزني، ونرتكب الحرام، وننقض العهد، ونغصب ونظلم، ونأمر بما يسخط الله، وننهى عما يرضي الله، ونفسد في الأرض، قال: صدقت.

شرف آخر ٦٧

قوله تعالى لليهود: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ

مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ﴾ (آل عمران: ١١٢)، ومصداق ذلك ما نراه عيانًا في اليهود في كل مصر وفي كل عصر مذ قام الإسلام، فإنك تراهم أذل الكفار نفوسًا، وأبذلهم هيبة، وقد كان لهم قبل ذلك ملك، كانوا يقتلون عند ذلك الأنبياء وزعموا أنهم قتلوا المسيح، ألا ترى أنهم كانوا في جزيرة العرب أعز من فيها كأهل خيبر وفدك وقريظة وغيرهم؟ ولا تراهم اليوم في أمة من الأمم إلا وعليهم الصغار والحقار، وإن كانوا ذوي الأموال وعليهم الجزية يؤدونها عن يد وهم صاغرون.

باب ذكر ما أقسم الله تعالى بنبيه في القرآن

قال الله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢).

١- قال ابن عباس: ما خلق الله نفسًا هي أكرم عليه من محمد (ﷺ) وما أقسم بحياة أحد غيره.

ومن حديث بشر بن شغاف، قال: كنا جلوسًا مع عبد الله بن سلام يوم الجمعة، فقال: إن أعظم أيام الدنيا يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة، وإن أكرم خليقة على الله أبو القاسم (ﷺ) قلت: رحمك الله فأين الملائكة؟ قال: فنظر إليّ وضحك، فقال: يا ابن أخي وهل تدري ما الملائكة؟ إنما الملائك خلق كخلق الأرض وخلق السماء، وخلق السحاب، وخلق الجبال، وخلق الرياح وسائر الخلائق، وإن أكرم الخلائق على الله أبو القاسم (ﷺ).

أقسم على هدايته فقال: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (النجم: ١-٢).

وأقسم على رسالته فقال: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (يس: ١-٣).

وأقسم على محبته فقال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۞ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (الضحى: ١-٣).

وأقسم على شرف أخلاقه فقال: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ (القلم: ١) إلى قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

قال ابن عباس: على دين عظيم: قال ابن القيم (رحمه الله) في أقسام القرآن سمي الدين خلقًا لأن الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة، وإرادات زاكية، وأعمال ظاهرة وباطنة، موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات، فتكتسب النفس المقتبسة من مشكاة القرآن، فكان كلامًا مطابقًا للقرآن تفصيلاً له وتبيينًا، وعلومه علوم القرآن وإرادته وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن، ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه، وكراهته لما كرهه، ومحبته لما أحبه وسعيه في تنفيذ أوامره، وتبليغه، والجهاد في إقامته، وقال معلقًا على قول أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها) الآتي:

أجابت (رضي الله عنها) بحُسن تعبيرها، وكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول (صلى الله عليه وسلم) بما شفى وكفى: كان خلقه القرآن.

قال: فإذا كانت أخلاق العبادة وعلومهم، وإرادتهم، وأعمالهم مستفادة من القلم وما يسطرون، وكان في خلق القلم والكتابة إنعام عليهم وإحسان إليهم، إذ وصلوا به إلى ذلك، فكيف ينكرون إنعامه وإحسانه على عبده ورسوله الذي أعطاه أعلى الأخلاق، وأفضل العلوم والأعمال والإرادات، التي لا تهتدي العقول إلى تفاصيلها من غير قلم ولا كتابة؟ فهل هذا إلا من أعظم آيات نبوته وشواهد صدق رسالاته؟ وسيعلم أعداؤه المكذبون له أيهم المفتون هو أم هم؟ وقد علموا هم والعقلاء ذلك في الدنيا، ويزداد علمهم في البرزخ، وينكشف،

ويظهر كل الظهور في الآخر، بحيث تتساوى أقدام الخلائق في العلم به.

٢- وسئلت السيدة عائشة، أم المؤمنين (رضي الله عنها) عن خلق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت: كان خلقه القرآن.

٣- وبيَّن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قوله (عز وجل): ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩) فقال: صل من قطعك واعط من حرمك، واعف عمن ظلمك.

وقال الأستاذ أبو سعد (سلمه الله):

سمعت أبا عبد الله -صاحب أبي عمرو الزجَّاجي- في المسجد الحرام يقول: قال أبو عمرو: هذه الفضيلة أعظم من قوله: ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾، لأن هذا مدح يرجع إلى صفته، وذلك ابتداء العطاء.

وأقسم على نزاهته من كل العلل، فقال جل جلاله وعظم شأنه.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الحاقة: ٣٨ - ٤٢)، وأقسم أنه لم يكلفه ما كان يتحمل من العبادة فقال: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ (طه: ١-٣).

وشهد له وأقسم على أنه رأى جبريل (عليه السلام) في السماء السابعة فقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (التكوير: ١٥-٢٤).

وأقسم أنه ينتقم ممن يؤذونه فقال: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ (العلق: ١٥، ١٦)، وأقسم على أن عدوه لفي حزن وكيد فقال:

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد: ١-٤) قال: في أمر معاشه ومعاده وأقسم على بعد أعدائه من الله (عَزَّوَجَلَّ): فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ (المطففين: ١٥) وأقسم على صحة شريعته فقال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ (العصر: ١-٣).

باب ما ذكر الله تعالى من أعضاء الرسول (ﷺ) في القرآن

قال بعض أهل العلم:

إن الله (عَزَّوَجَلَّ) ذكر أعضاء الرسول (ﷺ) في القرآن محبة له ومدحًا.

فذكر نفسه فقال: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ (التوبة: ١٢٨)، وذكر وجهه فقال عز من قائل: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ (البقرة: ١٤٤) وذكر عينه فقال جل جلاله في سورة الحجر: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾ (طه: ١٣١).

وذكر بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ (النجم: ١٧).

وذكر أذنه فقال: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ (التوبة: ٦١) وذكر قلبه فقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ (الشعراء: ١٩٣، ١٩٤) وذكر نطقه فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ (النجم: ٣).

وذكر صدره، فقال (عَزَّوَجَلَّ): ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ (الأعراف: ٢) وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ (الشرح: ١).

وذكر فؤاده فقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ (النجم: ١١)، وذكر لسانه فقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ (مريم: ٩٧)، وقال: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ (القيامة: ١٦) وذكر ظهره فقال: ﴿ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾ (الشرح: ٣)، وذكر يده

فقال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ (الإسراء: ٢٩).

وذكر يمينه فقال: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (الحاقة: ٤٥، ٤٦).

وقال: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ (العنكبوت: ٤٨).

وذكر رجله فقال سبحانه: ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ (طه: ١، ٢).

قوله: «وذكر رجله»:

في توجيه قوله تعالى: ﴿طه﴾ بأن المراد رجله (ﷺ) -نظر، اللهم إلا أن يقال: إنها نزلت بسبب قيامه (ﷺ) الليل على قدميه؛ وعن علي (رضي الله عنه) قال: كان النبي (ﷺ) يراوح بين قدميه، يقوم على كل رجل حتى نزلت: ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ (طه: ١، ٢)، ومن حديث ابن عباس أن النبي (ﷺ) أول ما أنزل عليه الوحي كان يقوم على صدور قدميه إذا صلى فأنزل الله (عز وجل) ﴿طه﴾.. وعن المنذر عن الربيع بن أنس قال: كان النبي (ﷺ) إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى، فأنزل الله (عز وجل): ﴿طه﴾، يعني: طا الأرض يا محمد. قال أبو عاصم أولى الأقوال في هذا إن طه اسم من أسمائه (ﷺ) كما تقدم، والله أعلم.

وذكر صورته فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤).

وذكر خلقه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤).

وذكر عمره فقال: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الحجر: ٧٢).

باب جامع في فضل النبي (ﷺ) وما ورد من الدلالة على تفضيله على سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين

قال رسول الله (ﷺ) أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: بعثت إلى الأحمر

والأسود، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي كان قبلي، وأعطيت الشفاعة، وإنه ليس من نبي إلا وقد سأل شفاعته، وإني أخرت شفاعتي فجعلتها لمن مات لا يشرك بالله شيئًا.

قال أبو سعد صاحب الكتاب (عفا الله عنه):

فمما فضله الله تعالى به:

أن أعطاه خمسًا لم يعطها أحد من الخلق: بعثه إلى الجن والإنس إلى يوم القيامة، وإنما كانت الأنبياء يبعثون إلى قومهم وأرضهم، وجعلت له الأرض مسجدًا وطهورًا، وأحلت له الغنائم، ولم تكن حلالًا لمن قبله، ونصر على عدوه بالرعب مسيرة شهر، وأعطي الشفاعة دون النبيين في الآخرة، وذلك أن الله تعالى جعل لكل نبي دعوة في الدنيا، وأن النبي (ﷺ) أخرها إلى الآخرة لأمته، فهذه الخصال الخمس لم تكن لأحد من ولد آدم غيره.

كذلك مما فضله الله تعالى به مما لم يسبقه به نبي قبله:

١- أنه أسرع الناس خروجًا من الأرض إذا بعثوا، وسيد النبيين إذا حشروا، وإمامهم إذا سجدوا، ومبشرهم إذا أبلسوا، وقائدهم إلى الجنة إذا وفدوا، وأقربهم مجلسًا إذا اجتمعوا، يتكلم عند الرب، فيصدقه، ويسأله فيعطيه الحوض المورود، ويبعثه المقام المحمود، ومفاتيح الجنة بيده.

وقوله: «أسرع الناس خروجًا من الأرض»:

وعن أنس مرفوعًا: أنا أولهم خروجًا إذا بعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا مستشفعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي، يطوف عليّ ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور.

ومن حديث أم كرز الخزاعية مرفوعًا:

أنا سيد المؤمنين إذا بعثوا، وسائقهم إذا وردوا، ومبشرهم إذا أيسوا، وإمامهم إذا سجدوا، وأقربهم مجلسًا من الرب تعالى إذا اجتمعوا، أتكلم فيصدقني، وأتشفع فيشفعني، وأسأل فيعطيني.

٢- روى أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: فضلت على الأنبياء بست:

أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون.

٣- وعنه (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى دارًا فأكملها إلا في موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون من بنائه، ويقولون: ما أحسن هذا القصر لو تمت هذه اللبنة، فكنت أنا تلك اللبنة.

ومما فضله الله تعالى به:

٤- أنه أول من يدعى، وأول من يشفَّع، وأول من يأخذ بحلقة باب الجنة، قد غفر الله له ما عمل وما يعمل كما قال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح: ٢).

٥- وعلمه (صلى الله عليه وسلم) السِّيما كما أخبر سبحانه بقوله ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ (محمد: ٣٠) فلم يتكلم بعد ذلك عنده أحد إلا عرفه بكلامه.

وقوله: «وعلمه السيما»:

ومن حديث جبير بن نفير أنه سمع أبا ذر وأبا الدرداء قالا: قال رسول الله

(ﷺ): إني لأعرف أمتي يوم القيامة من بين الأمم، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟ قال (ﷺ): أعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم.

ثنا عبد الله بن نافع، ثنا المنكدر بن محمد عن أبيه: عن عبد الله بن عمر ابن الخطاب (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال:

أنا سيد الناس يوم القيامة، والذي نفس أبي القاسم بيده ولا فخر، وأنا والذي نفس أبي القاسم بيده أول من يستشفع الجنة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.

وعن أنس قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إني لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر، وآتي باب الجنة فآخذ بحلقتها فيقولون: من هذا؟ فأقول: أنا محمد فيفتحون لي.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع.

ومن حديث واثلة بن الأسقع، وهذا لفظ ابن حبان وهو أتم: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم، فأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع.

وعن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ: آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.

وعن عبد الله بن سلام مرفوعًا: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع ومشفع، بيدي لواء الحمد، حتى آدم ممن دونه.

٦- وقال عبد الله بن عباس (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): جلس ناس من أصحاب رسول الله (ﷺ) ينتظرونه، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فإذا بعضهم يقول: عجبًا، إن الله اتخذ إبراهيم من خلقه خليلاً، فإبراهيم خليل الله، وقال الآخر: ماذا بأعجب من أن الله كلم موسى تكليمًا، وقال الآخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: وآدم اصطفاه الله.

فخرج رسول الله (ﷺ) وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم في إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجيه وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك غلق الجنة ولا فخر، فيفتحها الله لي فأدخلها مع فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر.

٧- وروى كعب بن مالك أن رسول الله (ﷺ) قال: يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل، فيكسوني ربي (عَزَّ وَجَلَّ) حلَّة خضراء فأقول: ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود.

٨- وعن جابر بن عبد الله قال: خرج رسول الله (ﷺ) فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: من أنا؟ قلنا: رسول الله (ﷺ)، قال: نعم، ولكن من أنا؟ قلنا: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: (ﷺ): أنا سيد ولد آدم ولا فخر.

٩- وروى جابر بن عبد الله (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أن رسول الله (ﷺ) قال: أنا قائد المرسلين، وأنا خاتم النبيين، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر.

وعن مقاتل بن سليمان قال: فضل الله محمدًا (ﷺ) على الناس، وفضل أمته على جميع الأمم لفضل منزلته عنده.

وقوله: لفضل منزلته عنده شاهده في صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

وعن ابن فضيل، وعن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي، عن حذيفة قال: قال رسول الله (ﷺ): فضلت على الناس وفي لفظ: فضلنا على الناس -بثلاث: جعلت لنا الأرض كلها مسجدًا، وجعلت تربتها لنا طهورًا إذ لم نجد الماء، وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وأوتيت هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش، لم يعط مثله أحد قبلي ولا أحد بعدي.

قال: فكان مما فضل الله به محمدًا (ﷺ): أنه أسرع الناس خروجًا من الأرض يوم القيامة إذا بعثوا، وإمامهم إذا سجدوا، وخطيبهم إذا أنصتوا، وشافعهم إذا حبسوا، ومبشرهم إذا يئسوا، وقائدهم إلى الجنة إذا وفدوا، وأقربهم مجلسًا من الرب إذا اجتمعوا، فيتكلم النبي (ﷺ) عند الرب فيصدقه، ويعطيه الحوض المورود، والشفاعة المتقبلة، ويبعثه المقام المحمود، ولواء الكرامة ومفاتيح الجنة يومئذ بيده.

وقد اتخذه خليلاً، وكلمه تكليمًا، وجعله حكيمًا، وبعثه نبيًا وجعله شاهدًا وغفر له ما تقدم من ذنبه، وغفر له ما لم يعمل وما هو عامل، وعلَّمه الأسماء، وزينه بالتقوى، ودنا إليه فتدلى عند سدرة المنتهى، ورآه بقلبه مرتين فذلك قوله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ (النجم: ١١)، وذلك بعد أن قال: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ (النجم: ١٠)، وأعطاه مكان التوراة: السبع الطوال، ومكان الإنجيل: الثماني، ومكان الزبور: المئين، وفضله ربه بالحواميم والمفصل، وأعطاه جوامع الخير ومفاتحه، واسمه الأعظم، وخواتيم سورة البقرة وهي من

كنز الرحمن، وأعطاه الكوثر وهو نهر في الجنة، حافتاه قباب الدر يكون أزواجه فيها، وذلك النهر يطرد مثل السهم، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، وطينته مسك أذفر.

وقوله: «واسمه الأعظم»:

عن عائشة (رضي الله عنها): أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لها ذات يوم: يا عائشة هل علمت أن الله دلني على الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب؟ قالت: فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي فعلمنيه، قال (صلى الله عليه وسلم) إنه لا ينبغي لك يا عائشة، قالت: فتنحيت وجلست ساعة، ثم قمت فقبلت رأسه ثم قلت: يا رسول الله، علمنيه، قال: إنه لا ينبغي لك يا عائشة أن أعلمك، إنه لا ينبغي لك أن تسألي به شيئًا من الدنيا.

ومن حديث أنس بن مالك: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لقد دعا باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطي، وإذا دعي به أجاب.

قوله: «وطينته مسك أذفر»:

عن أنس، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بينا أنا أسير في الجنة، إذا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه -أو: طينته- مسك أذفر.

ومن حديث عائشة (رضي الله عنها) في قوله (عز وجل): ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ (الكوثر: ١)، قالت: هو نهر أعطيه نبيكم (صلى الله عليه وسلم) شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد النجوم.

وأخرج الإمام أحمد في المسند، والترمذي في التفسير، وابن ماجه في الزهد من حديث عطاء بن السائب قال: قال لي محارب بن دثار. ما قال سعيد ابن جبير في الكوثر؟

قلت: حدثنا عن ابن عباس أنه الخير الكثير، فقال: عمر قال: نزلت ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ١) فقال رسول الله (ﷺ): الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، يجري على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل.

ومما فضله الله تعالى به:

أن أعطاه الحكمة، وشرح له صدره، وحط عنه وزره، وبعثه في خير البقاع، ورفع له درجته في العالمين، فكلما ذُكر الله تعالى ذكر (ﷺ) معه يوم الجمعة، ويوم العيد، وفي مواقيت الحج والعمرة، وحول البيت، وفي السعي بين الصفا والمروة، وعند الجمار، وفي خطبة النساء، وفي الأذان والإقامة، وفي الصلاة في كل تشهد، وفي مشارق الأرض ومغاربها، وأنه لا يرد دعاء بين الصلاتين، وكلما ذُكر الله ذُكِر معه فذلك قوله (عز وجل): ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤).

وقال بعضهم: خصائص النبي (ﷺ) غير محصاة.

فمنها: أنه سُمِّي باسم مشتق من أسماء الله تعالى، وذلك يقتضي تفضيله على غيره، وفيه قد قيل:

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وإنما سُمِّي أحمد لأنه أحمد الأنبياء.

قال الحافظ في الفتح في معرض شرحه لأسمائه (ﷺ): فأما محمد فمن

باب التفعيل للمبالغة، وأما أحمد فمن باب التفضيل، قيل: سُمي أحمد؛ لأنه علم منقول من صفة أفعل التفضيل وهي: أحمد الحامدين، وسبب ذلك ما ثبت في الصحيح أنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله، وقيل: الأنبياء حمادون وهو أحمدهم، أي: أكثرهم حمدًا أو أعظمهم في صفة الحمد، قال عياض: كان رسول الله (ﷺ) أحمد قبل أن يكون محمدًا كما وقع في الوجود؛ لأن تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة.

قال: وأما محمد فهو منقول من صفة الحمد، وهو بمعنى محمود وفيه معنى للمبالغة، والمحمد الذي حمد ربه قبل أن يحمده الناس، وكذلك في الآخرة يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناس، وقد خص بسورة الحمد وبلواء الحمد وبالمقام المحمود، وشرع له الحمد بعد الأكل وبعد الشرب وبعد الدعاء، وبعد القدوم من السفر، وسُمِّيت أمته الحمادين، فجمعت له معاني الحمد وأنواعه.

ومنها: أنه خص -في قول بعض الصحابة- بالرؤية.

ومنها: أنه خص في المعراج بأعلى درجة.

ومنها: أنه رفع مقامه عن مقام جبريل، وعن مقام ميكائيل وإسرافيل.

ومنها: أنه ما ناجى به موسى (عليه السلام) صريح، وما ناجى به المصطفى (ﷺ) مرموز، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ (النجم: ١٠).

ومن ذلك: أن الأرض كانت تطوى له (ﷺ) فيسرع أصحابه خلفه حتى تتقطع نعالهم، وتسقط أرديتهم، وأنه (ﷺ) غير مكترث.

ومنها: ما خص به من الإمداد بالملائكة والقتال بين يديه، ومنها: أنه يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه، ولذا قال (ﷺ): أقيموا الركوع والسجود، فوالله إني لأراكم من بعدي إذا ركعتم وسجدتم.

ومنها: أن شيطانه أسلم، وأنه أُعطي في الجماع قوة خمسة وأربعين رجلاً.

ومنها: أنه جعل خاتم الأنبياء.

- **وقال بعض العلماء:** أعطى الله (عَزَّوَجَلَّ) نبيه (ﷺ) سبعة في الدنيا، وسبعة في الآخرة، وخص بسبعة أشياء في الجنة.

فأما الذي أعطاه الله إياها في الدنيا:

فبعثته إياه إلى جميع خلقه.

والثاني: أنه ختم به النبوة.

الثالث: جعل كتابه أشرف كتاب نزل من السماء، معجزًا في نظمه ومعناه، على قلة حروفه وصغر حجمه.

الرابع: جعل الله (عَزَّوَجَلَّ) شريعته أيسر الشرائع.

قال رسول الله (ﷺ): بعثت بالحنيفية السمحة.

الخامس: الجمعة والجماعات مثل العيدين ونحوهما.

السادس: الخطبة والأذان والإقامة.

السابع: كثرة الأمة.

وأما الذي أعطاه الله في الآخرة:

فمثل دخول الجنة، فهو (ﷺ) أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع يوم القيامة.

وهو (ﷺ) خطيبهم إذا أنصتوا، وإمامهم إذا سجدوا، وله الحوض، وبيده مفتاح الجنة ولواء الحمد.

وأما السبعة التي له في الجنة:

فأحدها: أن الجنة حرام على الأنبياء -صلى الله عليهم- حتى يدخلها هو وأمته.

ثانيها: أن له الكوثر في الجنة، له سيلان في كل قصر.

ثالثها: يزوج مريم بنت عمران.

رابعها: يزوج آسية امرأة فرعون.

خامسها: يزوج أم كلثوم أخت موسى بنت عمران.

سادسها: يعطى الدرجة -الوسيلة.

سابعها: له شجرة طوبى.

ومما فضله الله تعالى به:

أنه ليلة أسري به مثل له النبيون فصلى بهم وهم خلفه يقتدون به.

ومما فضله الله (عَزَّوَجَلَّ) به:

أنه عاين تلك الليلة الجنة والنار، وعرج به إلى السماء، وسلمت عليه الملائكة، وعاين قوم موسى الذين هم وراء... وذلك أن بني إسرائيل حين عملوا المعاصي وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس دعوا ربهم وهم في الأرض المقدسة فقالوا: اللهم أخرجنا من بين أظهرهم، فاستجاب الله لهم فجعل لهم سربًا في الأرض فدخلوه، وجعل معهم نهرًا يجري، وجعل لهم مصباحًا من نور بين أيديهم، فساروا فيه سنة ونصف، وذلك ستة آلاف فرسخ من بيت المقدس إلى منزلهم الذي هم به، فأخرجهم إلى أرض يجتمع فيها الهوام والبهائم والسباع مختلطة؛ لأنها ليست فيهم ذنوب ولا معاصي فأتاهم النبي (ﷺ) تلك الليلة

ومعه جبريل فعلمهم الأذان والصلاة، وصدقوا النبي (ﷺ) وآمنوا به وأخبروه أن موسى (عليه السلام) قد بشرهم به، فاستنظره النبي (ﷺ) إلى أن يلقى جبريل (عليه السلام) فخرج ملك الموت فلقيه جبريل فرده، فدخلا عليه جميعًا فخيره (عليه السلام) إما ميتة طيبة وإما حياة لا هرم فيها.

ومما فضله الله تعالى به:

أن ملك الموت لما أتاه ليقبضه روحه لم يدخل عليه إلا بإذن، ثم أمر الله ملك الموت (عليه السلام) أن يخير النبي (ﷺ) بين تركه وقبض روحه.

وقوله: «أن يخير النبي (ﷺ)»:

من حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله (ﷺ) يقول وهو صحيح: إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير، قالت: فلما نزل برسول الله (ﷺ) ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت وقال: اللهم في الرفيق الأعلى.

وقوله: «وإما حياة لا هرم فيها»:

وعن أبي الحويرث قال: إن رسول الله (ﷺ) لم يشتك شكوى إلا سأل الله العافية، حتى كان في مرضه الذي مات فيه فإنه لم يكن يدعو بالشفاء ويقول: يا نفس مالك تلوذين كل ملاذ، قال: وأتاه جبريل (عليه السلام) في مرضه ويقول: إن الله يقرئك السلام ورحمة الله ويقول: إن شئت شفيتك وكفيتك وإن شئت توفيتك وغفرت لك، قال: ذلك إلى ربي يصنع بي ما يشاء، قال: وكان لما نزل به دعا بقدح من ماء فجعل يمسح به وجهه ويقول: اللهم أعني على كرب الموت، ادن مني يا جبريل، ادن مني يا جبريل، ادن مني يا جبريل.

ومما فضله الله (عَزَّوَجَلَّ) به:

- أن إسرافيل هبط عليه ولم يهبط على أحد من الأنبياء، وكان جبريل عن يمينه فخيره بين أن يكون نبيًا ملكًا أو عبدًا، فأومأ إليه جبريل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أن تواضع، فقال النبي (ﷺ): نبيًا عبدًا.

وقوله: «لم يهبط على أحد من الأنبياء»:

من حديث أبي هريرة قال: جلس جبريل إلى النبي (ﷺ) فنظر إلى السماء فإذا ملك نزل، فقال له جبريل: هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة.

وقال (ﷺ) رأيت بين عيني إسرافيل كل شيء أنزل عليّ قبل نزوله.

ومما فضله الله تعالى به:

أنه رفع له الدنيا فنظر ما فيها إلى النفخة.

ومما فضله الله تعالى به:

أن السماء لم تكن تحرس، ولم تكن الشياطين ترمى بالشهب قبل بعثته (ﷺ) فلما بعث (ﷺ) حرست السماء بالملائكة، ورميت الشياطين بالشهب.

ومما فضله الله تعالى به:

أن في الجنة درجة تسمى الوسيلة في أعلى عليين من الجنان، هي له خاصة، كان النبي (ﷺ) يقول: إن في الجنة درجة لا ينالها إلا رجل واحد -يعني نفسه- وهي الوسيلة.

وقوله: «إن في الجنة درجة» فمن حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ فإنه من صلى علي صلاة صلى

الله عليه عشرًا، ثم سلوا لي الوسيلة فإن الوسيلة منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله -وأرجو أن أكون أنا هو- فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة.

ومما دل على فضله (ﷺ).

أنه سبحانه أعطاه الشفاعة، ووعده أن يبعثه يوم القيامة مقامًا محمودًا، يكون كل نبي مشغولاً بنفسه، ويكون هو مهتمًا بغيره، متشفعًا لأمته، قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (الضحى: ٤، ٥) قال: هو مقام الشفاعة وكذلك قوله عز ذكره: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩).

وقوله: «هو مقام الشفاعة»:

من حديث حرب بن شريح قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: جعلت فداك، أرأيت هذه الشفاعة التي تحدث بها أهل العراق أحق هي؟ قال: شفاعة ماذا؟ قلت شفاعة محمد (ﷺ): قال: إي والله حدثني عمي ابن محمد ابن شامي بن الحنفية، عن عليّ (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: أشفع لأمتي حتى يناديني ربي (عز وجل): أرضيت يا محمد؟ فأقول: نعم يا رب رضيت، ثم أقبل عليٌّ فقال: إنكم تقولون يا معشر أهل العراق إن أرجى آية في كتاب الله (عز وجل) ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٣) قلت: إنا لنقول ذلك، قال: كلنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله (عز وجل): ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (الضحى: ٥) قال: وهي الشفاعة.

روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: المقام المحمود هو الشفاعة فأعطاه الله بذلك مقامين تخصيصًا له: مقام قاب قوسين، والمقام المحمود لقوله (عز وجل): ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩).

قال النبي (ﷺ): إذا كان يوم القيامة يوضع للأنبياء منابر، ولي منبر، ومنبري أقرب للعرش من منابرهم، فتجلس الأنبياء صلوات الله عليهم -على منابرهم، ولا أجلس على منبري لشغلي بأمتي، فيقال: أين النبي القرشي الأبطحي التهامي، صاحب التاج والباقة، صاحب الحوض والشفاعة، قم فتكلم في أمر أمتك حتى أعطيك ما وعدتك، قال النبي (ﷺ): فأسجد عند عرش الرحمن، فأقول: يا رب أمتي أمتي، هب لي... إلى آخر الحديث.

قوله: «ولا أجلس على منبري لشغلي بأمتي»:

من حديث عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن ابن عباس -وهذا لفظ ابن خزيمة- قال: قال رسول الله (ﷺ): للأنبياء منابر من ذهب، فيجلسون عليها، قال: ويبقى منبري لا أجلس عليه ولا أقعد عليه، قائم بين يدي الله ربي مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول الله (عز وجل) يا محمد ما تريد أن تصنع بأمتك؟ فيقول: (ﷺ): يا رب عجل حسابهم، فيدعى بهم فيحاسبون، فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكًا برجال قد بعث بهم إلى النار، وحتى أن مالكًا خازن النار يقول: يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من نقمة.

وقال (ﷺ) خُيِّرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفل، أترونها للمتقين؟ لا ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين.

وقال رسول الله (ﷺ): شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، نظرًا منه (ﷺ) لأمته وشفقة عليهم.

ومما فضله الله تعالى به:

أن جعل نساءه وأولاده معه في الجنة، وجعل لهم الأجر مرتين، وضاعف حسناتهم فوق حسنات المؤمنات، وضرب عليهن الحجاب دون المسلمين.

ومما فضله الله تعالى به:

أن الله تعالى صلى عليه، وأمر ملائكته أن يصلوا عليه، وفرض على أوليائه الذين في الأرض الصلاة عليه فقال (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

ومما فضله الله تعالى به:

أنه كان يستأذن رب العزة كل يوم سبعون ألف ملك ينظرون إليه في الأرض لما يعلمون من كرامته على الله تعالى.

وقوله: يستأذن رب العزة كل يوم:

ومن حديث نبيه بن وهب أن كعب الأحبار دخل على عائشة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، فذكروا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال كعب: ما من يوم يطلع إلا نزل سبعون ألفًا من الملائكة، حتى يحفوا بقبر النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يضربون بأجنحتهم، ويصلون على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفًا من الملائكة يزفونه.

ومما فضله الله تعالى به:

أنه أتي بطعام من الجنة في قدر يقال له: الكفيت، فأكل منها أكلة فأُعطى قوة أربعين.

أما قوله: «فأعطى قوة أربعين»:

فعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أتاني جبريل بقدر فأكلت

منها فأعطيت قوة أربعين رجلاً في الجماع.

وعن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): أعطيت الكفيت، قيل: وما الكفيت؟ قال: قوة ثلاثين رجلاً في البضاع، قال: وكان له تسع نسوة، وكان يطوف عليهن جميعًا في ليلة، وأصله في صحيح البخاري من حديثه: كنا نتحدث أنه (ﷺ) أعطي قوة ثلاثين وقال طاووس في مرسله: قوة أربعين.

من حديث أنس بن مالك مرفوعًا: فضلت على الناس بأربع: بالسخاء، والشجاعة، وكثرة الجماع، وشدة البطش.

ومن ذلك:

أن الرب (عز وجل) أطعمه بطعام من السماء، وما فضل منه رفع.

وقوله: «وما فضل منه رفع»:

عن ضمرة بن حبيب، قال: سمعت مسلمة السكوني قال: بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) إذ قال قائل: يا رسول الله هل أتيت بطعام من السماء؟ قال: نعم، قال: هل كان فيه من فضل؟ قال (ﷺ): نعم، قال: فما فعل به؟ قال (ﷺ): رفع إلى السماء.

أنه بعث إليه وهو مسترضع في بني سعد بن بكر طائران أبيضان، فوقع أحدهما على يمينه والآخر عن شماله، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم، قال: ائتني بسجل من ثلج وسجل من برد وماء زمزم، فشق عن قلبه فغسله، ثم أعاده مكانه، فلم يجد النبي (ﷺ) مما صُنِع ألمًا، والتأم وبرأ من ساعته.

ومما فضله الله تعالى به:

أنه نعت في التوراة: ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزئ بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح وأن مولده بمكة وهجرته إلى المدينة

ومملكته إلى الشام.

ومما فضله الله تعالى به:

أنه كان إذا حضرته الملائكة والمسلمون من الجن لا يعاينهم من الناس غيره.

وقوله: «لا يعاينهم من الناس غيره»:

أي: فلا يرونهم على صورتهم كما يراهم هو (ﷺ)، لكن قد يرونهم على صورتهم كما يراهم هو (ﷺ)، لكن قد يرونهم في صور أخرى كما ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب: بينا رسول الله (ﷺ) ذات يوم جالسًا إذا جاء رجل شديد سواد اللحية شديد بياض الثياب وفيه: ذاك جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم، وسيأتي في مناقب ابن عباس أنه رأى جبريل مرتين، ودعا له النبي (ﷺ) مرتين.

وبعضهم يزيد على بعض، من حديث ابن مسعود قال: كنا مع رسول الله (ﷺ) ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب.. الحديث وفيه: أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن.. الحديث وفي لفظ آخر من حديثه أيضًا: قدم وفد الجن على رسول الله (ﷺ) فقالوا يا محمد إنه أمتك أن يستنجوا بعظم أو روثة أو جمجمة، فإن الله جعل لنا فيها رزقًا.

ومما فضله الله تعالى به:

أن المنافقين كانوا يتغامزون به في الصلاة وهم خلفه، فجعل الله له بصرًا في قلبه، حتى كان يرى من ورائه كما يرى من أمامه.

وقوله: «كما يرى من أمامه»:

عن أبي هريرة: أن رسول الله (ﷺ) قال: هل ترون قبلتي ها هنا، فوالله لا

يخفى عليّ ركوعكم ولا خشوعكم، وإني لأراكم من وراء ظهري.

ومن حديث أنس (رضي الله عنه) قال: صلى بنا رسول الله (ﷺ) صلاة ثم رقى المنبر، فقال في الصلاة وفي الركوع: إني لأراكم من ورائي كما أراكم من أمامي.

ومما فضله الله تعالى به:

أن الشيطان لم يسلط عليه.

وقوله: «أن الشيطان لم يسلط عليه»:

فمن حديث ابن مسعود، قال: قال رسول الله (ﷺ) ما منكم من أحد إلا ومعه قرينه من الجن وقرينه من الملائكة، قالوا: إياك؟ قال: وإياي، ولكن الله أعانني عليه فأسلم.

ومما فضله الله تعالى به:

أنه (ﷺ) أمر جبريل (عليه السلام) أن يأمر مالكًا خازن النار أن يكشف بابا من أبواب النار.

وقوله: «أمر جبريل» يعني ليلة الإسراء:

فعن ابن عباس: أن النبي (ﷺ) قال لجبريل ليلة الإسراء: اكشف عن النار، فكشف عنها فنظر إليها فذلك قوله تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (التكوير: ٢١) ومن حديث ابن عباس قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله (ﷺ) فصلى ثم انصرف، فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئًا في مقامك ثم رأيناك كعكعت؟ قال: إني رأيت الجنة فتناولت عنقودًا، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظرًا كاليوم قط أفظع منه، ورأيت أكثر أهلها النساء، ومن حديث أسماء قالت: كسفت الشمس فصلى النبي

(ﷺ) ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار، ومن حديث عمران بن حصين مرفوعًا: اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ومن حديث عائشة (ﷺ) قالت: قال رسول الله (ﷺ) رأيت جهنم يحتطم بعضها بعضًا، ورأيت عمر يجر قصبة، وهو أول من سيب السوائب.

ومما فضله الله تعالى به:

أن إبليس اللعين أمر ماردًا من مردة الشياطين فتمثل له في صورة جبريل (عليه السلام) ليوحي إليه، فدخل على النبي (ﷺ)- فدفعه جبريل (عليه السلام) دفعة بيده ووقع من مكة إلى أرض الهند، فأنزل الله (عز وجل) ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (التكوير: ٢١)، يعني: جبريل (عليه السلام) حين أوقعه بتلك الدفعة إلى أرض الهند.

أنه جعل ليلة القدر خيرًا من ألف شهر، يستبشر بها حملة...

وقوله: «يستبشر بها حملة»:

قال الإمام النووي (رحمه الله): ليلة القدر مختصة بهذه الأمة زادها الله شرفًا، لم تكن لمن كان قبلنا.

قال مالك في الموطأ: بلغني أن رسول الله (ﷺ). أرى أعمار الناس قبله- أو: ما شاء الله من ذلك -فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغه غيرهم بطول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيرًا من ألف شهر.

أنه سبحانه أخذ ميثاقه قبل النبيين، وأخذ ميثاقهم بالرضا والتصديق به.

ومما فضله الله تعالى به:

أنه لا يدخل جنات عدن أحد قبله، وهي دار الرحمن وموضع عرشه، وجنة

عدن قصبة الجنة، وهي مشرفة على الجنان، ولباب جنة عدن مصراعان من زمرد من نور يضيء ما بين المشرق والمغرب.

ومما فضله الله تعالى به:

أنه غفر له (ﷺ) ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وفتح له (ﷺ) فتحًا مبينًا، ونصره نصرًا عزيزًا، وهداه صراطًا مستقيمًا.

عن أنس بن مالك، عن النبي (ﷺ) عن جبريل (عليه السلام) عن ربه تبارك وتعالى قال: إني مننت عليك بسبعة أشياء:

أولها: لم أخلق في السماوات والأرضين أكرم عليّ منك.

والثاني: أن مئة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي مشتاقون إليك وإلى أمتك.

والثالث: لم أعط أمتك مالاً كثيرًا حتى لا يطول عليهم الحساب.

والرابع: لم أطول أعمارهم حتى لا تجتمع عليهم الذنوب كثيرًا.

والخامس: لم أعطهم من القوة كما أعطيت من قبلهم حتى لا يدَّعوا الربوبية، كما ادعت الأمم السابقة.

والسادس: أخرجتهم في آخر الزمان حتى لا يكون مقامهم تحت التراث كثيرًا.

والسابع: لا أعاقب أمتك كما عاقبت بني إسرائيل، إذا أصابهم دم حيض في ثيابهم أمرت بقطعه ولا يجوز الغسل، وإذا أذنبوا ذنبًا وجدوه مكتوبًا على بابهم.

فالحمد لله الذي رفع عنا الإصر، وجعلنا من أمة محمد (ﷺ).

عن أنس بن مالك أنه قال: جاء رجل من اليهود إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا محمد أنت أكرم الخلق على الله أم آدم؟

قال (ﷺ): أنا ورب الكعبة.

قال: قال اليهودي: كذبت ورب المتقدمين.

فقال النبي (ﷺ): يا يهودي إن الله تبارك وتعالى أعطاني في أمتي خمسًا لم يعط آدم -وإن آدم أبي- ولكني أعطيت ما لم يعط، وأنا أفضل منه ولا فخر ولا عجب.

قال اليهودي: وما هذه الخمس؟

قال النبي (ﷺ): إن آدم لما عصى الله أخرجه الله من جواره طريدًا عطشان عريانًا، ولو عصى من أمتي أحد لم يمنعه من المساجد.

والثاني: سلب عنه الحلي والحلل، ولم يسلبها، عن أمتي.

والثالث: فرق بينه وبين امرأته، ولم يفرق بين أمتي وبين أزواجهم.

والرابع: أظهر الله عليه خطيئته بقوله (عز وجل): ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ (طه: ١٢١).

والخامس: لم يقبل الله توبته حتى بنى البيت المعمور، وطاف حوله، وإن من أمتي من ذنوبه أكثر من زبد البحر، وقطر المطر، إذا ندم عليها واستغفر غفر الله له.

قال: صدقت يا محمد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسوله.

قال أبو سعد (رحمه الله): فاشكر الله إن لم يمنعك عن قول لا إله إلا الله كما منع بني إسرائيل، وذلك أنهم لم يستطيعوا أن يقولوا: لا إله إلا الله حتى يعتزلوا النساء أربعين يومًا، ومع هذا منعهم عن أكل اللحم أربعين يومًا حتى يغسلوا أبدانهم، ويلبسوا لباسهم الجديد، ويخرجوا إلى الصحارى حتى أطلق الله ألسنتهم أن يقولوا: لا إله إلا الله، موسى رسول الله، ونحن نرتكب المعاصي

ونقول مع هذا -أناء الليل والنهار في السر والعلانية، في الخلأ والملأ-: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

قال: أفيكون في الدنيا أحد أفضل منا؟ وبالله التوفيق.

قال الله تعالى ذكره: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

قوله: «جاء رجل من اليهود»:

أورده الحافظ أبو حفص الموصلي في الوسيلة معلقًا، جعله من قول آدم (عليه السلام) ليس فيه قصة اليهودي مع رسول الله (ﷺ) فقال: وروي أن آدم (عليه السلام) قال: إن الله أعطى أمة محمد (ﷺ) أربع كرامات ما أعطاني إحداهن: قبول توبتي بمكة، وأمة محمد (ﷺ) يتوبون في كل مكان فتقبل توبتهم، والثانية: كنت لابسًا فلما عصيت وأكلت من الشجرة جعلني عريانًا، وأمة محمد (ﷺ) يعصون عراة فيسترهم، ولما عصيت فرق بيني وبين امرأتي حواء، وأمة محمد (ﷺ) يعصون فلا يفرق بينهم وبين أزواجهم، وإني عصيت في الجنة فأخرجت منها،وأمة محمد (ﷺ) يعصون خارج الجنة ويدخلونها.

قال يحيى بن معاذ (رحمه الله): هذه مرحلة، لم يكن الله يمدح قومًا ثم يعذبهم.

ومن فضل محمد (ﷺ) وأمته:

أن الله تبارك وتعالى لما خلق اللوح والقلم، وجرى القلم بما يكون من سائر الأمم، ثم جرى بما يكون من الله إليهم، حتى فرغ من الأمم السالفة، فكتب ما يكون من إحسان الله لهذه الأمة فضاعف إحسان الله إلى هذه الأمة وحدها من إحسانه إلى سائر الأمم، ثم كتب ما يكون من خطايا

هذه الأمة وعصيانهم إلى الله تعالى، وكانت خطاياهم تضاعف على خطايا الأمم كلها حتى أمر الله تعالى أن يجري على اللوح: أنها أمة يُقْتَل ولدا نبيها -يعني: الحسن والحسين- قال: قال: فتعجب القلم وتحير، فنظر الرب تبارك وتعالى إلى القلم، فانشق رأس القلم هيبة من الله، فمن ذلك أن القلم يشق رؤسها، قال: فلما كتب القلم الخطايا قال الله: اكتب يا قلم: أمة مذنبة ورب غفور، قال القلم: إلهي لو علمت أنك تأمرني كتبة هذه الأحرف لم أبال كتبة الذنوب عليهم.

فصل: في تفضيله (ﷺ) على سائر الأنبياء بأفضل الكتب

ومما دل على فضل كتابه أنه (عَزَّ وَجَلَّ) لم يصف كتابًا من الكتب بصفة الحق مثل ما وصف به هذا الكتاب.

ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (آل عمران: ٣) وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ (الزمر: ٢) وقال: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ (الإسراء: ١٠٥) وقال: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ (الأنبياء: ١٨) فخص كتابه باسم الحق، ولم يفعل ذلك بما قبله من الكتب، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: ٤٤)، وقال: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٤٦) فلم يخص بصفة الحق في كثير من المواضع إلا كتاب نبينا محمد (ﷺ) فكان في ذلك ما يدل على فضله على سائر الكتب ومما يدل على فضله على سائر الكتب أيضًا: تسميته بالأسامي الرفيعة العالية منها.

١- سماه قرآنًا؛ لأنه يقرأ ويتلى، ويقال: القرآن: الجمع لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ (القيامة: ١٧، ١٨).

٢- وسُمِّي فرقانًا؛ لأنه فرق بين الحق والباطل.

٣- وسُمِّي روحًا؛ لأن مكانه من الأرواح مكان الأرواح من الأجساد.

٤- وسُمِّي نورًا؛ لأنه ضياء ونور القلوب، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (الزمر: ٢٢).

٥- وسمَّاه كريمًا؛ لأنه لا يلحقه كلام الآدميين.

٦- وسمَّاه عزيزًا؛ لأنه ممتنع، لا ينقاد لأحد من الخلق.

٧- وسمَّاه مجيدًا؛ لأنه منتسب إليه جل جلاله.

٨- وسمَّاه مباركًا؛ لما فيه من عظيم البركة، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ (الأنبياء: ٥٠).

٩- وسمَّاه حبل الله، فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ (آل عمران: ١٦٣).

١٠- وسمَّاه حقًا، فقال: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ (العصر: ٣)، وقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ (يونس: ٩٤).

١١، ١٢- وسمَّاه فضلاً ورحمة، فقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ (يونس: ٥٨).

١٣- وسمَّاه نعمة، فقال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى: ١١).

١٤- وسمَّاه نجمًا، فقال: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (النجم: ١، ٢)، وقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٥-٧٩).

١٥- وسمَّاه ذكرًا، فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ (الأنبياء:

٢) ومن الدلالة على فضله (ﷺ) وفضل كتابه على سائر الكتب: أن الله تبارك وتعالى تولى حفظه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩) فتعهد سبحانه بحفظه، ولم يجعل ذلك لكتاب نبي قط، بل إنه أمر سبحانه أهل الكتاب بحفظ كتبهم، ووكله إلى حفظهم فقال: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ (المائدة: ٤٤) فلما ورد الحفظ إليهم وقع فيه التبديل والتغيير، قال (عَزَّوَجَلَّ): ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ٧٩) فضمن (عَزَّوَجَلَّ) لهذه الأمة أن يحفظ لها كتابها وقال: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٢)، وقال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ (الجن: ٢٦-٢٨).

١٦- **ومما فضله الله تعالى به:** أن أعطاه اسمه وأعطاه جوامع الخير: خوايتم سورة البقرة من كنوز عرش الرحمن، ومن حديث حذيفة بن اليمان مرفوعًا: فضلت على الناس بثلاث: جعلت الأرض كلها مسجدًا، وجعلت تربتها لنا طهورًا، وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وأوتيت هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش، لم يعطه أحد قبلي، ولا يعطى أحد بعدي.

ومن حديث صفوان، حدثني أيفع بن عبد الكلاعي قال: قال رجل: يا نبي الله أي سور القرآن أعظم؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص: ١) قال: فأي آي القرآن أعظم؟ قال: آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (البقرة: ٢٥٥) قال: فأي آية يا نبي الله تحب أن تصيبك وأمتك؟ قال: خاتمة سورة البقرة، فإنها من خزائن رحمة الله من تحت عرشه، أعطاها هذه الأمة، لم تترك خيرًا من خير الدنيا والآخرة إلا اشتملت عليه.

ومن حديث ابن عباس أن النبي (ﷺ) أتاه ملك فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما لنبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة.

١٧- وقال (ﷺ): أعطيت السبع الطوال مكان التوراة، وأعطيت المثاني مكان الإنجيل، وأعطيت المئين مكان الزبور، وفضلت بالمفصل.

قال أبو سعد (رحمه الله): وتصديق هذا في كتاب الله (عز وجل) في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ (طه: ١٣٣).

١٨- ومما فضله الله تعالى به أن جبريل (عليه السلام) أتاه بسورة الأنعام ومعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح والتحميد حتى كادت الأرض ترتج بهم، فخرّ رسول الله (ﷺ) ساجدًا.

وقوله: «فخر رسول الله (ﷺ)»:

فعن شهر بن حوشب قال: سمعت ابن عباس يقول: أنزلت سورة الأنعام جميعًا بمكة، فتبعها موكب من الملائكة يشيعونها، قد طبقوا ما بين السماء والأرض هم زجل بالتسبيح حتى كادت الأرض أن ترتج من زجلهم بالتسبيح ارتجاجًا، قال: فلما سمع النبي (ﷺ) زجلهم بالتسبيح هبَّ من ذلك فخر ساجدًا حتى أنزلت عليه.

ومن حديث جابر بن عبد الله قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله (ﷺ) ثم قال: لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق ومن حديث أنس مرفوعًا: نزلت عليّ سورة الأنعام ومعها موكب من الملائكة يسد ما بين الخافقين، لهم زجل بالتسبيح والتقديس، والأرض ترتج، ورسول الله (ﷺ) يقول: سبحان الله العظيم، سبحان الله العظيم.

وقال علي بن أبي طالب: أنزل القرآن خمسًا خمسًا، ومن حفظ خمسًا

خمسًا لم ينسه إلا سورة الأنعام فإنها نزلت جملة في ألف يشيعها من كل سماء سبعون ملكًا حتى أدوها إلى النبي (ﷺ) ما قرئت على عليل قط إلا شفاه الله.

باب ما أعطي النبي (ﷺ) من الخصال وما خص به من الشريعة

عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون.

عن مرة عن عبد الله قال: لما أسري برسول الله (ﷺ) انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال سبحانه ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ (النجم: ١٦).

قال: فراش من ذهب.

قال: فأعطي رسول الله (ﷺ) ثلاثًا أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئًا من المقحمات.

قال أبو سعد (رحمه الله):

خص النبي (ﷺ) بستين خصلة فارق فيها جميع النبيين (عليهم السلام).

فمنها: عشر خصال من أمر الآخرة وبعد الموت وهي:

١- أنه (ﷺ) أفضل المرسلين.

٢- وأنه (ﷺ) خاتم الأنبياء.

٣- وأنه (ﷺ) أول من تنشق عنه الأرض.

٤- وأكثر النبيين أمة يوم القيامة.

٥- وأنه (ﷺ) يشهد لجميع الأنبياء بالأداء.

٦- وله (ﷺ) الشفاعة.

٧- وله (ﷺ) لواء الحمد.

٨- وله (ﷺ) الحوض المورود: نهر الكوثر.

٩- وهو (ﷺ) أول من يدخل الجنة.

١٠- وأنه (ﷺ) يسأل عن غيره يوم القيامة، وكل الناس يسألون عن أنفسهم.

*** ومنها عشر في باب النبوة، وهي:**

١١- تأييد شريعته (ﷺ) إلى يوم القيامة.

١٢- وأنه (ﷺ) مبعوث إلى الخلق كافة.

١٣- وكون كتابه (ﷺ) معجز، لا يمكن الإتيان بمثله.

١٤- وخص بخروج الماء من بين أصابعه.

١٥- وبليلة القدر.

١٦- وبيوم الجمعة عيدًا له ولأمته.

وأخرج الإمام أحمد في المسند (٦/ ١٣٥)، في قصة لعائشة مع يهودي وهي عند النبي (ﷺ) وفيه: إنهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام آمين، إسناده حسن.

١٧- وأنه (ﷺ) ممنوع من قول الشعر، فلا يتأتى له قوله ولا روايته.

وذكروا من شواهد ما أنشده من غير قصد الشعر، نحو رجزه (ﷺ) يوم حنين:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقد قيل: إن غيره أنشده فقال: أنت النبي لا كذب، فغيره النبي (ﷺ) وهذا حاصل ما ذكروه، وفي المسألة أقوال وتفصيلات مذكورة في مظانها من كتب التفسير والشمائل والخصائص.

١٨- وأنه (ﷺ) كان يرى ما خلفه كما يرى ما بين يديه.

وقوله: «ومنها عشر في باب النبوة».

لم يذكر المصنف (رحمه الله) إلا ثمان، وعند التحقيق إلا سبع خصال، ولعل الباقي كونه (ﷺ) أفضلهم، وأنه أوتي من السنة مثل القرآن منزلة في التشريع، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ (النجم: ٣) وكما قال: (ﷺ): ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، وبالإسراء والمعراج.

*** ومنها: عشر في باب الطهارة وهي:**

١٩- كمال الوضوء.

وقوله: عشر في باب الطهارة:

ذكر المصنف (رحمه الله) ثمان أو تسع خصال، ولعل تمام ذلك: عدم انتقاض وضوئه (ﷺ) بالقبلة واللمس، وإباحة دخوله ومكثه في المسجد جنبًا.

وقوله: «كمال الوضوء».

فعن عبد الله بن هبيرة، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: دعا رسول الله (ﷺ) بوضوء فتوضأ واحدة واحدة، فقال: هذا الوضوء الذي لا يقبل الله الصلاة إلا به، ثم توضأ اثنتين اثنتين فقال: هذا وضوء الأمم من قبلكم، ثم توضأ

ثلاثًا ثلاثًا، فقال: هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي، وقد يعبر بعضهم بالكمال: الوضوء لكل صلاة، لحديث أنس عند البخاري: كان رسول الله (ﷺ) يتوضأ لكل صلاة، قال عمرو بن عامر: قلت كيف كنتم تصنعون؟ قال: يجزئ أحدنا الوضوء ما لم يحدث، وقال بعضهم نسخ ذلك بحديث ابن بريدة أن رسول الله (ﷺ) كان يتوضأ لكل صلاة حتى كان يوم الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد، فقال بعضهم: كان النبي (ﷺ) يتعمد المواظبة على ذلك طلبًا للكمال.

٢٠- والتيمم.

٢١- ووجوب السواك عليه خاصة.

٢٢ و ٢٣- وجعلت له الأرض مسجدًا، وترابها طهورًا.

٢٤- وكان (ﷺ) ينام حتى يغط، ثم يصلي ولا يتوضأ، ويقول (ﷺ): تنام عيناي ولا ينام قلبي.

قوله: «ووجوب السواك عليه خاصة»:

وحديث عبد الله بن حنظلة: أن رسول الله (ﷺ) أمر بالوضوء لكل صلاة طاهرًا أو غير طاهر، فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك لكل صلاة.

٢٥- وجعل له الماء مزيلاً للنجاسة.

٢٦- وإن كثر الماء لا يؤثر فيه النجاسة.

٢٧- والاستنجاء بالحجارة.

ومنها عشر في باب الصلاة، وهي:

٢٨- أنه (ﷺ) خص بصلاة العشاء الآخرة، ولم يكن لنبي قبله.

٢٩- وبصلاة الجمعة.

قوله: «ومنها عشر في باب الصلاة»:

ذكر المصنف (رحمه الله) تسع خصال، فأما الكسوفان والاستسقاء فلم أر من ذكرهما، ولم أقف على دليل الاختصاص، وذكر غيره: التأمين، واستقبال الكعبة، والصف كصف الملائكة، وتحية السلام، وقول المصلي بعد الركوع: اللهم ربنا لك الحمد، والصلاة في النعلين.

قوله: «خص بصلاة العشاء الآخر»:

ومن حديث معاذ بن جبل، وهذا لفظه عند أبي داود: أعتموا بهذه الصلاة، فإنكم قد فضلتم بها على سائر الأمم، ولم تصلها أمة قبلكم.

قوله: «وبصلاة الجمعة»:

ومن حديث حذيفة وأبي هريرة: أن رسول الله (ﷺ) قال: أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل يوم الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق.

٣٠- وبصلاة الجماعة.

قوله: «وبصلاة الجماعة».

قال السيوطي في الخصائص ذكر ابن فرشة في شرح المجمع في قوله (ﷺ): من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو منّا، قال: أراد بقوله: صلاتنا، الصلاة بالجماعة، لأن الصلاة منفردًا موجودة فيمن كان قبلنا.

٣١- وبصلاة العيدين.

٣٢- وبصلاة الليل:

احتج بعضهم لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (الإسراء: ٧٩) وبقوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (المزمل: ٢) وبأنه (ﷺ) كان خلقه القرآن، وقد قال تعالى: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ (الذاريات: ١٧) وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ (الفرقان: ٦٤) واستدل الرافعي (رحمه الله) بحديث عائشة مرفوعًا: ثلاث هن عليّ فرائض وهن عليكم سنة: الوتر، والسواك، وقيام الليل.

٣٣- وبصلاة الكسوفين.

٣٤- وبصلاة الاستسقاء.

٣٥- وبالأذان والإقامة.

وقوله: «وبالأذان والإقامة»:

عن أنس قال: ذكروا النار والناقوس، فذكروا اليهود والنصارى، فأمر بلال أن يشفع الآذان، وأن يوتر الإقامة، وفي رواية أبي الشيخ فقالوا: لو اتخذنا ناقوسًا، فقال رسول الله (ﷺ): ذاك للنصارى، فقالوا: لو اتخذنا بوقا، فقال (ﷺ): ذاك لليهود، فقالوا: لو رفعنا نارًا، فقال (ﷺ): ذاك للمجوس.

٣٦- وبالوتر.

*** ومنها: عشر في باب الجهاد وغيره:**

٣٧- أنه (ﷺ) خص بإباحة الغنيمة، وكانت حرامًا على من قبله.

٣٨- ونال (ﷺ) صفية (رضي الله عنها) من رأس الغنيمة.

يعني قبل قسمتها، وهو الذي يعبر عنه بعضهم بالصفي وهو مما خُص به (ﷺ) كان له (ﷺ) أن يصطفي من الغنيمة قبل قسمتها ما شاء ليس ذلك لغيره.

ومن حديث يزيد بن عبد الله قال: كنا بالمربد فجاء رجل أشعث الرأس، بيده قطعة أديم أحمر، فقلنا: كأنك من البادية، فقال: أجل، ناولنا هذه القطعة الأديم التي في يدك، فناولناها فقرأناها فإذا فيها: من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أقيس، إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأديتم الخمس من المغنم، وسهم النبي الصفي، أنتم آمنون بأمان الله ورسوله، فقلنا: من كتب لك هذا؟ قال: رسول الله (ﷺ).

قال الخطابي: أما سهم النبي (ﷺ) فإنه كان يسهم له كسهم رجل ممن شهد الوقعة حضرها النبي (ﷺ) أو غاب عنها، وأما الصفي فهو ما يصطفيه من عرض الغنيمة من شيء قبل أن يخمس -عبدًا أو جارية أو فرسًا أو سيفًا أو غيرها- وكان النبي (ﷺ) مخصوصًا بذلك مع الخمس الذي كان له خاصة.

وفيه أيضًا حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: كانت صفية من الصفيّ وقال ابن عبد البر: سهم الصفيّ مشهور في صحيح الآثار، معروف عند أهل النقل، ولا يختلف أهل السير في أن صفية منه.

٣٩- وأنه (ﷺ) كان أفرس العالمين.

٤٠- وأنه (ﷺ) كان لا يرجع إذا خرج للحرب.

٤١- وإذا لبس (ﷺ) لأمته لم ينزعها حتى يقاتل.

ومن حديث جابر بن عبد الله: أن رسول الله (ﷺ) قال: رأيت كأني في

درع حصينة، ورأيت بقرًا تنحر، فأولت أن الدرع: المدينة، وأن البقر نفر والله خير، فلو أقمنا بالمدينة، فإذا دخلوا علينا قاتلناهم، فقالوا: والله ما دخلت علينا في الجاهلية أفيدخل علينا في الإسلام؟ قال: فشأنكم إذن؟ وقالت الأنصار بعضها لبعض: رددنا على رسول الله (ﷺ) رأيه، فجاؤا فقالوا: يا رسول الله شأنك، فقال: الآن؟، إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل.

٤٢- ولا ينهزم إذا لقى العدو وإن كثر عليه العدد، بل جيشه (ﷺ) ينهزم إليه ويلوذ به، فعن علي (رضي الله عنه) قال: لقد رأيتنا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله (ﷺ) وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا، ومن حديث البراء، وقيل له: أفررتم عن رسول الله (ﷺ) يوم حنين؟ قال: لكن رسول الله (ﷺ) لم يفر إن هوازن كانوا قوما رماة، فلما التقيناهم وحملنا عليهم انهزموا، فأقبل الناس على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانهزم الناس، فلقد رأيت رسول الله (ﷺ) يومئذ وأبا سفيان بن الحارث أخذًا بلجام البغلة ورسول الله (ﷺ) يقول:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

٤٣- وخص (ﷺ) بالحمى، ويكون أفضل العالمين.

ومن حديث الصعب ابن جثامة مرفوعًا: لا حمى إلا لله ولرسوله، وفيه: عن ابن شهاب قال: بلغني أن النبي (ﷺ) حمى النقيع، وقال ابن الملقن: وكان له (ﷺ) أن يحمي لنفسه، ولم يقع ذلك منه، ولو وقع لكان ذلك لمصلحة المسلمين، لأن ما كان مصلحة له فهو مصلحة لهم، وليس للأئمة بعده ولا لغيرهم أن يحموا لأنفسهم كما هو مقرر في موضعه من كتب الفقه قال: وما حماه للمسلمين لا ينقض بحال لأنه نص، وقيل: إن بقيت الحاجة التي حمى لها لم ينقض وإن زالت، فوجهان، والأصح: المنع أيضًا لأنه تغيير المقطوع

بصحته باجتهاد، أما الإمام بعده فله أن ينقض حماه للحاجة على الأصح.

٤٤- وأبيح له الوصال في الصوم.

لأنه قربة في حقه بما أهله الله ومكنه، وبين ذلك (ﷺ) في جوابه لما قيل له: فإنك تواصل؟ قال: إني لست مثلكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني.

٤٥- ولم يكن له (ﷺ) خائنة الأعين.

قال ابن الملقن في الغاية: اختلف في المراد بخائنة الأعين، فقيل: هي الإيماء بالعين، وقيل: مسارقة النظر، وعبارة الرافعي: هي الإيماء إلى مباح من ضرب أو قتل على خلاف ما يظهر ويشعر به الحال، وإنما قيل لها خائنة الأعين تشبيهًا بالخيانة من حيث إنه يخفي خلاف ما يُظهر، ولا يحرم ذلك على غيره إلا في محظور، واستدل به صاحب التلخيص على أنه لم يكن له أن يخدع في الحرب وخالفه المعظم كما قال الرافعي معللًا بأنه اشتهر عنه (ﷺ) أنه كان إذا أراد سفرًا ورى بغيره، وصح أنه (ﷺ) قال: الحرب خدعة، والفرق أن الرمز يزري برامزه بخلاف الإيهام في الأمور العظام، والحجة في هذا حديث سعد بن أبي وقاص في قصة الفتح وفيه: وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله (ﷺ) الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي (ﷺ) فقال: يا رسول بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثًا كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟ قالوا: ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك، هلا أومأت إلينا بعينك؟ قال (ﷺ): لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين وحديث ابن المسيب: أن رجلاً كان قد نذر أن يقتل عبد الله بن سرح لأمر النبي (ﷺ) يوم الفتح، فلما جاء عثمان به وقف الأنصاري وقد أخذ بقائم السيف ينتظر النبي (ﷺ) متى يومِئ إليه أن يقتله،

فشفع له عثمان حتى تركه، ثم قال رسول الله (ﷺ) للأنصاري: هلا وفيت بنذرك؟ فقال: يا رسول الله وضعت يدي على قائم السيف انتظر متى تومئ فأقتله، فقال النبي (ﷺ): الإيماء خيانة، ليس لنبي أن يومِئ.

ومنها: عشر في باب النكاح، وهي:

٤٦- أنه أبيح له (ﷺ) البضع بلفظ الهبة لقوله (عز وجل): ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: ٥٠) فله (ﷺ) أن يعقد بلفظ الهبة.

٤٧- وخص (ﷺ) بإسقاط المهر، فأبيح له البضع بلا بدل.

٤٨- وبالنكاح بلا ولي ولا شهود، لأن الشهود يحتاج إليهم للاستيثاق وثبوت النسب، ولما يفارق الزنا، وكان (ﷺ) معصومًا عن مثل ذلك.

وأشكل على الصحابة من أمر صفية حين بنى بها رسول الله (ﷺ) فقالوا: لا ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولده وقالوا: إن حجبها فهي أم ولد، فلما أراد أن يركب حجبها فعرفوا أنه قد تزوجها، أما زينب فمنصوص عليها لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ (الأحزاب: ٣٧) فدخل عليها بلا إذن بتزويج الله تعالى.

٤٩- وحرم الله نكاح أزواجه على الخلق من بعده، فقال (عز وجل): ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ (الأحزاب: ٥٣) فإن قيل: حرم نساؤه على غيره، فلم أبيح بناته لغيره؟ الجواب: أن الإنسان تلحقه غضاضة أن يتزوج نساؤه من بعده، ويلحقه غضاضة أن لا تخطب بناته، فهذا هو الفرق بين المرأة والابنة، وقد حرم على الابن التزوج بامرأة الأب، وحرمته (ﷺ) آكد.

٥٠- ووجبت لهن النفقة بعد موته.

٥١- وإذا ابتدأ رسول الله (ﷺ) القسم لبعض نسائه فقيل: إن له ألا يقسم للباقيات.

ومن حديث عائشة قالت: لما ثقل برسول الله (ﷺ) واشتد وجعه واستأذن أزواجه في أن يمرض في بيتي فأذنَّ له، وصح أنه (ﷺ) كان يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك.

٥٢- وقيل: إذا وطئ صلوات الله عليه جارية بملك اليمين لا تثبت الحرمة في أمها وأثبتها حتى لا يجوز الجمع بينهما.

ولم يحل له (ﷺ) الجمع بين الأختين لأن خطاب الله تعالى يدخل فيه نبيه وقال (ﷺ): لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وقد ذهب إلى سريانه عليه (ﷺ) جماعة لعدم ثبوت ما يخص حكمه وذلك أولى.

٥٣- وكان له (ﷺ) أن يخطب على خطبة أخيه، وكان له أن يتزوج بأكثر من أربع، وكان طلاقة زائدًا.

قوله: «وكان له (ﷺ) أن يخطب على خطبة أخيه».

لأنه كما قال تعالى: ﴿أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦) وكذا إن كانت ذات زوج وجب على زوجها طلاقها لينكحها على الصحيح، فقد ثبت تنازل الأنصار لإخوانهم المهاجرين محبة وصدقًا وإخلاصًا، فلأن يكون ذلك للنبي (ﷺ) من باب أولى، وفي المتفق عليه: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله وولده ووالده والناس أجمعين.

قال الإمام الغزالي: لعل السر من جانب الزوج امتحان إيمانه بتكليفه النزول عن أهل -يعني: لهذا الحديث- قال: ومن جانبه (ﷺ) ابتلاؤه بالبلية البشرية، ومنعه من خائنة الأعين، ومن الإضمار الذي يخالف الإظهار.

٥٤- وكان له (ﷺ) إذا طلق امرأة بائنة ثم بدا له، وكان لا يحتاج أن يتوسطه زوج آخر، وله أن يخطبها ثانيًا قبل أن يتزوج.

٥٥- وفرض عليه التخيير بين أزواجه.

٥٦- ثم حظر عليه التزوج عليهن والاستبدال بهن لقول الله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ ﴾ (الأحزاب: ٥٢) لأنهن خُيِّرن فاخترن المقام معه على شدة الفقر، فعوضهن الله تعالى على ذلك بأن حرم على النبي (ﷺ) التزوج بغيرهن.

٥٧- وكان (ﷺ) كفؤًا لأي أحد وإن كانت شريفة، فإذا تزوج (ﷺ) بولي فاسق أو أعمى جاز ذلك، وكذلك إذا كان أخرس.

٥٨- ومما خلص به (ﷺ) أن حرم الله عليه نكاح الإماء أبدًا.

٥٩- وحرم عليه تزوج الذميات؛ لأن الله أخبر أن المشركين نجس، فحظر عليه معاشرتهن، وقد قال (ﷺ) كل سبب ونسب ينقطع، والزوجة اتصالها بالنسب.

وقوله: «كل سبب ونسب ينقطع».

وتمامه: يوم القيامة إلا سببي ونسبي، من حديث عمر بن الخطاب وابنه عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، والمسور بن مخرمة -(رضي الله عنهم) أجمعين.

قال بعض أهل النظر في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ (الأحزاب: ٢٨) قال: في هذه الآية دليل على أنه لا يجوز له (ﷺ) أن يتزوج بكافرة، لأنه سبحانه لم يرض لأزواجه أن يكن ممن يردن الحياة الدنيا وزينتها، فبأن لا يرضى لهن الكفر والشرك من باب أولى، فكان في هذا ما دل على فضله (ﷺ) على الأنبياء قبله إذ كانوا صلوات الله عليهم أجمعين غير ممنوعين من

نكاح الكوافر، قال الله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ (التحريم: ١٠).

٦٠- ومما خص به (ﷺ) أن الواحدة من نسائه إذا أتت بفاحشة ضعف لها العذاب، قال أبو سعد: فذلك ستون خصلة باين بها رسول الله (ﷺ) جميع الخلق. والله أعلم.

فصل جامع في خصائصه (ﷺ)

١- وكان يجب عليه (ﷺ) حفظ أموال المسلمين إذا عدموا النفقة.

وقوله: إذا اعدموا النفقة:

من حديث أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) كان يؤتى بالرجل الميت عليه الدين فيسأل: هل ترك لدينه من قضاء؟ فإذا حدث أنه ترك وفاء صلى عليه وإلا قال: صلوا على صاحبكم، فلما فتح الله عليه الفتوح قال (ﷺ): أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي وعليه دين فعليّ قضاؤه، ومن ترك مالاً فهو لورثته.

قال النووي (رحمه الله): قيل: كان هذا القضاء واجبًا عليه (ﷺ) وقيل: هو تبرع منه، قال: والخلاف وجهان لأصحابنا.

٢- وجب عليه (ﷺ) صلاة الليل والوتر، والسواك.

٣- ويحرم عليه (ﷺ) صدقة الفريضة، وصدقة التطوع، وخائنة الأعين.

٤- ولم يكن له (ﷺ) إذا سمع بمنكر ترك النكير.

وقوله: «ويحرم عليه (ﷺ) صدقة الفريضة- وصدقة التطوع، استدل لذلك

بقوله (ﷺ) للحسن (رضي الله عنه): أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة، أخرجاه في الصحيحين، قال النووي (رحمه الله) في شرح مسلم تعليقًا على قوله (ﷺ): إنا لا تحل لنا الصدقة: ظاهره تحريم صدقة الفرض والنفل، وقال الحافظ في الفتح: كان يحرم عليه (ﷺ) صدقة الفرض والتطوع، كما نقل غير واحد منهم الخطابي الإجماع، قال: واختلف هل كان تحريم الصدقة من خصائصه (ﷺ) دون الأنبياء أو كلهم سواء في ذلك؟ وليس له (ﷺ) نكير، ولا أن يتعلم الشعر.

٥- وكلف وحده (ﷺ) من العلم ما كلف الناس بأجمعهم.

٦- وأن يستغفر الله في كل يوم سبعين مرة.

وقوله: «وأن يستغفر الله في كل يوم سبعين مرة» عن أبي هريرة مرفوعًا: إنه ليغان على قلبي، وإني لاستغفر الله في اليوم مئة مرة.

٧- وكان (ﷺ) لا ينطق عن الهوى.

٨- وكان (ﷺ) لا يأكل متكئًا، وقال (ﷺ): أما أنا فلا آكل متكئًا.

٩- وكان -عليه الصلاة والسلام- لا يأكل الثوم والبصل والكراث، وقال (ﷺ) إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.

قوله: «إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم».

في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله وهذا الشطر فيه عند مسلم، اختصر البخاري لفظه، وأوله: من أكل من هذه البقلة الثوم، وقال مرة، من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، وقال ابن الملقن في الغاية وهل كان ذلك حرامًا عليه (ﷺ)؟ فيه وجهان:

أحدهما وبه جزم الماوردي: نعم كيلا يتأذى به الملك، وأشبههما: لا، وإنما كان يمتنع منه (ﷺ) ترفعًا.

ويدل على الثاني حديث أبي سعيد الخدري في هذا وقول النبي (ﷺ): أيها الناس إنه ليس بي تحريم ما أحل الله لي، ولكنها شجرة أكره ريحها، أخرجه مسلم، وأخرج أيضًا من حديث أبي أيوب الأنصاري في هذا وفيه: فسألته: أحرام هو؟ قال: لا، ولكني أكرهه من أجل ريحه، قال: فإني أكره ما كرهت.

١٠- وكان (ﷺ) لا يأكل الضب، وقال (ﷺ) إني أعافه لأنه لم يكن بأرض قومي، أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن عباس وفيه قصة أخرجها البخاري في الأطعمة، باب كان النبي (ﷺ) لا يأكل حتى يسمى له فيعلم ما هو، قال أبو عاصم: إذا اتجه القول بأن البصل والثوم والكراث لم يكن حرامًا في حقه (ﷺ) مع تأذي الملك منه، فيتجه القول بذلك في الضب من باب أولى، فكيف وقد نص (ﷺ) بأنه يعافه، ثم بين (ﷺ) العلة وهو أنه لم يكن بأرض قومه (ﷺ).

١١- ولا يصلي (ﷺ) على من عليه دين.

وقوله: «ولا يصلي (ﷺ) على من عليه دين».

استدل لذلك بأحاديث منها: حديث سلمة بن الأكوع أن النبي (ﷺ) أتى بجنازة ليصلي عليها فقال: هل عليه دين؟ قالو: لا، فصلى عليه، ثم أتى بأخرى فقال: هل عليه دين؟

قالوا: نعم، فقال: صلوا على صاحبكم فقال أبو قتادة: عليّ دينه يا رسول الله فصلى عليه.

فاختلف أهل العلم هل كان يحرم عليه (ﷺ) أن يصلي على من عليه دين؟ ذكر الرافعي عن أبي العباس الروياني وجهين:

أحدهما: الجواز كغير من الأمة، فلا يكون من الخصائص.

الثاني: لا يجوز، وفي جوازه مع وجود الضامن وجهان؛ وجزم النووي بأن الصواب جوازه مع الضامن، ثم نسخ التحريم فكان (ﷺ) بعد ذلك يصلي على من عليه دين، ولا ضامن له، ويوفيه من عنده (ﷺ)، قال: والأحاديث الصحيحة مصرحة بتلك.

ومن حديث أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) كان يؤتى بالمتوفى عليه الدين فيسأل: هل ترك لدينه من قضاء؟ فإن حدث أنه ترك وفاء صلى عليه، وإلا قال للمسلمين: صلوا على صاحبكم، فلما فتح الله عليه الفتوح قال فقال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك دينًا فعليّ قضاؤه، ومن ترك مالًا فهو لورثته.

١٢- وأبيح له (ﷺ) النكاح في الإحرام، والحمى له (ﷺ) خاص.

وقوله: «أبيح له (ﷺ) النكاح في الإحرام».

عند بعض أهل العلم هذا من خصائصه (ﷺ) لحديث ابن عباس -ولم يشهد الواقعة-: أن النبي (ﷺ) تزوج ميمونة وهو محرم، أخرجاه في الصحيحين، وقد خالفه غيره من الصحابة ممن شهد الواقعة وباشرها، منهم: أم المؤمنين نفسها ميمونة بنت الحارث (رضي الله عنها)، وأبو رافع مولاه: أن النبي (ﷺ) إنما تزوجها وهو حلال، لذلك كان للعلماء في المسألة كلام وتأويلات يطول المقام بنقلها، فإن الشافعي (رحمه الله) رد رواية ابن عباس بحديث أبي رافع وميمونة، ولم يثبت الشافعي وقوع العقد حال إحرامه (ﷺ) فالتجويز يحتاج إلى دليل لكن

النووي صحح انعقاد النكاح حال إحرامه (ﷺ)، وهو مما يرجح القول بثبوت الخصوصية.

١٣- وأحلت له (ﷺ) مكة، وقال: لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من النهار.

قوله: «لم تحل لأحد قبلي».

هو طرف من حديث أبي هريرة الطويل، أوله: إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليهم رسول الله والمؤمنين، ألا وأنها لم تحل لأحد قبلي، الحديث أخرجه البخاري في غير موضع من صحيحه.

١٤- وجعل له (ﷺ) أن يحرم المدينة -ما بين لابتيها-.

١٥- وأحل له (ﷺ) التقبيل والوصال في الصوم.

١٦- وكان (ﷺ) ينام حتى يغط، ثم يصلي ولا يتوضأ.

١٧- وكانت صلاة تطوعه (ﷺ) قاعدًا لغير علة كصلاته قائمًا، ولا ينقص من أجره شيء إن شاء الله وقوله: «كصلاته (ﷺ) قائمًا».

واستدل النووي بما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: حدثت أن رسول الله (ﷺ) قال: صلاة الرجل قاعدًا نصف الصلاة، قال: فأتيته فوجدته يصلي جالسًا فوضعت يدي على رأسه فقال: مالك يا عبد الله بن عمرو؟ قلت: حدثت يا رسول الله أنك قلت: صلاة الرجل قاعدًا على نصف الصلاة، وأنت تصلي قاعدًا؟ قال: أجل، ولكني لست كأحد منكم.

قال الإمام النووي معلقًا: هذا عند أصحابنا من خصائصه (ﷺ) جعلت نافلته (ﷺ) قاعدًا مع القدرة على القيام كنافلته قائمًا تشريفًا له (ﷺ) قال القاضي عياض: معناه: أن النبي (ﷺ) لحقه مشقة من القيام لحطم الناس

وللسن، فكان أجره (ﷺ) تامًا بخلاف غيره ممن لا عذر له.

١٨- وأبيح له (ﷺ) أن يدعو المصلي فيجيبه وهو في الصلاة.

قوله: «فيجيبه وهو في الصلاة».

استدل لهذه الخصيصة بما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد بن المعلى قال: مرّ بي رسول الله فقال: ألم يقل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ (الأنفال: ٢٤) وهذه الخصيصة فيما خص به النبي (ﷺ) من دون سائر الأنبياء.

١٩- وأن الميت يسأل عنه (ﷺ) في القبر.

٢٠- خرج رسول الله (ﷺ) في جوف الليل يدعو ومعه أبو رافع، فدعا ما شاء الله، ثم انصرف منقلبًا، فمر على قبر فقال (ﷺ): أف، أف، أف -ثلاثًا- فقال أبو رافع: يا نبي الله بأبي وأمي ما بك؟ فقال النبي (ﷺ) لا، ولكني أففت من صاحب هذا القبر، سئل عني فشك.

٢١- وكان (ﷺ) لا يورث، كان ماله بعد موته (ﷺ) صدقة.

٢٢- وأبيح له (ﷺ) دخول المسجد جنبًا.

قوله: «وأبيح له (ﷺ) دخول المسجد جنبًا».

وكذلك حديث جسرة عن أم سلمة مرفوعًا: ألا لا يحل هذا المسجد لجنب ولا حائض إلا لرسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

٢٣- وأبيح له (ﷺ) الحكم لنفسه، وكذلك أبيح له أن يحكم لولده.

قوله: «وأبيح له (ﷺ) الحكم لنفسه».

بوب لذلك البيهقي في السنن الكبرى فقال: باب ما أبيح له (ﷺ) من

الحكم لنفسه وقبول شهادة من شهد له بقوله، وإن جاز له ذلك جاز أن يحكم (ﷺ) لولده وولد ولده ثم أخرج في الباب حديث ابتياعه (ﷺ) الفرس الذي شهد له به خزيمة بن ثابت.

٢٤- وقسم شعره (ﷺ) بين أصحابه وكان طاهرًا.

ومن حديث أنس -وهو في الصحيحين- أن النبي (ﷺ) لما رمى الجمرة ونحر هديه ناول الحلاق شقة الأيمن فحلقه فناوله أبا طلحة، ثم ناوله شقه الأيسر فحلقه، وأمره أن يقسمه بين الناس.

٢٥- وشُرب بوله ودمه (ﷺ) فقال لصاحب البول: لا يتجع بطنك، وقال لصاحب الدم: حرم لحمك على النار، وقال: ويل لك من الناس، وويل للناس منك.

فصل: ذكر ما كان له (ﷺ) من الفيء والغنيمة

كان (ﷺ) يأخذ خمس خمس الغنيمة والفيء، وذلك ما شاء: عبدًا أو أمة أو فرسًا أو غير ذلك، ثم يقسم الباقي.

وأما خمسه فكان يحبس منه لعياله قوت سنة، يدفع إلى كل امرأة من نسائه مائة وسق: ثمانين تمرًا، وعشرين شعيرًا.

وأما الفيء فكان (ﷺ) يصرفه في مثل ذلك، فكان له (ﷺ) أربعة أخماس الفيء مخصوصًا به، وهو ما يقوم به الولاة من الأموال، وجملة ذلك ثلاثة: أموال الصدقات، والفيء، والغنائم.

فالصدقات لأهلها، وهي ثمانية أصناف:

فثلاثة يأخذون وإن كانوا أغنياء، وهم: العاملون، والمؤلفة، والغارمون إذا

عملوا لإصلاح ذات البين وهم أغنياء، وقيل أيضًا: الغازي، والباقون يدفع إليهم إن كانوا فقراء.

وثلاثة يدفع إليهم بغير بينة: وهم الفقراء، والمساكين، وابن السبيل.

والباقون لا يدفع إليهم إلا ببينة، ومن لم يوجد رجع سهمه على باقي أهل السهمين.

وأما الغنيمة فإنها تخمسَّ: فأربعة أخماسها للغانمين، وخمسها يقسم على خمسة أيضًا، فيعزل سهم النبي (ﷺ)، ثم يدفع الباقي إلى ذوي القربى سهم: وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب أغنياء كانوا أو فقراء، للذكر سهمان وللأنثى سهم، وسهم ليتامى المسلمين الفقراء، وسهم لمساكين المسلمين، وسهم لابن السبيل، وهم المسافرون الفقراء، وسهم رسول الله (ﷺ) ينفد في جميع ما يتم به مصلحة المسلمين من المساجد وأرزاق الحكام والفقهاء والأئمة والمؤذنين، والقراء، والثغور، والحصون ونحو ذلك.

وأما الفيء فكل ما أخذ من مشرك أو تركه المشرك أو هرب ونحو ذلك.

قال الشافعي (رحمه الله): يقسم خمسه، وخمس خمسه على خمسة كخمس الغنيمة.

وأما أربعة أخماسه فقال في أحد قوليه: أنه لأهل الفيء خاصة، لأنهم يقومون مقامه (ﷺ) في خوف العدو وتهييبه.

والقول الثاني: أنه يجري مجرى سهم رسول الله (ﷺ).

قال ابن المنذر: لا أعلم أحدًا من أهل العلم ممن تقدم الشافعي خمس الفيء أيضًا.

باب الموازاة

قوله: «باب الموازاة»:

ويقصد به المفاضلة بين الأنبياء بذكر ما خص به كل واحد منهم من الشرف، بغرض التوصل لمعرفة أفضلهم وأكرمهم عند الله، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، ومن السنة قوله (ﷺ): فُضِّلت على الأنبياء بست... الحديث.

قال غير واحد من أهل العلم -منهم الحافظ المزي وابن كثير في جزء الشمائل من التاريخ-: أول من تكلم في هذا المقام الإمام أبو عبد الله محمد ابن إدريس الشافعي (رضي الله عنه) قال: ما أعطى الله نبيًا مثل ما أعطى محمدًا (ﷺ)، فقال له عمر بن سوار: أُعطى عيسى إحياء الموتى، فقال: أعطى محمدًا (ﷺ) الجذع الذي كان يخطب إلى جانبه حين بني له المنبر، فحن الجذع حتى سُمع صوته، فهذا أكبر من ذلك.

وقد أورد البيهقي في هذا الباب حديث أبي هريرة المخرج في الصحيحين: ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة.

عن يحيى بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ): فضلت على آدم بخصلتين: كان شيطاني كافرًا فأعانني الله عليه حتى أسلم، وكن أزواجي عونًا لي، وكان شيطان آدم كافرًا، وزوجته عونًا على خطيئته.

فصل: فيما أوتيه آدم (عليه السلام)

قال أبو سعد صاحب الكتاب (رحمه الله): ما من شرف خصّ الله به نبيًا من أنبيائه إلا وأعطى رسوله محمدًا (صلى الله عليه وسلم) من جنسه أفضل منه.

١- ومنها: أن آية آدم (عليه السلام): في سجود الملائكة له، ولم يكن حقيقة السجود إلا لله تعالى ذكره، وكان آدم كالقبلة لهم فيه، والذي أعطي محمد (صلى الله عليه وسلم) من جنس ذلك أنه أمَّ ثلاث مائة وعشرة رسل حتى صلوا خلفه ليلة المعراج ببيت المقدس.

قوله: «في سجود الملائكة»:

وقال غيره: خلقه الله تعالى بيده، وعلمه الأسماء كلها.

وعن أبي رافع قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): مثلت لي أمتي في الماء والطين، وعلمت الأسماء كلها. اهـ. وأطلع الله نبينا (صلى الله عليه وسلم) على كثير من المغيبات والحوادث والكوائن، وأطلعه ليلة الإسراء والمعراج على ملكوته، وأراه من صور القيامة ما هو أعظم وأجل من تعليم الأسماء.

ومن حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أسيد مرفوعًا: عرضت عليّ أمتي البارحة لدى هذه الشجرة أولها وآخرها، فقال رجل: يا رسول الله هذا عرض عليك من خلق، فكيف عرض عليك من لم يخلق؟ فقال (صلى الله عليه وسلم): صوروا لي في الماء والطين حتى لأنا أعرف بالإنسان منهم من أحدكم بصاحبه.

قوله: «وكان آدم كالقبلة لهم»:

حكى الرازي في تفسيره (٢/ ٢٣٠) الإجماع على أن هذا السجود لم يكن سجود عبادة، لأن سجود العبادة لغير الله كفر، والأمر لا يرد بالكفر،

ثم حكى قول المصنف وقال: إن ذلك السجود كان لله تعالى، وكان آدم (عليه السلام) كالقبلة.

قال الفخر في تفسيره -فيما ذكره القسطلاني وغيره- إن الملائكة إنما أمروا بالسجود لآدم لأجل النور الذي كان في جبهته، قال القسطلاني: وقال الفاكهاني: عن أبي عثمان الواعظ قال: سمعت سهل بن محمد يقول في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ (الأحزاب: ٥٦)، هذا التشريف الذي شرف الله به محمدًا (صلى الله عليه وسلم) أتم وأجمع من تشريف آدم (عليه السلام) بأمره الملائكة بالسجود له، لأن الله لم يكن معهم في ذلك التشريف، فتشريف يصدر عنه سبحانه وعن ملائكته والمؤمنين أبلغ من تشريف تختص به الملائكة، زاد السيوطي في الخصائص: وهو أتم وأعم في الإكرام لاستمراره أبدًا، أما ذاك فوقع وانقطع.

٢- وقيل: إن الله تعالى فضله على آدم (عليه السلام)، وأن آدم خلقه بلطفه، وخلق نور محمد (صلى الله عليه وسلم)، فأمر الرب (عز وجل) النور فطاف حول عرشه قبل أن يخلق آدم بخمسمئة عام.

قوله: «خلقه بلطفه»:

أي: أمره كما قال سبحانه: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩).

قوله: «وخلق نور محمد (صلى الله عليه وسلم)»:

يعني: قبل أن يخلق آدم، هذا مراد المصنف كما يتضح من آخر السياق، وتعبيره بقيل يكفيك عن مطالبته الدليل.

ومن حديث أبي هريرة مرفوعًا: لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من

ظهره كل نسمة هو طالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا من نور ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود ...

ففيه إثبات النور الذي يرى في الجبهة وبين العينين، وأن وبيصه يختلف من نبي لآخر حسب فضله وأفضليته، وإذا ثبت ذلك للنبي داود (عليه السلام) فهو في حق نبينا (صلى الله عليه وسلم) أثبت وأولى للإجماع على أفضليته على سائر الأنبياء.

قالوا: وآدم (عليه السلام) حين خلق عُلِّم الأسماء كلها ولم يعلم الملائكة، وجعل ذلك آية لسجود الملائكة.

قلنا: وكذلك محمد (صلى الله عليه وسلم) كان أميًا وأمته كاتبون، وكانت هذه آية له، وقد آتاه الله كتابًا جمع له فيه خبر الأولين والآخرين، وفصل الخطاب وهو القضاء بين الناس، ثم أبقى آيته -وهو القرآن- تقرأ إلى يوم القيامة.

فصل: فيما أوتيه إدريس (عليه السلام)

ولئن رفع إدريس (عليه السلام) إلى السماء، فقد رفع محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى الحجب، فشاهد ما لم يعاينه أحد، قال الله (عز وجل): ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ (الإسراء: ٦٠)، وقال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (النجم: ٨، ٩)، وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ (الإسراء: ١).

١- قالوا: قد أُطعم إدريس بعد وفاته من الجنة، وقد أطعم محمد (صلى الله عليه وسلم) في الدنيا، فقيل له: إنك تواصل يا رسول الله، قال: إني لست كأحدكم، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني، فكم بين من أطعم في حياته وبين من أطعم

بعد وفاته.

قوله: «بعد وفاته من الجنة»:

قد أعطي ذلك من هو أدنى مقامًا من الأنبياء: الشهداء، أخبر الله بذلك في كتابه فقال: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمـران: ١٦٩، ١٧٠).

فصل: فيما أوتيه نوح (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

وأعطى الله نوحًا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) جري السفينة على الماء، واليوم تجري السفينة للكافر والمؤمن، وأعطي نبينا محمدًا (ﷺ) جري الحجر على الماء، وذلك أبلغ في الأعجوبة.

فـروي: أنه (ﷺ) دعا عكرمة بن أبي جهل إلى الإسـلام فقال: لا حتى تريني آية -وكان بين يدي رسول الله (ﷺ) غدير ماء حوله أحجار-، فقال (ﷺ): ائت ذلك الحجر، فقل: إن محمدًا يدعوك: فذهب إليه وقال: إن محمدًا (ﷺ) يدعوك، فجرى الحجر على وجه الماء حتى انتصب قائمًا بين يدي رسول الله (ﷺ)، وقد علم أن جري الحجر على الماء أبلغ في باب الإعجاز من جري الخشب على الماء.

قالوا: إن قوم نوح لما بالغوا في إيذائه والاستخفاف به، وتركوا الإيمان به دعا عليهم نوح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح: ٢٦)، فاستجاب الله دعوته وشفا غيظه بإهلاك قومه.

وقد نال محمد (ﷺ) من المحن والنكبات والاستخفاف حتى أنزل الله ملك الجبال وأمره أن يطيع محمدًا (ﷺ) فيما يأمره به من إهلاك قومه، فاختار (ﷺ) الصبر على أذاهم.

قوله: «دعا عليهم نوح (عليه السلام)»:

قال أبو نعيم (رحمه الله) في الدلائل: وكم لنبينا (صلى الله عليه وسلم) من دعوة مجابة، منها دعوته على الذين وضعوا السلا على ظهره، وقد دعا بالمطر عند القحط فهطلت السماء بدعائه، قال: وزاد نبينا (صلى الله عليه وسلم) عن نوح (عليه السلام) بأنه في مدة عشرين سنة آمن به ألوف كثيرة، ودخل الناس في دينه أفواجًا، وأقام نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا فلم يؤمن به إلا دون المائة نفس.

قال السيوطي في الخصائص (١١٢/٣): ومما أوتيه نوح (عليه السلام) تسخير جميع الحيوانات له في السفينة، وقد سخرت أنواع الحيوانات لنبينا (صلى الله عليه وسلم)، ونوح كان السبب في نزول الحمَّى إلى الأرض، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) نفى الحمَّى من المدينة إلى الجحفة.

فصل: فيما أوتيه إبراهيم الخليل (عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ)

١- أعطى إبراهيم (عليه السلام) تسخير النار، فكانت له معجزة، وروى عن الزهري قال: سخر لإبراهيم (عليه السلام) نار الدنيا.

ويقال لنار جهنم: كوني مطاوعًا لمحمد (صلى الله عليه وسلم)، أحرقي من يأمرك بإحراقه، وكفِّي عمن يأمرك بالكف عنه، فسخر الله لنبينا (صلى الله عليه وسلم) نار الآخرة، ونار الدنيا جزء من مئة جزء منها.

وقوله: «فكانت له معجزة».

بأن جعلها الله بردًا وسلامًا عليه فلم تحرقه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء: ٦٩)، والفرق بيّن ظاهر، بين ما أوتيه إبراهيم (عليه السلام) وبين ما أوتيه نبينا (صلى الله عليه وسلم)، فإن الله باشر الأمر للنار بنفسه ونبينا (صلى الله عليه وسلم) سخرت له المخلوقات فجعلت رهن إشارته وأمره، فكان يباشر

الأمر بنفسه.

وقوله: «سخر لإبراهيم (عليه السلام) نار الدنيا».

وسخرها لنبينا (ﷺ) أيضًا، وطوعها له، وزاده عليه بأن جعله الله سبحانه الآمر لها.

وعن أبلج عن عمرو بن ميمون قال: أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار، فكان رسول الله (ﷺ) يمر به، ويُمر يده على رأسه، فيقول: يا نار كوني بردًا وسلامًا على عمار كما كانت على إبراهيم، تقتلك الفئة الباغية.

قوله: «ويقال لنار جهنم».

يعني حين يعطى النبي (ﷺ) مقام الشفاعة يوم القيامة، ففي حديث أنس المخرج في الصحيحين: أن الله (عز وجل) يحد له حدًا فيخرجهم من النار ويدخلهم الجنة، يقول (ﷺ) ثم أعود فأقع ساجدًا مثله في الثالثة أو الرابعة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن؟ أي: وجب عليه الخلود، وفي حديث سلمان عن ابن أبي شيبة أنه (ﷺ) يشفع في كل من كان في قلبه مثقال حبة من حنطة من إيمان، أو مثقال شعيرة من إيمان أو مثقال حبة خردل من إيمان، فذلك المقام المحمود، وفي حديث ابن عباس: حتى أن خازن النار يقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من نقمة، وعلى هذا الحديث والذي قبله يتبين أن الله طوّع له نار الدنيا والآخرة.

٢- وقيل: إن بإزاء إبراهيم حين ألقي في النار فبرد الله عليه النار، ما أعطى محمدًا (ﷺ) حين امتحنه بالذراع المشوي المسموم فقال: لا تأكلني يا رسول الله فإني مسموم.

والقصة: أن رسول الله (ﷺ) لما فرغ من فتح خيبر أهدت له زينب بنت

الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مسمومة، وكانت قد سألت: أي عضو إلى رسول الله من الشاة أحب؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السم، وسمَّت سائر الشاة، ثم جاءت بها فوضعتها بين يدي رسول الله (ﷺ)، فتناول الذراع، ثم قال: إن هذا الذراع ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بالمرأة فاعترفت، فقال: لها وما حملك على ذلك؟ قالت: قلت: إن كنت نبيًا لا يضرك ذلك، وإن كنت ملكًا استراح الناس منك، فقال النبي (ﷺ) عند موته: ما زالت أكلة خيبر تعاودني، فهذا أوان انقطاع أبهري.

فقيل: إن هذه الآية بإزاء آية إبراهيم في تبريد النار عليه، لأنها منعت مضرة الإحراق، وها هنا منع مضرة السم، ثم زيد له حتى كلمه الذراع المشوي، قالوا: فمنع النار الظاهرة عن خليله فقال: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ (الأنبياء: ٦٩) ومن نار الباطن عن حبيبه -وهو السم- فكلمه الذراع فقال: لا تأكلني فإني مسموم.

وقالوا: إن إبراهيم (عليه السلام) خص بالخلة، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء: ١٢٥) فكان أفضل من محمد (ﷺ).

وكذلك اتخذ الله محمدًا حبيبًا وخليلًا، ومن جمع له بين الخلة والمحبة كان أفضل ممن خص بالخلة، والحبيب ألطف من الخليل، ولا شك أن الأنبياء كلهم (عليهم السلام) وأممهم تحت رايته (ﷺ) يوم القيامة، وهو يشفع لهم. واختلف الناس في الفرق بين الحبيب والخليل فقال بعضهم:

الفرق بين الحبيب والخليل أنه لا يكون حبيبًا حتى يكون خليلًا، وقد يكون خليلًا غير حبيب، كما أن الرسول يكون نبيًا، ويكون النبي نبيًا غير رسول.

قوله: «اتخذ الله محمدًا حبيبًا وخليلاً».

لقوله (ﷺ) في حديث ابن عباس في جامع أبواب فضله (ﷺ) حين تسمع

(ﷺ) قول الصحابة وفي مفاضلتهم بين الأنبياء وقوله: عجبًا إن الله اتخذ من خلقه خليلًا فإبراهيم خليله... قال (ﷺ): ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وفي حديث عمرو بن قيس. إني قائل قولاً غير فخر: إبراهيم خليل الله، وموسى صفي الله، وأنا حبيب الله.

وقال الحافظ البيهقي في الشعب: اتخذ الله محمدًا حبيبًا بدلالة الكتاب وهو قوله (عَزَّ وَجَلَّ) ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٩٤) قال: فإذا كان اتباعه يفيد للمتبع محبة الله (عَزَّ وَجَلَّ) فالمتبع بها يكون أولى، ودرجة المحبة فوق درجة الخلة.

وقوله: «تحت رايته (ﷺ) يوم القيامة».

لحديث ابن عباس وغيره: وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه ولا فخر.

وقوله: «لا يكون حبيبًا حتى يكون خليلاً».

قال الإمام الحليمي في الشعب في معرض مفاضلته:

درجة المحبة فوق درجة الخلة فكل حبيب خليل وليس كل خليل حبيبًا واتخاذ الله إبراهيم خليلاً إنما هو على أعداء زمانه لا على غيره من النبيين، حين لم يكن في الدنيا نسمة تعرف الله، وحين كان الكفر قد طبق الأرض، فلما أمره ونهاه وظهرت منه الطاعة، وابتلاه فوجد منه الصبر، كان يومئذ خليله، وأهل الأرض كلهم أعداؤه؛ لأنه كان المطيع ومن سواه من الناس عصاة.

ويقال: الخليل الذي يكون فعله برضا الله كفعل إبراهيم، والحبيب الذي فعل الله برضاه ومراده، ألا ترى أن النبي (ﷺ) لما أراد تحويل القبلة حول الله القبلة على مراده قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

﴿تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ (البقرة: ١٤٤) وقال تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ (الضحى: ٥).

قوله: «ولسوف يعطيك ربك فترضى».

منها قول السيدة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها): ما أرى ربك إلا يسارع في هواك، وذلك لما نزل قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: ٥٠).

ويقال: الخليل الذي يكون بعضه متعلقًا بالدنيا، وبعضه متعلقًا بالمولى، والحبيب: الذي يكون بجملته متعلقًا بالمولى.

ويقال: الخليل الذي يمتحنه ثم يجتبيه ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ (البقرة: ١٢٤) والحبيب: الذي اصطفاه أولاً ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾ (القصص: ٦٨) يعني به محمدًا.

والخليل الذي أنس بذكر ربه، والحبيب الذي أنس بربه.

والخليل الذي منه انتظار العطاء، والحبيب الذي منه انتظار اللقاء والخليل الذي يصل إليه بالواسطة من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام: ٧٥) والحبيب الذي يصل إليه بلا واسطة من قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ (النجم: ٩) والخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع، قال الله (عز وجل) حاكيًا عن إبراهيم ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ (الشعراء: ٨٢).

والحبيب الذي تكون مغفرته في حد اليقين من غير سؤال، من قوله تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح: ٢).

وأيضًا: فإن الخليل قال: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ (الشعراء: ٨٧)، وقال الله للحبيب: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ (التحريم:٨).

وأيضًا: قال الخليل في حال المحنة: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣)، وقال الله للحبيب في حال المحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ٦٤).

وأيضًا: فإن الخليل قال: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ (الصافات: ٩٩)، وقال الله للحبيب: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ (الضحى: ٧).

وأيضًا: فإن الخليل قال: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ (الشعراء: ٨٤)، وقال الله للحبيب بغير سؤال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤).

وأيضًا: فإن الخليل قال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٥) وقال الله للحبيب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣).

والخليل قال: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ (البقرة: ١٢٨)، وقال للحبيب بغير سؤال: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ (الإسراء: ١).

وسأل الخليل فقال: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ (الشعراء: ٨٥)، وقال للحبيب: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ١).

وقال الله جل جلاله حاكيًا عن إبراهيم (عليه السلام): ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ (الشعراء: ٨٤)، قال بعض المفسرين: ثناء حسنًا، وقال بعضهم: خلقًا صالحًا، وقال بعضهم: ذكرًا باقيًا.

٣- فكان النبي (صلى الله عليه وسلم) الخلف الصدق من أبيه، والذكر الباقي لأسلافه كما قال جل جلاله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (الزخرف: ٤٤)، أي: شرف لك وصيت لهم.

وقيل: الفرق بين الحبيب والخليل: قال الخليل: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾

(نوح: ٢٨)، وقال للحبيب: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ (الشرح: ٢).

والخليل: الذي يعبده على الخوف مثل إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كان إذا صلى سمع وجيب قلبه من ميلين، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ (هود: ٧٥) والحبيب الذي يعبده على المحبة والروية.

قوله: «الذي يعبده على المحبة والروية».

شاهده من السنة قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لعائشة وقد أشفقت عليه طول قيامه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أفلا أكون عبدًا شكورًا وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩).

والخليل الذي يقول: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الصافات: ٩٩).

والحبيب يقول: لولا الله ما اهتدينا، وقال الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ (الضحى: ٧)، وقال: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الحج: ٦٧).

والخليل يكون مريدًا، والحبيب الذي يكون مرادًا.

والخليل عطشان، والحبيب ريان، كان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لا يسأم من العبادة قام حتى تورمت قدماه فقيل له: ﴿طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ (طه: ١، ٢).

٤- وكان (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مشغوفًا بقراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١) فقالت الجهلة: إن ابن أبي كبشة يحب مولاه أبدًا بقراءة نسبته: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١) ولكن من حديث أُبيّ بن كعب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أن المشركين قالوا للنبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يا محمد انسب لنا ربك! فأنزل الله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١).

وإن إبراهيم كان طالبًا، قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الصافات: ٩٩)

والحبيب كان مطلوبًا، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ (الإسراء: ١) أسري به من غير طلب.

فإن قيل: لم أظهر خلة إبراهيم ولم يظهر محبته لرسول الله (ﷺ)؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أثبت المحبة لمتبعه، فكيف يكون للمتبوع؟ قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١) أي ليس الطريق إلى محبة الله إلا اتباع حبيبه، ولا يتوسل إلى الحبيب بشيء أحسن من متابعة حبيبه وطلب رضاه وقال أبو عبد الرحمن السلمي: الحبيب يوجب لمتبعه اسم المحبة لذلك لم يوقع عليه هذا الاسم، فإن حاله أجل من أن يعبر عنه بالمحبة، لأن متبعيه استحقوا هذا الاسم بمتابعته ألا ترى الله (عَزَّوَجَلَّ) يقول: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١).

والجواب الثاني: ما قاله الجنيد: إذا أحببته شهرك ونادى عليك، وإذا أحبك سترك وغار عليك.

قالوا: إن إبراهيم كسر أصنام قومه غضبًا لله (عَزَّوَجَلَّ).

قلنا: ومحمد (ﷺ) كسر عن الكعبة ثلاثمئة وستين صنمًا وأذل من عبدها بالسيف.

فصل: فيما أوتيه موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

قالوا: أعطى الله موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فلق البحر، والبحر من ملكوت الأرض الدنيا قلنا: وأعطي محمدًا (ﷺ) شق القمر، والقمر من أنوار الفلك، ومن ملكوت السماء، وذلك أبلغ في باب الإعجاز.

وأعطي موسى (عليه السلام) انفجارًا من الحجر، واليوم يتفجر الماء من الأحجار.

١- ولكن قد روى جابر أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان في سفر فأصابهم عطش فدعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بتور من ماء وجعل يده في وسطه، وجعل الماء ينبع من تحت أصابعه حتى استقر العسكر كلهم ورويت الدواب، فقيل لجابر: كم كنتم؟ قال: ألفًا وستمئة، وهذا أعجب من تفجير الماء من الحجر، لأن انفجار الماء من اللحم والدم أعجب من خروجه من الحجر.

قالوا: إن موسى (عليه السلام) أعطى اليد البيضاء.

٢- قلنا: قد أعطى محمد (صلى الله عليه وسلم) ما هو أفضل منه وهو أن نورًا كان يضيء عن يمينه حيث ما جلس، فكان يراه الناس كلهم، وقد بقي ذلك النور إلى قيام الساعة.

قالوا: وإن كان موسى (عليه السلام) أكرمه الله بأن أنزل له عمودًا من السماء يضيء لهم ليلهم ويرتفع نهارهم.

وقوله: «إن نورًا كان يضيء عن يمينه فقد تقدم عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أنها فقدت إبرة لها في ليلة مظلمة فلما دخل عليها النبي (صلى الله عليه وسلم) التمستها فوجدتها، وفي قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي أنه طلب من النبي (صلى الله عليه وسلم) آية تكون له عونًا على إسلام قومه فسطع نور بين عينيه كالمصباح فقال: اللهم في غير هذا الموضع فإنه يظنونه مُثلة، فتحول النور إلى طرف سوطه، فجعلوا ينظرون إليه كالمصباح فهداهم الله على يديه ببركة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبدعائه لهم، وقوله (صلى الله عليه وسلم): اللهم اهد دوسًا وأت بهم، فكان يقال للطفيل: ذو النور لذلك.

وفي صحيح البخاري قصة أسيد بن حضير وعباد بن بشر، وخروجهما من

عند النبي (ﷺ) في ليلة مظلمة فأضاء لهما طرف عصا أحدهما، فلما افترقا أضاء لكل واحد منهما طرف عصاه.

وفي حديث محمد بن حمزة الأسلمي عن أبيه قال: سرنا في سفر مع رسول الله (ﷺ) في ليلة ظلماء دحمسة فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وإن أصابعي لتستنير.

٣- قلنا: ورسول الله (ﷺ) أعطى بعض أصحابه عصا يضيء بها أمامه وبين يديه، فأعطى قتادة بن النعمان عرجونًا فكان العرجون يضيء أمامه عشرًا.

وقوله: يضيء أمامه عشرًا، روى الحديث أبو سعيد الخدري في سياق طويل في فضل العراجين، وفي ساعة الجمعة، وفيه: ثم هاجت السماء من تلك الليلة، فلما خرج النبي (ﷺ) لصلاة العشاء الآخرة برقت برقة، فرأى قتادة بن النعمان فقال (ﷺ): ما السرى يا قتادة؟ قال: علمت يا رسول الله أن شاهد الصلاة قليل، فأحببت أن أشهدها، قال: فإذا صليت فاثبت حتى أمرّ بك، فلما انصرف أعطاه العرجون، وقال (ﷺ)، خذ هذا فسيضيء أمامك عشرًا وخلفك عشرًا، فإذا دخلت البيت وتراءيت سوادًا في زاوية البيت فأضربه قبل أن يتكلم فإنه شيطان. وقالوا: قد كلم الله موسى تكليمًا وناجاه وخاطبه، وألقى الألواح إليه، قلنا: وقد دنا رسول الله (ﷺ) من رب العزة دنوًا لم يدن موسى ولا أحد من المرسلين (عليهم السلام) ولا الملائكة المقربون- لقوله (عز وجل) ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ (النجم: ٨، ٩).

قالوا: وأعطى الله موسى (عليه السلام)، إلقاء العصا فاستحالت حية.

قلنا: فقد نطقت الشاة المسمومة لرسول الله (ﷺ) وأعلمته أنها مسمومة، فمصير الشاة المشوية ناطقة أعجب من مصير العصا حية.

٤- ورُوي عن بعض الصحابة قال: بينا أصحاب رسول الله (ﷺ) جلوس يتذاكرون فضل النبي (ﷺ) إذا أتاهم يهودي فقال: يا أمة محمد (ﷺ) ما تركتم للأنبياء درجة ولا للمرسلين فضيلة إلا وجعلتموها لنبيكم (ﷺ) فقال عليّ (رضي الله عنه): إن كنتم تزعمون أن موسى بن عمران كلم ربه (عز وجل) على طور سيناء، فإن الله (عز وجل) كلم محمدًا (ﷺ) في السماء السابعة: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (النجم: ٩).

قال: ولئن زعمت النصارى أن عيسى (عليه السلام) أبرأ العميان وأحيا الموتى بإذن الله (عز وجل)، فإن محمدًا (ﷺ) لما سألته قريش إحياء ميت نقيض عيسى بن مريم إذ كان، دعاني النبي (ﷺ) ثم وشحني ببرده السحاب، ثم قال: يا علي، انطلق مع القوم إلى المقابر فأحي لهم بإذن الله (عز وجل) ما سألوك من آبائهم وأمهاتهم وأجدادهم وعشائرهم، فانطلقت معهم، فدعوت الله (عز وجل) باسمه الأعظم، فقاموا من قبورهم ينفضون التراب عن رؤسهم بإذن الله (عز وجل).

ثم قال: وإن محمدًا (ﷺ) قد فعل ما هو أكثر من هذا وإن أبا قتادة بن ربعي الأنصاري شهد وقعة أحد، فأصابته طعنة في عينه فبرزت حدقته، فأخذها بيده ثم أتى بها رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله إن امرأتي الآن تبغضني فأخذها رسول الله (ﷺ) من يده ثم وضعها مكانها، فلم تكن تعرف إلا بفضل حسنها وفضل ضوئها على العين الأخرى.

قوله: «فأصابته طعنة في عينه، فإن الذي أصابته عينه يوم أحد قتادة بن النعمان وقد تقدم ذلك في المعجزات، فأما أبو قتادة فإنما أصيب في وجهه، وكان ذلك يوم ذي قرد حين أغير على لقاح رسول الله (ﷺ) فعن أبي قتادة قال: أدركني رسول الله (ﷺ) يوم ذي قرد فنظر إلي فقال: اللهم بارك في شعره وبشره، وقال: أفلح وجهك، قلت: ووجهك يا رسول الله، قال: قتلت

مسعدة؟ فقلت: نعم، قال: فما هذا الذي بوجهك؟ قلت: سهم رميت به يا رسول الله (ﷺ)، قال: فادن، فدنوت منه، فبصق عليه، فما ضرب قط ولا قاح.

٥- وروي عن أم سلمة (رضي الله عنها) أنها قالت: كنت عند رسول الله (ﷺ) في نصف النهار إذا أقبل ثلاثة نفر من أصحابه فقالوا: ندخل يا رسول الله؟ فصير ظهره إلى ظهري، ووجهه إليهم، فقال الأول منهم: يا محمد زعمت لنا أنك خير من إبراهيم، وإبراهيم اتخذه الله (عز وجل) خليلاً، فأي شيء اتخذك الله؟ فقال له النبي (ﷺ) ويحك! أكفر بعد إيمان؟ اتخذني الله (عز وجل) صفيًا، والصفي أقرب من الخليل.

قال: فقام الثاني فقال له: يا محمد زعمت لنا أنك خير من موسى، وموسى كلمه الله (عز وجل) تكليمًا، وأنت متى كلمك؟ فقال له النبي (ﷺ) ويلك، موسى كلمه الله (عز وجل) في الأرض، من وراء حجاب، أنا كلمني ربي تحت سرادق عرشه.

قال: فقام إليه الثالث فقال له: زعمت لنا أنك خير من عيسى، وعيسى أحيا الموتى، وأنت لم تحي شيئًا؟ قال: فغضب النبي (ﷺ) حتى تصابَّ عرقًا، وصفق بيديه وصاح: يا علي يا علي، فإذا علي (رضي الله عنه) مشتمل بشملة له وهو يقول: لبيك لبيك يا رسول الله، فقال (ﷺ): أين كنت يا علي؟ فقال: كنت في بستان أنضح على نخلي إذ سمعت صوتك وتصفيقك، فقال له: ادن مني، فوالذي نفس محمد بيده ما ألقى الصوت في مسامعك إلا جبريل، قال: فأقبل عليٌّ (رضي الله عنه) يدنو من رسول الله (ﷺ)، ورسول الله (ﷺ) يدنيه حتى أدخله في قميصه، وأخرج رأسه من جيب رسول الله (ﷺ)، ثم كلمه بكلمات لم أسمعها، ثم قال له: قم يا حبيبي، والبس قميصي هذا، فانطلق بهم إلى قبر يوسف بن كعب فأحيه لهم بإذن محيي الموتى.

قالت أم سلمة: فخرجوا أربعة معًا، واتبعت آثارهم حتى انتهى بهم إلى بقيع الغرقد، فانتهى بهم إلى قبرٍ دارس، فدنا منه وتكلم بكلمات وأمر عن رسول الله (ﷺ) فتصدع القبر، ثم أمره الثالثة، وركله برجله، فقال له: قم بإذن محيي الموتى، فإذا شيخ ينفض التراب عن رأسه ولحيته وهو يقول: ويلكم! أكفر بعد إيمان؟ أنا يوسف بن كعب صاحب أصحاب الأخدود، أماتني الله منذ ثلثمائة وستين عامًا حتى كانت الساعة، فإذا هاتف يهتف ويقول: قم فصدق سيد ولد آدم محمد (ﷺ) فقد كُذب، فقال بعضهم لبعض: ارجع بنا لا يعلم بنا صبية قريش فيرجمونا بالحجارة، وقالوا: نشدناك يا علي لما رددته، قال: فتكلم بكلام لا أفهمه، فإذا الرجل قد رجع إلى قبره، وسوَّى عليه التراب، ورجعت إلى رسول الله (ﷺ).

فصل: فيما أوتيه داود (عليه السلام)

قالوا: إن داود (عليه السلام) بكى على خطيئته حتى سارت الجبال معه لخوفه.

١- وقد أعطي رسول الله (ﷺ) ما هو أفضل منه، وهو إنه كان إذا قام إلى صلاته سمع من صدره أزيز كأزيز المرجل، وقد أمَّنه الله من عقابه، فأراد أن يخشع لربه ببكائه، ولكي يقتدى به، ولقد قام رسول الله (ﷺ) عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماه واصفر وجهه من قيام الليل، وحتى عوتب عليه فأنزل الله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ (طه: ١، ٢).

وقوله: «كأزيز المرجل».

من حديث مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن أبيه قال: دخلت على النبي (ﷺ) المسجد وهو قائم يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل.

وقوله: «فأنزل الله تعالى طه».

وفي الصحيحين عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا.

٢- وكان (صلى الله عليه وسلم) يبكي حتى يغشى عليه، فقيل له: يا رسول الله، أليس فدغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا.

قالوا: وليَّن الله لداود (عليه السلام) الحديد حتى كان يأخذ الحديد فيمده كيف شاء، ثم يكون في يده مثل الشمع، فيجعل منه الحلق والبدن.

قلنا: فقد مسح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ضرع شاة أم معبد وهي يابسة فتخلصت لبنا.

وقوله: «ضرع شاة أم معبد».

تقدمت القصة في حديث الهجرة وألآن الله له الصخر وهم يحفرون الخندق وقد ربط بطنه من شدة الجوع، فضرب تلك الكدية ثلاث ضربات حتى عادت كثيبًا أهيل.

٣- وقال الواقدي: لما خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى الغار فبلغ الجبل وحده انفرج حتى دخل النبي (صلى الله عليه وسلم) الغار، فهذا مثل فلق البحر وتليين الحديد.

وإذا كان الله قد ألان الحديد لداود، فقد ألآن الحجارة وصم الصخور فعادت غارًا استتر بها من المشركين ويوم أُحد مال برأيه إلى الجبل ليخفي شخصه عنهم، فلين الجبل له وهذا أعجب لأن النار تلين الحديد ولم نر النار تلين الحجر.

فصل: فيما أوتيه سليمان بن داود (عليه السلام)

قالوا: إن سليمان (عليه السلام) أعطى مركبًا من الريح.

قلنا: وأعطي نبينا (صلى الله عليه وسلم) من جنسه: البراق، حتى بلَّغه في ساعة سدرة المنتهى فما فوقها، فهذا أعجب من ذهاب الريح لسليمان مقدار شهرين بيوم واحد.

وقالوا: إن سليمان أعطى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعده.

قلنا: وقد أعطي محمد (صلى الله عليه وسلم) وما هو أفضل منه.

١- عرضت عليه مفاتيح خزائن الدنيا فردها، فأعطاه الله الكوثر، وهو أصل حوضه لسقي الخلق منه، وأعطاه الشفاعة، وهي أعظم من ملك الدنيا بأسرها سبعين مرة، ووعده الله المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون.

وقالوا: إن سليمان سُخِّر له الجن، فقد علمنا أنها كانت مسخرة، وكانت مع ذلك تعتاض عليه حتى يصفدها ويعذبها.

قلنا: قد أتت الجن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) راغبة طائعة له معظمة لشأنه، فآمنت به وصدقته واتبعت أمره وتضرعت إليه في الزاد حتى أجابهم إلى ذلك، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ (الأحقاف: ٢٩).

نقول: إن كان سليمان (عليه السلام) علمه منطق الطير، فقد علمه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وشاركه في علم ذلك.

وقوله: «عرضت عليه مفاتيح خزائن الدنيا فردها».

جاء هذا في حديث أبي مويهبة في باب وفاته (صلى الله عليه وسلم) وفيه: يا أبا مويهبة إني

قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة، قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، فقال: لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة.

وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة مرفوعًا: بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، فبينا أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي، قال أبو هريرة: وقد ذهب رسول الله (ﷺ) وأنتم تنتثلونها.

٢- ألا ترى أنه قد جاءه بعير فشكا إليه أهله، فعلم شكواه.

٣- وكذلك روي أن بعض الطيور -وهي الحمرة- فجعت بأخذ ولدها، فجاءته وجعلت ترفرف على رأس رسول الله (ﷺ) فقال: أيكم فجع هذه بفرخيها؟ فقال رجل من القوم: أنا أخذت فرخيها فقال (ﷺ): اردده‍ما.

وقوله: «فجعت بأخذ ولدها».

ذكره السيوطي في الخصائص من حديث ابن مسعود قال: كنا مع النبي (ﷺ) في سفر فمررنا بشجرة فيها فرخا حمرة فأخذناهما، قال: فجاءت الحمرة إلى النبي (ﷺ) وهي تعرض، فقال (ﷺ): من فجع هذه بفرخيها؟ قال: فقلنا: نحن، قال: ردوهما، قال: فرددناهما إلى مواضعهما.

قال البيهقي: كذا في كتابي: تعرض، وقال غيره: تفرش، يعني: تقرب للأرض وترفرف بجناحيها.

ومن حديث جابر بن عبد الله قال: إنا لمع النبي (ﷺ) إذ جاء رجل من أصحابه بفرخ طائر، ورسول الله (ﷺ) ينظر إليه، فأقبل أبواه أو أحدهما حتى طرح نفسه بين يدي الذي أخذ فرخه، فرأيت الناس عجبوا من ذلك، فقال رسول الله (ﷺ): أتعجبون من هذا الطائر؟ أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه، والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه.

فصل: فيما أوتيه صالح (عليه السلام)

ومن معجزات صالح (عليه السلام) أن خرجت له ناقة عشراء من بين صخرة صماء.

١- وقد خرج لنبينا (صلى الله عليه وسلم) رجل من وسط الجبل يدعو له ويقول: اللهم ارفع له ذكرًا، اللهم أوهب له أجرًا، اللهم احطط له وزرًا.

وقالوا: أخرج الله تعالى لصالح ناقة فجعلها لقومه عبرة، ولها شرب ولقومه شرب يوم معلوم.

قلنا: ومحمد (صلى الله عليه وسلم) أُعْطِي ما هو أفضل من هذا، وذلك أن ناقة صالح لم تكلم صالحًا ولم تشهد له بالنبوة.

أما قوله: ما هو أفضل من هذا، قال أبو نعيم: بل هو أبلغ، ثم ذكر نحو كلام المصنف من أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أعطي شهادة الحيوانات له بالرسالة والنبوة، وقد تقدمت قصة الذئب، والغزالة، والبعير الناد، والضب، وتقدم تسليم الأحجار له أيام بعثته (صلى الله عليه وسلم) وإطاعة الأشجار له (صلى الله عليه وسلم).

٢- بينما يسير النبي (صلى الله عليه وسلم) في بعض غزواته إذا هو ببعير دنا منه فقال: يا رسول الله إن فلانًا استعملني حتى إذا كبرت وعمرت يريد ذبحي، فأنا أستعيذ بك منه، فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاستوهبه منه وخلاه.

٣- ومثله ما ذكر في قصة بئر رومة التي اشتراها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فاقتسمها بين المسلمين والمشركين على أن للمسلمين يومًا ولهم يومًا، فكان يستقى منها في يوم المسلمين ما يكفيهم ليومين، ولا يزيد في يوم المشركين على ما كان قبله.

وقوله: في قصة بئر رومة، فهي تنسب لصاحبها رومة الغفاري وكانت ركية ليهودي يبيع ماءها للمسلمين، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): من يشتري بئر

رومة فيجعلها للمسلمين، يضرب لدلوه في دلائهم، وله بها شرب في الجنة؟ فأتى عثمان اليهودي فساومه بها، فأبى أن يبيعه كلها، فاشترى عثمان نصفها باثنى عشر ألف درهم فجعله للمسلمين، فقال له عثمان: إن شئت جعلت لنصيبي قربين، وإن شئت فلي يوم ولك يوم، فقال: بل لك يوم ولي يوم، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين، فلما رأى اليهودي ذلك، قال: أفسدت عليّ ركيتي، فاشتر النصف الآخر، فاشتراه بثمانية آلاف درهم.

فصل: فيما أوتيه يحيى بن زكريا (عليه السلام)

قالوا: إن يحيى بن زكرياء أوتي الحكم صبيًا وأوتي الفهم، وكان يبكي من غير ذنب، وكان يواصل الصوم.

قلنا: قد أوتي رسول الله (ﷺ) ما هو أفضل؛ لأن يحيى (عليه السلام) لم يكن في عصره أوثان ولا جاهلية، ومحمد (ﷺ) أوتي الحكم والفهم في صباه وهو بين الأوثان، فلم يرغب لهم في صنم، ولم يُسمع منه كذب، وعُرف فيما بينهم بالصدق والأمانة والحكم، وكان يواصل الصوم، وكان يبكي من خشية الله حتى يبتل مصلاه، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قوله: «أوتي الحكم صبيًا»:

ذكر قريبًا من كلام المصنف: أبو نعيم في الدلائل وزاد مسألة فقال: فإن قيل: فقد أثنى الله على يحيى فقال: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ (آل عمران: ٣٩)، والحصور: الذي لا يأتي النساء، قلنا: إن يحيى كان نبيًا ولم يكن مبعوثًا إلى قومه، وكان منفردًا بمراعاة شأنه، وكان نبينا (ﷺ) رسولاً إلى كافة الناس ليقودهم ويحوشهم إلى الله (عز وجل) قولاً وفعلاً، فأظهر الله به الأحوال المختلفة والمقامات العالية المتفاوتة ليقتدي كل الخلق بأفعاله، فاقتدى به الصديقون في جلالتهم، والشهداء في مراتبهم، والصالحون في اختلاف أحوالهم، ليأخذ

العالي والداني والمتوسط والمسكين من فعاله قسطًا وحظًا، إذ النكاح من أعظم حظوظ النفس وأبلغ الشهوات، فأمر بالنكاح، وحث عليه لما جبل الله عليه النفوس اهـ. باختصار.

فصل: فيما أوتيه عيسى ابن مريم (عليه السلام)

قالوا: وأعطى الله تعالى عيسى إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.

قلنا: فقد أعطي نبينا (صلى الله عليه وسلم) إحياء الشاة المسمومة حتى كلمته وقالت: لا تأكلني فإني مسمومة.

١- ورُوي أن معاذ بن عفراء تزوج امرأة فقيل لها: إن بجنبه برصًا، فكرهت المرأة أن تزف إليه، فجاء معاذ إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وشكا إليه ذلك، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) اكشف لي عن جنبك، فكشف له عن جنبه، فمسحه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعود فذهب البرص.

وقوله: ورُوي أن معاذ بن عفراء.

كذا هنا، وأوردها القسطلاني في المواهب فقال: وروي أن امرأة معاذ بن عفراء -وكانت برصاء- فشكت ذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فمسح عليها بعصا فأذهب الله البرص منها، عزاه للرازي، ولعله الأولى لاتفاقهما على ذكر العصا في القصة.

٢- وجاءت امرأة ومعها عكة سمن وأقط، ومعها بنت فقالت: يا رسول الله ولدت هذه كمهاء، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عودًا فمسح به عينيها فأبصرتا.

وإن كان المسيح (عليه السلام) أتى بطعام من السماء أكله الحواريون.

فقد أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بطعام من الجنة فأكله، أتاه به جبريل (عليه السلام).

وإن كان المسيح (عليه السلام) أبرأ الأكمه والأبرص.

٣- قلنا: فرسول الله (ﷺ) أبرأ صاحب السِّلعة.

وقوله: صاحب السِّلعة فقد قال عبد الرحمن بن شرحبيل: أتيت النبي (ﷺ) وبكفي سلعة، قلت: يا رسول الله هذه السلعة قد آذتني، تحول بيني وبين قائم السيف أن أقبض عليه وعنان دابتي! فقال: ادن مني، فدنوت منه، فقال: افتحها، ففتحتها فنفث في كفي، ووضع كفه على السلعة فما زال يصلحها بكفه حتى رفع عنها وما أدري أين أثرها.

وأما حديث سبرة، قال: يا رسول الله إن بظهر كفي سلعة قد منعتني من خطام راحلتي، فدعا رسول الله (ﷺ) بقدح فجعل يضرب على السِّلعة، ويمسحها، فذهبت، فدعا له رسول الله (ﷺ) ولابنيه.

والسِّلعة: غدة تظهر بين الجلد واللحم تتحرك إذا غُمزت باليد وتشعر بالألم مع ذلك.

٤- وأتاه رجل وبه أدرة فقال: إن هذه الأدرة تمنعني من التطهر والوضوء، فدعا بماء فبرَّك فيه وتفل فيه، ثم أمره أن يقبض عليه، ففعل الرجل فأغفى إغفاءة فانتبه فإذا هي قد تقلصت.

قوله: «وأتاه رجل وبه أدرة».

الأدْرة: فتق في إحدى الخصيتين، ويقال أيضًا: انتفاخ في الخصية، وخصية أدراء: إذا كانت عظيمة.

٥- وأصيبت عين قتادة بن النعمان في بعض غزواته مع النبي (ﷺ) فسقطت عينه على وجنته فردها رسول الله (ﷺ) فكانت أحدَّهما بصرًا وأحسنهما عينًا.

ويقال: إن كان المسيح (عليه السلام) أحيا الميت بإذن الله (عز وجل).

٦- فرسول الله (ﷺ) أحيي له النفر الذين قتلوا يوم بدر فخاطبهم وكلمهم

وعيرهم بكفرهم وطغيانهم، وناداهم بأسمائهم وأعيانهم وأسماء آبائهم.

قالوا: إن عيسى (عليه السلام)، أمات شهوته في نفسه فأحيا الله ميتًا بإذنه ودعوته، قلنا: قد جعل الله للنبي (صلى الله عليه وسلم) حياة القلوب، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (الأنعام: ١٢٢)، وكما أن عيسى (عليه السلام) يبرئ الأكمه، كذلك كان النبي (صلى الله عليه وسلم).

قوله: «أحيي له النفر الذي قتلوا يوم بدر».

عن أنس بن مالك عن أبي طلحة أن نبي الله (صلى الله عليه وسلم) أمر يوم بدر بأربعة وعشرين من صناديد قريش فقذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان (صلى الله عليه وسلم) إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا ونقيمة وحسدة وندمًا، وجعل الله للنبي (صلى الله عليه وسلم) حياة القلوب، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (الأنعام: ١٢٢) وكما أن عيسى (عليه السلام) يبرئ الأكمه، كذلك كان للنبي.

٧- وذلك أنه جاء إليه (صلى الله عليه وسلم) أخوان أحدهما أعمى والآخر أخرس فدعا لهما النبي (صلى الله عليه وسلم) فأبصر الأعمى وتكلم الأخرس.

فصل: فيما أوتيه يعقوب (عليه السلام)

قالوا: فإن يعقوب عظم في الخير نصيبه، وجعل الأسباط سلالة صلبه، ومريم ابنة عمران من بناته، والهداة من ذريته، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ (العنكبوت: ٢٧).

قلنا: ومحمد (صلى الله عليه وسلم) أعظم بالخير نصيبًا، وأوفر حظًا وأرفع ذكرًا.

١- جعلت فاطمة سيدة نساء العالمين من بناته، والحسن والحسين من ذريته، وأعطي (صلى الله عليه وسلم) الكتاب المحفوظ، لا يغير ولا يبدل، وأوجب الله على الخلق الاقتداء بسنته، وفتح عليه باب الحكمة فهل من فضيلة أعظم من هذه؟

وقالوا: إن يعقوب (عليه السلام) صبر على فراق ولده حتى كاد أن يكون حرضًا من الحزن، وقلنا: كان حزنه على ولده حزن تلاق ومضض واشتياق، ووجد وفراق، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) فُجِع بأولاده خصوصًا بقرة عينه إبراهيم في حياته فصبر محتسبًا، ووفى بصدق الاختيار مستسلمًا.

أما قوله: سيدة نساء العالمين.

فمن حديث عائشة في الصحيحين أنها سألت فاطمة عما أسر إليها النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقالت: أسر إليّ أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقًا بي، فبكيت، فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو: نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك.

أما قوله: الحسن والحسين من ذريته.

فمن حديث حذيفة بن اليمان: أنه صلى مع النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم اتبعه فإذا عارض قد عرض له، ثم ذهب فرآني فقال: حذيفة؟ فقلت: لبيك يا رسول الله، قال: هل رأيت العارض الذي عرض لي؟ قلت: نعم، قال: فإنه ملك من الملائكة استأذن

ربه ليسلم عليّ وليبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب الجنة، وأن فاطمة بنت محمد سيدة نساء أهل الجنة.

٢- وقال (ﷺ): العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون.

في كل ذلك بنهج (ﷺ) سبيل الرضا عن الله (عز وجل) والاستسلام له في جميع أحكامه وأحواله يدلك عليه قول الله (عز وجل) حكاية عن يعقوب (عليه السلام): ﴿يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ (يوسف: ٨٤) فقد أصابه من الوجد ما أصابه ابن واحد من بنين كثيرة، ومحمد (ﷺ) فقد ابنه إبراهيم ولم يكن له غيره فلم يصبه مع ذلك جزع وكان (ﷺ) موصوفًا بالرأفة والرحمة، فبان صبره على صبر يعقوب (عليه السلام).

فصل: فيما أوتيه يوسف (عليه السلام)

قالوا: وقد أوتي يوسف (عليه السلام) شطر الحسن، قلنا: لم يكن جمال رسول الله (ﷺ) دون جماله.

١- ألا ترى إلى قول الربيع بنت معوذ بن عفراء حين سألها محمد بن عمار بن ياسر عن صفة رسول الله (ﷺ) فقالت: لو رأيته لرأيت الشمس طالعة وقالوا: إن يوسف (عليه السلام) قاسى مرارة الفرقة، وامتحن بالغربة، وابتلي بمفارقة أبويه وإخوته ووطنه، قلنا: ورسول الله قاسى مرارة الغربة، وفارق الأهل والعشيرة، فخرج مهاجرًا من حرم الله وأمنه ومسقط رأسه، وموطن آبائه اضطرارًا لا اختيارًا.

٢- وإنه (ﷺ) وقف على الثنية وحول وجهه إلى مكة، وقال: إني لأعلم أنك أحب البقاع إلى الله (عز وجل) ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت.

٣- فلما بلغ (ﷺ) الجحفة أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ﴾ (القصص: ٨٥).

وقالوا: إن يوسف (عليه السلام) ألقي في الجب، قلنا: ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) حبس نفسه في الغار مخافة عدوه، حتى قال لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا.

قوله: «فلما بلغ الجحفة أنزل الله تعالى».

لما خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله تبارك وتعالى عليه ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥) وقال ابن عباس في هذه الآية: إلى مكة.

وقوله: «مخافة عدوه».

إطلاق مثل هذا اللفظ لا يليق ومقام النبوة، وما سمعنا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) اختفى أو احتجب عن عدوه خوفًا، وقد كان يتعبد أمامهم تجاه الكعبة يبصرهم ويبصرونه، وكيف يخاف (صلى الله عليه وسلم) وهو يقول لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا؟ إنما كان الغار محطة سفر له (صلى الله عليه وسلم) وقد حجبه الله عن أعين المشركين، وهو بينهم فأعمى أبصارهم وقد مر شبيه ذلك في باب عصمة الله نبيه قصة امرأة أبي لهب حين جاءت أبا بكر والنبي (صلى الله عليه وسلم) معه فلم تره (صلى الله عليه وسلم).

وكذلك من حديث أنس مرفوعًا: فضلت على الناس بأربع: بالسخاء والشجاعة وشدة البطش وكثرة الجماع.

فصل: فيما أعطى الله أنبياءه (عليهم السلام) وما أعطى محمدًا (صلى الله عليه وسلم)

اعلم أن الله تبارك وتعالى أعطى الصفوة لآدم (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ (آل عمران: ٣٣).

وأعطى الرفعة لإدريس (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٧).

وأعطى الإجابة لنوح (عليه السلام)، قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ

﴿ٱلْمُجِيبُونَ﴾ (الصافات: ٧٥).

والفداء لإسماعيل (عليه السلام)، قال الله (عز وجل): ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠٧).

والخلة لإبراهيم (عليه السلام) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء: ١٢٥).

والحلم لإسحاق (عليه السلام) قال الله (عز وجل): ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠١).

والعلم والحكم للوط (عليه السلام)، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء: ٧٤).

وتعبير الرؤيا ليوسف (عليه السلام)، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ (يوسف: ١٠١).

والقرب لموسى (عليه السلام)، قال الله (عز وجل): ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ (مريم: ٥٢).

والخلافة لداود (عليه السلام)، قال الله (عز وجل): ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (ص: ٢٦).

والفهم والعطاء لسليمان (عليه السلام) قال سبحانه وتعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ (الأنبياء: ٧٩) وقال (عز وجل): ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (ص: ٣٩).

والحكمة ليحيى (عليه السلام)، قال تبارك وتعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم: ١٢).

وصحبة الملائكة والرفعة لعيسى (عليه السلام)، قال الله (عز وجل): ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ (آل عمران: ٥٥).

وأعطى محمدًا (ﷺ) وعلى آله الطيبين الطاهرين ستة أشياء:

أولها: حُسن الخُلق، قال الله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤).

ثانيها: العصمة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧).

ثالثها: النصرة، قال الله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (الفتح: ٣).

رابعها: الفضل، قال تبارك وتعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣).

خامسها: المحبة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١).

سادسها: القرب والصلة، قال الله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ (النجم: ٨، ٩).

١- روي عن ابن عباس أن محمدًا (ﷺ) ويوسف (عَلَيْهِ السَّلَامُ) تقارعها في صلب آدم (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فصار الحسن والجمال ليوسف (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وصار البهاء والنور، والشرف، والقوة، والشجاعة، والزهد والتواضع، والشفاعة والقرآن، والناقة، والهراوة، والسيف والقضيب، والنعل والغمامة، والرضا واليقين والقنوع، ولواء الحمد، والكرسي والمنبر الرفيع، والحوض المورود، والكأس الأوفى، والاسم الحسن، والذكر الرفيع، والحسب الشريف، والنسل الكريم، والأزواج المطهرات، والوجه الصبيح، والقلب القنوع، والبدن الصابر، والكرم الظاهر، والآيات الفاضلات، والكلمات المنزلات، والمعجزات الباهرات، والحج والإحرام، والجهاد والرباط، وصوم رمضان، والأشهر الحرم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والكعبة والشفاعة، وكل ذلك لرسول الله (ﷺ).

٢- وقيل: ماء الصلابة لموسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، ولبن المودة لسليمان (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وخمر

العبرة لعيسى (عليه السلام) وعسل مصفى لمحمد (ﷺ) فكان للعسل فضل على جميع الحلوى، فكذلك فُضِّل محمد (ﷺ) على جميع الأنبياء، وهذا على قوله (عز وجل): ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾ (محمد: ١٥).

٣- وقيل: قرَّب الله تعالى نبيه محمدًا (ﷺ) منه، وبيَّن في كتابه فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ (النجم: ٩)، قال: من الوتر إلى العروة أو من القبضة إلى الوتر، جعل الإله محمدًا (ﷺ) أقرب من ذلك حيث قال (عز وجل): ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾، فلا يهتدي أحد قرب الخالق من محمد (ﷺ) إلا الله سبحانه وتعالى، فإنه عرَّف الخلق قربه ثم قال: ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ لئلا يعرف مخلوق قدر الأدنى.

وأيضًا قال: خلقت شيئًا خلفًا بعد آدم لحفظ وصية آدم، يا محمد حفظتك وأمتك من شفير جهنم لئلا تقعوا فيها، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، يا محمد حبست آدم في السماء الدنيا وقربتك، وجعلت لنوح الفلك وجعلت لك البراق، وجعلت إبراهيم خليلًا وجعلتك حبيبًا، والحبيب أقرب إلى الخليل، وجعلت الكبش فداء لإسماعيل، وأجعل يوم القيامة اليهود والنصارى والمجوس فداك يا محمد، وكلمت موسى على طور سيناء، وكلمتك من فوق العرش، وخلصت يونس من بطن الحوت، وخلصت أمتك من ظلمة القبر واللحد وأنجيهم يوم القيامة من الظلمة، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ (الحديد: ١٢).

قوله: «وجعلتك حبيبًا».

ومن المرفوع في هذا المعنى ما جاء في حديث أبي هريرة في سياقه الطويل

لقصة الإسراء: فكلمه الله تعالى عند ذلك، فقال له: سل، فقال رسول الله (ﷺ): اتخذت إبراهيم خليلًا وأعطيته ملكًا عظيمًا، وكلمت موسى تكليما، وأعطيت داود ملكًا عظيمًا، وألنت له الحديد، وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكًا عظيمًا، وسخرت له الجن والإنس والشياطين، وسخرت له الرياح وأعطيته ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذنك، وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل، فقال له ربه:

وقد اتخذتك خليلًا وحبيبًا، وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن، وأرسلتك إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا، وشرحت لك صدرك، ووضعت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلّا ذكرت معي، وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس، وجعلت أمتك وسطًا، وجعلت أمتك هم الأولين والآخرين، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلت من أمتك أقوامًا قلوبهم أناجيلهم، وجعلتك أول النبيين خلقًا وآخرهم بعثًا، وأولهم يقضى له، وأعطيتك سبعًا من المثاني لم أعطها نبيًا قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيًا قبلك، وأعطيتك الكوثر، وأعطيتك ثمانية أسهم: الإسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلتك فاتحًا وخاتمًا، قال النبي (ﷺ): فضلني ربي: أرسلني رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرًا ونذيرًا، وألقى في قلب عدوي الرعب مني مسيرة شهر، وأحل لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض كلها مسجدًا وطهورًا، وأعطيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه، وعرضت عليّ أمتي فلم يخف على التابع والمتبوع.

ومن شواهده من حديث أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): لما فرغت مما أمرني الله به من أمر السماوات، قلت: يا رب إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد أكرمته،

جعلت إبراهيم خليلاً، وموسى كليمًا، وسخرت لداود الجبال ولسليمان الريح والشياطين، وأحييت لعيسى الموتى، فما جعلت لي؟ قال (عَزَّوَجَلَّ): أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله؟ أن لا أذكر إلا ذكرت معي، وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرؤن القرآن ظاهرًا ولم أعطها أمة، وأنزلت إليك كلمة من كنوز عرش: لا حول ولا قوة إلا بالله.

٤- وأخرج ابن عساكر في تاريخه، كما في الخصائص الكبرى من حديث سلمان قال: قيل للنبي (ﷺ) كلم الله موسى تكليمًا، وخلق عيسى من روح القدس، واتخذ إبراهيم خليلاً، واصطفى آدم، فما أُعْطِيتُ من الفضل؟ فهبط جبريل، فقال: إن ربك يقول: إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً، فقد اتخذتك حبيبًا، وإن كنت كلمت موسى في الأرض تكليمًا فقد كلمتك في السماء، وإن كنت خلقت عيسى من روح القدس فقد خلقت اسمك من قبل أن أخلق الخلق بألفي سنة، ولقد وطئت في السماء موطئًا لن يطأه أحد بعدك، وإن كنت اصطفيت آدم فقد ختمت بك الأنبياء، وما خلقت خلقًا أكرم عليّ منك وقد أعطيتك الحوض والشفاعة، والناقة والقضيب والتاج والهراوة والحج والعمرة وشهر رمضان والشفاعة كلها لك حتى ظل عرشي في القيامة عليك ممدود، وتاج الحمد على رأسك معقود، وقرنت اسمك مع اسمي فلا أذكر في موضع حتى تذكر معي، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا.

٥- وأخرج ابن أبي حاتم وأبو نعيم وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية، عن عبادة بن الصامت أن النبي (ﷺ) خرج فقال: إن جبريل أتاني فقال: اخرج فحدث بنعمة بالله التي أنعم بها عليك، فبشرني بعشر لم يؤتها نبي قبلي: أن الله بعثني إلى الناس جميعًا، وأمرني أن أنذر الجن، ولقاني كلامه أنا وأمي، قد أوتي داود الزبور، وموسى الألواح، وعيسى الإنجيل، وغفر لي ما

تقدم من ذنبي وما تأخر، وأعطاني الكوثر، وأمدني بالملائكة، وأتاني النصر، وجعل بين يدي الرعب، وجعل حوضي أعظم الحياض، ورفع لي ذكري في التأذين، ويبعثني يوم القيامة مقامًا محمودًا، والناس مهطعين مقنعي رؤسهم، ويبعثني في أول زمرة تخرج من الناس، وأدخل الجنة بشفاعتي سبعين ألفًا من أمتي لا يحاسبون، ويرفعني في أعلى غرفة من جنات النعيم ليس فوقي إلا الملائكة الذين يحملون العرش، وأتاني السلطان، وطيب الغنيمة لي وأمتي ولم تكن لأحد قبلنا.

٦- قال ابن عباس: أعطى الله محمدًا (ﷺ) خلق آدم (عليه السلام)، ومعرفة شيث (عليه السلام) وشجاعة نوح (عليه السلام) وصفوة إبراهيم (عليه السلام) ورضا إسحاق (عليه السلام)، وحسن يوسف (عليه السلام)، وشدة موسى (عليه السلام)، وصبر أيوب (عليه السلام)، وطاعة يونس (عليه السلام)، وصوت داود (عليه السلام)، وفصاحة صالح (عليه السلام)، وزهد يحيى (عليه السلام)، وعصمة عيسى (عليه السلام) ووقار إلياس (عليه السلام) وحب دانيال (عليه السلام)، وجهاد يوشع ابن نون.

باب: في صفة أخلاق النبي (ﷺ)

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

١- كان (ﷺ) رؤوف القلب.

قوله: «في صفة أخلاق النبي (ﷺ)».

أورد فيه المصنف قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤) كالشاهد لكلامه الآتي، فجله مستفاد من القرآن، مع ما ورد في كتب السنة والسير والشمائل.

وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث سعد بن هشام في حديث طويل

وفيه: فقلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله (ﷺ) -قالت: ألست تقرؤ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله كان القرآن، قال: فهممت أن أقوم ولا أسأل أحدًا عن شيء حتى أموت.. الحديث.

قوله: «كان (ﷺ) رؤوف القلب».

شاهده من القرآن قوله تعالى: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (التوبة: ١٢٨)، ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ﴾ (آل عمران: ١٥٩) فعبر سبحانه بلو؛ لأنه لم يكن كذلك.

أخرج الشيخان من حديث مالك بن الحويرث قال: أتيت رسول الله (ﷺ) في نفر من قومي ونحن شببة فأقمنا عنده عشرين ليلة، وقال: وكان رسول الله (ﷺ) رفيقًا، كثير الحياء، واسع الصدر دائم البكاء، طويل الحزن عظيم الرجاء، قليل المنِّ، كريم الوفاء، دائم الذكر، أمين السماء، كاتم السر جزيل العطاء (ﷺ).

قوله: «كثير الحياء».

أخرج الشيخان: البخاري في الأدب، ومسلم في الفضائل من حديث أبي سعيد الخدري، قال: كان النبي (ﷺ) أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه (ﷺ).

قوله: «واسع الصدر».

إذا لم يكن (ﷺ) سريع الغضب، ولا يعرف طريقه الضجر.

وقوله: «قليل المن».

ولو نفاه بالكلية لكان أولى لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ (المدثر: ٦) عن ابن عباس في هذه الآية، قال: لا تعطي الرجل عطاء رجاء أن يعطيك أكثر

منه، وقد كانت عطاياه (ﷺ) على الدوام مما يعجز عن رد مثلها فضلاً عن أن يؤمل بأكثر منها، انظر إلى عطاياه يوم هوازن، وتوزيعه مالِ البحرين وغيره، وإقطاعه القطائع، يتبين لك صحة ما ذكرناه.

٢- وكان (ﷺ) لين الجانب قليل الأذى، زين العالم، سراج الهدى.

٣- وكان (ﷺ) ألوفًا حليمًا، ودودًا رحيمًا، مضيافًا كريمًا، وفيًا حكيمًا (ﷺ).

٤- وكان (ﷺ) قائمًا بأمرِ الله، موفيًا لوعد الله، مشمرًا في عبادة الله، ملتمسًا مرضاة الله (ﷺ).

٥- وكان (ﷺ) قاطع الشهوات، غافر العثرات، كاتم المصيبات.

٦- وكان (ﷺ) صوَّام النهار خاشعًا منيبًا، قوام الليل خاضعًا قريبًا، راغبًا في الخير منصفًا رقيبًا، زاهدًا في الشر بين أهله رغيبًا (ﷺ).

٧- وكان (ﷺ) شريف الهمة حبيب الفقراء، لطيف الفطنة طبيب الأغنياء، جميل العشرة تقي الأتقياء، دليل الأئمة لبيب الألبَّاء (ﷺ).

٨- وكان رسول الله (ﷺ) يعظم الكبير لعظم وقاره، ويقرب الصغير لشدة افتقاره، ويشكر اليسير لقلة اغتراره، ويرحم الأسير لرؤية اضطراره.

٩- وكان رسول الله (ﷺ) سهلاً عند المصاحبة، عدلاً عند المقاسمة، سباقًا عند المعاملة، شجاعًا عند المقاتلة (ﷺ).

١٠- وكان رسول الله (ﷺ) عظيم الخطر، طويل الصمت، مليح القول، سجي الترنُّم، سخي النفس، قليل التنغُّم، بطيء الغيظ، سريع التحلم (ﷺ).

١١- وكان رسول الله (ﷺ) رزين العقل، طيب الكلام، واسع الخلق، قليل الملام، عفيف النفس، بذول السلام، لطيف الطبع طبيب الآنام (ﷺ).

فصل: في زهده (ﷺ)

١- روى سمرة بن جندب عن كعب الأحبار في ذكر الأنبياء قال: كان محمد (ﷺ) حسن الوجه، حسن اللون، عربي اللسان، فصيح الكلام، بليغًا في حاجته، منجحًا إذا طلبها، وإذا طلبت إليه كان لها قاضيًا.

كان رسول الله (ﷺ) يتيمًا فآواه الله، وضالاً فهداه الله، وكان (ﷺ) حسن الوجه، رفيقًا في منطقه، رؤفًا رحيمًا بأمته، عزيزًا عليه ما عنتم.

أول شافع يوم القيامة، وأول مشفع، وأول داخل الجنة، له (ﷺ) دعوة مستجابة يدعو بها لأمته يوم القيامة وهو (ﷺ) أول من يحاسب الحساب في الموقف بين يدي الله الجبار، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

٢- وكان (ﷺ) أزهد الناس، فقد ملك من أقصى اليمن إلى شحر عمان إلى أقصى الحجاز، ثم تُوفِّي (ﷺ) وعليه دين، ودرعه مرهونة في ثمن طعام أهله.

أما قوله: «وكان (ﷺ) أزهد الناس».

من حديث علي بن رباح قال: سمعت عمرو بن العاص يقول: ما أبعد هديكم من هدي نبيكم (ﷺ)، أما هو فكان أزهد الناس في الدنيا، وأنتم أرغب الناس فيها، وفي رواية، والله ما أتت على رسول الله (ﷺ) ليلة من دهره إلا كان الذي عليه أكثر من الذي له، فقال بعض أصحاب رسول الله (ﷺ): قد رأينا رسول الله (ﷺ) يستسلف.

أما قوله: «ودرعه مرهونة في ثمن طعام أهله».

وفي الصحيحين من حديث عائشة (﵂) قالت: توفي رسول الله (ﷺ) ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين يعني: صاعًا- من شعير.

٣- ولم يترك (ﷺ) عينًا ولا دينارًا، ولا بنى دارًا، ولا شيد قصرًا، ولا غرس

نخلاً، ولا شق نهرًا، فصلوات الله وسلام عليه وعلى آله أجمعين.

أما قوله: «ولم يترك (ﷺ) عينًا ولا دينارًا».

فمن حديث عمرو بن الحارث قال: ما ترك رسول الله (ﷺ) عند موته درهمًا ولا دينارًا، ولا عبدًا ولا أمة، ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء، وسلاحه، وأرضًا جعلها صدقة.

٤- وكان (ﷺ) أشد الناس تواضعًا، وكان يأكل على الأرض، ويجلس على الأرض (ﷺ).

قوله: «كان أشد الناس تواضعًا».

له شواهد كثيرة منها حديث ابن أبي أوفى: كان (ﷺ) لا يأنف ولا يستكبر في رواية: لا يستنكف- أن يمشي مع العبد والأرملة حتى يقضي لهما حاجتهما.

٥- وكان (ﷺ) يقول: إنما أنا عبده آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد، وأجلس على الأرض.

٦- وكان (ﷺ) يقول: لو دعيت إلى ذراع لأجبت، ولو أهدي إليَّ ذراع لقبلت، ويلعق أصابعه، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويصلح ما يخصه، ويمتهن أهله.

وقوله: «لو دعيت إلى ذراع لأجبت».

من حديث أبي هريرة مرفوعًا: لو دعيت على ذراع -أو: كراع- لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع- أو كراع- لقبلت.

ومن حديث ابن عمر: إذا دعيتم إلى كراع فأجيبوا.

وقوله: «ويلعق أصابعه».

من حديث كعب بن مالك قال: رأيت النبي (ﷺ) يلعق أصابعه الثلاث من

الطعام، وفي لفظ آخر: كان رسول الله (ﷺ) يأكل بثلاث أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها.

وقوله: «ويرقع ثوبه».

فعن عائشة قالت: كان رسول الله (ﷺ) يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته، ومن حديث الأسود قال: سألت عائشة: وما كان النبي (ﷺ) يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله -تعني خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.

٧- وكان (ﷺ) يتوسد يده.

وعن البراء قال: كان رسول الله إذا أخذ مضجعه وضع يده اليمنى تحت خده الأيمن ثم قال اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك.

٨- وكان (ﷺ) يلبس العباء ويجالس المساكين، ويمشي في الأسواق.

٩- ولا أكل (ﷺ) متكئًا قط، ولا أكل وحده قط (ﷺ).

وقوله: «ولا أكل (ﷺ) متكئًا قط».

من حديث أبي جحيفة قال: قال رسول الله (ﷺ): إني لا آكل متكئًا وفي لفظ آخر: لا آكل وأنا متكئ.

١٠- ولا ضرب (ﷺ) عبده قط، ولا ضرب (ﷺ) بيده إلا في سبيل الله.

قوله: «ولا ضرب (ﷺ) بيده إلا في سبيل الله».

ومن حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: ما ضرب رسول الله (ﷺ) شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله (عز وجل).

١١- وكان (ﷺ) يقص من نفسه، لم ير ضاحكًا قط ملء فيه.

وقوله: «وكان (ﷺ) يقص من نفسه».

ومن حديث أبي سعيد الخدري قال: بينما رسول الله (ﷺ) يقسم قسمًا، أقبل رجل فأكب عليه فطعنه رسول الله (ﷺ) بعرجون كان معه، فخرج بوجهه، فقال له رسول الله (ﷺ): تعال فاستقد، فقال: بل عفوت يا رسول الله.

وقوله: «لم ير (ﷺ) ضاحكًا قط ملء فيه».

ومن حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: ما رأيت رسول الله (ﷺ) مستجمعًا قط ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يبتسم.

١٢- وما عاب (ﷺ) مضجعًا، إن فرشوا له اضطجع ما يُفرش له، وإن لم يفرش اضطجع على الأرض، قالوا: وكان ذلك أمره (ﷺ)، لا يعيب على أحد شيئًا صنعه لم يكن يحب أن يصنعه، ولا في ترك شيء تركه أحد كان يحب أن لا يترك، فيما بينه وبين الناس، فأما في حقوق الله أو فيما بين الناس بعضهم في بعض فليس عنده (ﷺ) هوادة، ولا عبرة لقريب ولا بعيد.

١٣- روى مسروق عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: دخلت عليّ امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله (ﷺ) عليه عباءة مثناة، فانطلقت فبعثت إليّ بفراش حشوه الصوف، فدخل عليّ رسول الله (ﷺ) فقال: ما هذا يا عائشة فقلت: فلانة الأنصارية دخلت عليّ فرأت فراشك فذهبت وبعثت إليَّ بهذا، فقال (ﷺ): رديه، قالت: فلم أرده وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال لي ذلك ثلاث مرات، فقال: رديه يا عائشة فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة.

وقوله: «روى مسروق عن عائشة».

قالت: قال رسول الله (ﷺ): يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب،

جاءني ملك إن حجزته لتساوى الكعبة فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن شئت نبيًا عبدًا، وإن شئت نبيًا ملكًا.

فصل وكان (ﷺ) جامعًا لكل خير من إنذار بعذاب أو تبشير برحمة

١- فكان (ﷺ) أبعد الناس غضبًا وأسرع رضا وكان يقول (ﷺ): ألا إن الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم، ألا ترون إلى جمرة عينيه وانتفاخ أوداجه؟ فإذا وجد أحدكم شيئًا من ذلك فالأرض الأرض، ألا إن خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الرضا، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا.

٢- وكان (ﷺ) أرأف الناس بالناس، وخير الناس للناس، وأنفع الناس للناس.

وقوله: «أرأف الناس».

في صحيح مسلم: كان أرحم الناس بالعيال، وفي رواية: بالصبيان.

٣- وكان (ﷺ) يقول: الخلق كلهم عيال الله، فأحب الخلق إليه أحسنهم صنيعًا إلى عياله.

٤- وكان (ﷺ) أفضل الناس خلقًا، وأبسطهم وجهًا، وأطيب الناس نفسًا بالخير، وأجود الناس كفًا، ما سأله أحد شيئًا فأباه، إن كان عنده أعطاه، وإن لم يكن عنده وعد.

قوله: «ما سأله أحد شيئًا فأباه».

وعن جابر بن عبد الله قال: ما سئل النبي (ﷺ) شيئًا قط فقال: لا، وقال ابن عيينة في حديثه عن ابن المنكدر، إذا لم يكن عنده وعد.

٥- عن ابن عباس أنه قال: ما ولدت النساء أفصح ولا أشجع ولا أسمح من رسول الله (ﷺ) فأما شجاعته (ﷺ): فيوم هوازن وقد انهزم الناس وهو يحمل ونحن نمنعه الحملة وهو يقول: لا أبرح حتى يحكم الله لي وهو خير الحاكمين.

وأما سماحته وجوده: فيوم هوازن لما استولى على أموالها فأعطاها كلها وفرقها بأجمعها ولم يدخر لنفسه شيئًا، وأما فصاحته ففي فصل من كتابه إلى النجاشي حيث يقول: كأنا في الثقة منا بك منك، وكأنك في الرقة علينا منا، لأنا ما رمناك لأمر إلا نلنا، ولا خفناه إلا أمنا.

فصل: في صفاته (ﷺ) الخُلقية

ولم يكن (ﷺ):

١- بفظ ولا غياب، ولا بغليظ ولا صخاب، ولا بفحَّاش ولا سبَّاب، ولا طياش -والطيش: هو خفة العقل وذهابه حتى لا يدري الرجل ما يحاول- ولا مغتاب (ﷺ).

٢- ولا حريص ولا جمَّاع، ولا بخيل ولا مناع، ولا مكار ولا خدّاع، ولا مكثار ولا طماع.

٣- ولا نمام ولا خيول -أي: غير متكبر- ولا منان ولا أكول، ولا بكسلان ولا ملول، ولا طعان ولا عجول، ولا مفتخر ولا ختال (ﷺ)، والختل: الخدع عن غفلة.

٤- ولا حسود ولا ضرّار، ولا ختّار ولا غدّار، ولا مهذار ولا ثرثار (ﷺ).

وقوله: «ولا ختار».

الختر: الحال الذي يضعف عنده الإنسان عن الاجتهاد والإعمال فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (لقمان: ٣٢).

وقوله: «ولا مهذار».

الهذر: الكلام الذي لا يعبأ به، يقال: هو سقط الكلام ورديئه، فإذا كثر ذلك من صاحبه قيل له: هذار ومهذار.

٤- ولا جزوع ولا طنّاز، ولا متكبر، ولا همّاز، ولا متبختر ولا كنَّاز، ولا مُحتكِر ولا رماز.

قوله: «ولا طناز».

الطنز: السخرية، والطناز: الكثير الاستهزاء بالناس عند كلامه لهم.

وقوله: «ولا رماز».

من الرمز: وهو الإشارة الخفية باليد أو العين أو تحريك الشفتين، ونحوه الغمز.

فصل: في معاملته (ﷺ) الناس

عن أنس قال: كان رسول الله (ﷺ) إذا كلَّمه إنسان في حاجة لم ينصرف حتى يكون الآخر هو الذي ينصرف.

وفي صحيح مسلم عن هشيم: أقيمت الصلاة ذات يوم فعرض لرسول الله (ﷺ) رجل فكلمه في حاجة له هويا من الليل حتى نعس بعض القوم.

١- وروى عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي (ﷺ) يكثر الذكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يستنكف أن يمشي مع العبد والأرملة، حتى يقضي لهما حاجتهما.

وعبد الله بن أبي أوفى هو صحابي من أهل بيعة الرضوان ممن فاز بالدعوة النبوية، جاء إلى النبي (ﷺ) بزكاة والده فقال النبي (ﷺ): اللهم صل على

آل أبي أوفى، كف بصره في آخر عمره، وتوفي بالكوفة، وهو آخر من توفي بها من الصحابة.

٢- وعن ابن بريدة، عن أبيه قال: رجع رسول الله (ﷺ) من بعض مغازيه فجاءته جارية سوداء فقالت: يا نبي الله إني نذرت إن ردك الله صالحًا أن أضرب بين يديك بالدف، فقال لها: إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا، قالت: فجعلت تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدف تحتها، ثم قعدت عليه، فقال رسول الله (ﷺ): إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالسًا وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخل ألقت الدف.

٣- وما يأتي إلى رسول الله (ﷺ) حر أو عبد أو أمة -إلا قام معه في حاجته.

ومن حديث أنس: أن امرأة عرضت للنبي (ﷺ) في طريق من طرق المدينة فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال: يا أم فلان اجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلس إليك، قال: ففعلت، فقعد إليها رسول الله (ﷺ) حتى قضت حاجتها، ولفظ البخاري في الأدب، باب الكبر: كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله (ﷺ) فتنطلق به حيث شاءت.

٤- وجاءه رجل من أهل البادية فقال: إني قدمت بإبل أريد بيعها ولا أعرف السعر، وأنا أخاف أن أخدع، فلو قمت معي فبعتها لي؟ فقال (ﷺ): لا أعرف أثمان الإبل ولا بيعها، فألح عليه الأعرابي، فقال: قرب إبلك، فقربها، فقال: اعرضها بعيرًا بعيرًا، فجعل كلما مر ببعير قال: أما هذا فبعه بكذا وكذا حتى فرغ منها.

ثم مضى الأعرابي بها إلى السوق، فباع كل بعير بما أشار إليه رسول الله (ﷺ) فأصاب مالاً كثيرًا، فجاء به يحمله حتى وضعه بين يدي رسول الله (ﷺ) فقال: نظرت إليّ وأرشدتني فأصبت أكثر من أمنيتي، فخذ من هذا

المال ما أحببت، فقال (ﷺ): ما آخذ فيه شيئًا، قال: فاستهدني فإني كثير المال، قال: ولا استهديك، فألح عليه، فقال (ﷺ): إن كنت لابد فاعلاً فاهد لي ناقة ذات لبن، وإياك أن تهديها مولهة عن ولدها.

وقوله: «إني قدمت بإبل أريد بيعها».

ومن حديث نعيم بن حصين السدوسي قال: حدثني عمي -واسمه: زياد عن جدي قال: أتينا المدينة والنبي (ﷺ) بها ومعي إبل لي، فقلت: يا رسول الله (ﷺ)، مُرْ أهل الغائط أن يحسنوا مخالطتي وأن يعينوني، قال: فقاموا معي، فلما بعت إبلي أتيت النبي (ﷺ) فقال لي: ادنه، فمسح على ناصيتي، ودعا لي ثلاث مرات.

٥- وتزوج بعض جلسائه (ﷺ) من المقلين، فجاءه وذكر حاله له، فأحب أن يعينه، فدخل بيت عائشة (رضي الله عنها) فقال: ماذا عندك من خير حتى أعين صاحبنا هذا؟ فقالت: ما عندي شيء إلا هذا المكتل الذي فيه الدقيق.

فأخذ النبي (ﷺ) ذلك المكتل فدفعه إليه بما فيه ولم يكن عندهم غيره.

قوله: «وتزوج بعض جلسائه»:

ممن يقوم على خدمته، وهو ربيعة بن كعب الأسلمي، لازم النبي (ﷺ) حتى قبض، فخرج إلى بئر بلاد أسلم على بريد من المدينة ومكث فيها حتى توفي أيام الحرة.

قال ربيعة: كنت أخدم النبي (ﷺ)، فقال لي النبي (ﷺ): يا ربيعة ألا تتزوج؟ قال: فقلت: لا والله يا رسول الله ما أريد أن أتزوج، ما عندي ما يقيم المرأة، وما أحب أن يشغلني عنك شيء، قال: فأعرض عني، قال: ثم راجعت نفسي فقلت: والله يا رسول الله أنت أعلم بما يصلحني في الدنيا والآخرة،

قال: وأنا أقول في نفسي: ليت قال لي: الثالثة، لأقولن نعم، قال: فقال لي الثالثة: يا ربيعة ألا تتزوج؟ قال: فقلت: بلى يا رسول الله، مرني بما شئت أو بما أحببت، قال: انطلق إلى آل فلان -إلى حي من الأنصار فيهم تراخ عن رسول الله (ﷺ)- فقل لهم: إن رسول الله (ﷺ)، يقرئكم السلام ويأمركم أن تزوجوا ربيعة فلانة -امرأة منهم- قال: فأتيتهم، فقلت لهم ذلك، فقالوا: مرحبًا برسول الله (ﷺ) وبرسول رسول الله (ﷺ)، والله لا يرجع رسول رسول الله (ﷺ) إلا بحاجته، قال: فأكرموني وزوجوني، وألطفوني ولم يسألوني البينة، فرجعت حزينًا، فقال رسول الله (ﷺ): ما بالك؟ فقلت: يا رسول الله أتيت قومًا كرامًا فزوجوني وأكرموني ولم يسألوني البيِّنة، فمن أين لي الصداق؟ فقال رسول الله (ﷺ) لبريدة الأسلمي: يا بريدة اجمعوا له وزن نواة من ذهب، قال: فجمعوا لي وزن نواة من ذهب، قال: فقال النبي (ﷺ): اذهب بهذا إليهم، وقل: هذا صداقها، فذهبت به إليهم، فقلت: هذا صداقها، قال: فقالوا: كثير طيب، فقبلوا ورضوا به، قال: فقلت: من أين أولم؟ قال: فقال: يا بريدة اجمعوا له في شاة، قال: فجمعوا لي في كبش عظيم سمين، قال: وقال النبي (ﷺ): اذهب إلى عائشة فقل: انظري المكتل الذي فيه الطعام، فابعثي به، قال: فأتيت عائشة (رضي الله عنها)، فقلت لها ذلك، فقالت: ها هو ذاك المكتل فيه سبعة آصع من شعير، ووالله إن أصبح لنا طعام غيره، قال: فأخذته فجئت به إلى النبي (ﷺ) فقال: اذهب به إليهم فقل: ليصلح هذا عنكم خبزًا، قال: فذهبت به وبالكبش، قال: فقبلوا الطعام، وقال: اكفونا أنتم الكبش، قال: وجاء ناس من أسلم فذبحوا وسلخوا وطبخوا، قال: فأصبح عندنا خبز ولحم فأولمت ودعوت رسول الله (ﷺ)، قال: وأعطاني رسول الله (ﷺ) أرضًا، وأعطى أبا بكر أرضًا ... الحديث.

٦- وخرج رسول الله (ﷺ) بثمانية دراهم يريد بها السوق، فمضى، فإذا هو

بجارية على الطريق تبكي، فقال لها: ما يبكيك يا جارية؟ فقالت: بعثني أهلي بدرهمين لأشتري بهما حاجتهم فأضللتهما، فأعطاها رسول الله (ﷺ) درهمين من الثمانية ومضى إلى السوق بستة دراهم، فاشترى بأربعة دراهم قميصًا ولبسه وانصرف، فإذا هو بشيخ من شيوخ المسلمين قد يبس جلده على عظمه عاريًا ما يستتر إلا بنعليه وهو ينادي: من كساني كساه الله من خضر الجنة.

فلما رآه لم يتمالك (ﷺ) أن ألقى الثوب عليه، ثم أقبل إلى السوق وهو يبادر الليل، فاشترى قميصًا بدرهمين فلبسه، وأقبل فإذا هو بالجارية حيث تركها تبكي، فقال لها: ما شأنك؟ ألم أكن أعطيتك درهمين؟ فقالت: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله، اشتريت ما احتيج إليه ولكن طالت غيبتي عن أهلي فأشفقت من عقوبتهم، فقال (ﷺ): ألحقيني بأهلك، واتبعها حتى انتهى إلى دار من دور الأنصار، فإذا رجالهم خلوف ليس فيها إلا النساء، فسلم عليهن وقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فسمع النساء صوته فعرفنه فلم يجبنه، ثم ثنَّى مثلها فلم يجبنه، ثم سلم الثالثة ورفع بها صوته فقلن بأجمعهن: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته بآبائنا وأمهاتنا أنت يا رسول الله، فقال (ﷺ): أما سمعتن ابتداء سلامي؟ قلن: بلى، ولكن أحببنا أن نكثر لأنفسنا وذرارينا من تسليمك، قال: إن جاريتكم هذه أبطأت عليكم فخشيت عقوبتكم، فهبوا لي عقوبتها، فقلن جميعًا: قد شفعناك بآبائنا وأمهاتنا أنت، شفعناك فيها، ووهبنا عقوبتها لك، وأعتقناها لممشاك، فهي حرة لوجه الله تعالى.

قال: فانصرف رسول الله (ﷺ) وهو يقول: ما رأيت ثمانية دراهم أعظم بركة من هذه الثمانية: آمن بها خائفًا، وأعتق بها نسمة، وكسا بها عاريين -يعني نفسه والشيخ-.

٧- وكان (ﷺ) يعود أصحابه كما يعودونه، ويشيعهم، ويعتنقهم كما

يعتنقونه، ويقبل وجوههم كما يقبلون وجهه ويفديهم بأبيه وأمه كما يفدونه بآبائهم وأمهاتهم.

قوله: «وكان يعود أصحابه».

عن أنس قال: كان رسول الله (ﷺ) يعود المريض، ويشيع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار.

ومن حديث أبي أمامة بن سهل: أن النبي (ﷺ) كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم.

ومن حديث عبد الله بن يزيد الخطمي: كان رسول الله (ﷺ) إذا شيع جيشًا فبلغ عقبة الوداع قال: أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتم أعمالكم.

وورد عند أبي داود والترمذي في الجنائز تقبيل (ﷺ) عثمان بن مظعون بعد ما مات حتى رؤيت دموعه (ﷺ) تسيل على وجنته.

وأخرج أبو داود في الأدب باب المعانقة من حديث رجل من عنزة لم يسم أنه سأل أبا ذر: هل كان رسول الله (ﷺ) يصافحكم إذا لقيتموه؟ فقال: ما لقيته قط إلا صافحني، وبعث إلى يومًا ولست في البيت فلما جئت أخبرت برسول الله (ﷺ) فأتيته وهو على سرير فالتزمني، فكانت أجود وأجود.

وعن الشعبي أن جعفرًا لما قدم تلقاه رسول الله (ﷺ) فالتزمه وقبل ما بين عينيه.

قوله: «ويفديهم بأبيه وأمه».

ومن حديث ابن الزبير، عن أبيه في قصة الخندق، قال: أما والله لقد جمع لي رسول الله (ﷺ) يومئذ أبويه فقال: فداك أبي وأمي.

٨- وكان يتفقد أصحابه، ويسأل عنهم، فمن كان مريضًا عاده ومن كان غائبًا دعا له، فمن مات استرجع فيه وأتبعه بالدعاء ومن كان يتخوف أن يكون وجد في نفسه قال: لعل أبا فلان وجد علينا في شيء، أو رأى منا تقصيرًا، انطلقوا بنا إليه، فينطلق حتى يأتيه في منزله.

قوله: «فمن كان مريضًا عاده».

شواهده في الصحيحين، منها زيارته (ﷺ) لسعد، وجابر بن عبد الله، ودخوله على الرجل الذي أصابته الحمى.

قوله: «فمن كان غائبًا دعا له».

ومنه افتقاده لأم معقل في الحج وفيه قوله: ما منعك أن تخرجي معنا العام، ودخل على ضباعة فقال (ﷺ): ما يمنعك يا عمة من الحج؟ قالت: إني سقيمة، وهذا فيه إثبات افتقاده لنساء أصحابه وسؤاله عنهن إثبات ذلك لأصحابه من باب أولى، وقد اهتم للمرأة التي كانت تقم المسجد وأمر أصحابه أن يؤذنوه إذا ماتت، فلما دفنوها ليلاً وبخهم على فعلتهم فاعتذروا بأن ذلك كان ليلًا، فلم يهدأ باله بأبي هو وأمي حتى قام على قبرها وصلى عليها ثم قال: إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله (عز وجل) ينورها بصلاتي عليهم.

٩- عن أنس بن مالك أن النبي (ﷺ) كان يتفقد أصحابه في كل ثلاث، فإن كان مريضًا عاده، وإن كان غائبًا دعا له.

وأنه (ﷺ) افتقد بعض أصحابه ذات يوم فقيل: يا رسول إنه مريض حتى صار كأنه هامة، لا يأكل شيئًا إلا خرج من دبره، فقال (ﷺ): امضوا بنا إليه، فلما دخل عليه رآه كما وصف له، فقال (ﷺ): ما بلغ بك ما أرى؟

فقال: يا رسول الله إني مررت بك وأنت تقرأ القارعة فلما بلغت: ﴿وَتَكُونُ

﴿ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ (القارعة: ٥) قلت: اللهم إن كنت تعاقبني في الآخرة، فعجله لي في الدنيا، فقال (ﷺ): بئس ما قلت، ألا قلت: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، فأمره (ﷺ) بالدعاء ودعا له، قال: فقام فكأنما نشط من عقال.

١٠- وكان رجل يختلف إلى رسول الله (ﷺ) يحمل ابنا له، ففقده رسول الله (ﷺ) فسأل عنه فقيل: يا رسول الله أصيب بابنه الذي كان يحمله وهو حزين لا يكلم أحدًا.

فانطلق رسول الله (ﷺ) إليه وعزاه ثم قال: أما تطيب نفسك أنك لا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته بإزاء ذلك الباب يستفتح لك؟ فقال الرجل: وكذاك يا رسول الله؟ قال: نعم، قال: هذا لي خاصة يا رسول الله أم للناس عامة؟ فقال رسول الله (ﷺ): بل للمسلمين عامة.

١١- وقبَّل (ﷺ) عثمان بن مظعون بعد موته.

وقوله: «عثمان بن مظعون».

الجمحي، الصحابي الجليل، أبو السائب من سادة المهاجرين وأولياء الله المتقين، فازوا بوفاتهم في حياة نبيهم، إذ صلى عليه ودعا لهم وشهد لهم بالخير، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر الهجرتين، وتوفي بعد بدر، وكان عابدًا مجتهدًا ممن همَّ بالاختصاء، فنهاه النبي (ﷺ) ويقال: هو أول من دفن بالبقيع فوضع النبي (ﷺ) عند رأسه حجرًا وقال: هذا قبر فرطنا.

١٢- وكان (ﷺ) يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان، فيقف، ثم يأمر بهم فيرفعون إليه فيحملهم بين يديه، ويحمل وراءه ويأمر أصحابه أن يحملوا فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك، فيقول بعضهم لبعض: حملني رسول الله (ﷺ) بين

يديه وحملك وراءه، ويقوم بعضهم: حملني رسول الله (ﷺ) وراءه وأمر بعض أصحابه أن يحملك أنت.

وقوله: «وكان (ﷺ) يقدم من السفر».

وفي فضائل عبد الله بن جعفر قال: كان رسول الله (ﷺ) إذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل بيته، قال: وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه، قال: فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابة.

١٣- وكان (ﷺ) كثيرًا ما يرى الأنصار، فيتلقاه صبيانهم، فيمسح رؤسهم ويسلم عليهم ويدعو لهم.

١٤- وكان (ﷺ) إذا مر بالصبيان سلم عليهم وأتحفهم بما عنده.

وقوله: «وأتحفهم بما عنده».

من حديث عبد الله بن الحارث قال: كان رسول الله (ﷺ) يصفُّ عبد الله وعبيد الله وكثيرًا من بني العباس، ثم يقول: من سبق إليّ فله كذا وكذا قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلزمهم.

١٥- وكان (ﷺ) لا يدع أحدًا يمشي معه إذا كان راكبًا حتى يحمله، فإن أبى قال: تقدم أمامي وأدركني في المكان الذي تريد.

وقوله: «لا يدع أحدًا يمشي معه إذا كان راكبًا».

ومن حديث قيس بن سعد الطويل، وفيه قصة زيارته (ﷺ) لهم وفي آخره: فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارًا قد وطأ عليه بقطيفة، فركب رسول الله (ﷺ) فقال سعد: يا قيس اصحب رسول الله (ﷺ)، قال قيس: فقال لي رسول الله

(ﷺ) اركب، فأبيت، ثم قال: إما أن تركب وإما أن تتصرف، قال: فانصرفت.

١٦- وخرج (ﷺ) إلى قباء على حمار عري وأبو هريرة معه، فقال يا أبا هريرة أحملك؟ فقال: ما شئت يا رسول الله، قال: اركب وكان في أبي هريرة ثقل -فوثب ليركب فلم يقدر فاستمسك برسول الله (ﷺ) فوقعا جميعًا، ثم ركب رسول الله (ﷺ) ثم قال: يا أبا هريرة أحملك؟ قال: ما شئت يا رسول الله قال: اركب، فلم يقدر على ذلك فتعلق برسول الله (ﷺ) فوقعا جميعًا، فركب رسول الله (ﷺ) ثم قال: يا أبا هريرة أحملك؟ قال: لا والذي بعثك بالحق لا صرعتك ثالثًا.

وقوله: «على حمار عري».

عن عبد الرحمن بن غنم -وهو الذي بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام يفقه الناس -أن معاذ بن جبل حدثه عن النبي (ﷺ): أنه ركب يومًا على حمار له يقال له: يعفور، سنه من ليف، ثم قال: اركب يا معاذ فقلت سر يا رسول الله (ﷺ) فقال: اركب، فردفته، فصرع الحمار بنا، فقام النبي (ﷺ) يضحك، وقمت أذكر من نفسي أسفًا، ثم فعل الثانية ثم الثالثة.

١٧- وكان (ﷺ) يركب الحمار، ويحلب الشاة، ويلبس الصوف، ويقول: من فعل هذه الثلاث ذهب كبره.

وقوله: «من فعل هذه الثلاث».

من حديث جبير من مطعم قال: يقولون فيّ التيه، وقد ركبت الحمار ولبست الشملة، وقد حلبت الشاة، وقد قال رسول الله (ﷺ) من فعل هذا فليس فيه من الكبر شيء.

١٨- وكان (ﷺ) إذا ركب الدابة يُردف في بعض الأحايين.

١٩- وكان (ﷺ) يقول: صاحب الدابة أحق بصدر الدابة.

فصل: في تواضعه

١- كان (ﷺ) يقول: لا ترفعوني فوق حقي، فإن الله تعالى خلقني عبدًا، واتخذني عبدًا قبل أن يتخذني نبيًا، ثم اتخذني عبدًا وجعلني نبيًا، ثم أنا نبي الله وعبده وقوله: «اتخذني عبدًا وجعلني نبيًا».

ومن حديث ثابت عن أنس قال: يا أيها أنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله (عز وجل).

٢- ولقد كان (ﷺ) يضع الإناء للهرة فما يرفع الإناء رحمة لها حتى تروي.

قوله: «ولقد كان (ﷺ) يضع الإناء للهرة».

فعن عائشة قالت: كان رسول الله (ﷺ) يصغي لها الإناء فتشرب، ثم يتوضأ بفضلها -يعني الهرة.

٣- وكان (ﷺ) يأكل الرطب ويطرح النوى في يساره -ولا يلقيه في الأرض- فمرت شاة قريبًا منه فأشار إليها بالنوى التي كانت في كفه، فدنت منه، فجعلت تأكل في كفه اليسرى، ويأكل رسول الله (ﷺ) بيمينه ويلقي إليها حتى فرغ فانصرفت الشاة.

وقوله: «فمرت شاة».

عن أنس بن مالك: أهدي لرسول الله (ﷺ) طبق من رطب، فجثا على ركبتيه فأخذ يناولني قبضة قبضة يرسل به إلى نسائه، وأخذ قبضة منها فأكلها ويلقى النوى بشماله، فمرت داجنة فتناولها فأكلها.

٤- وأمر رسول الله (ﷺ) أصحابه بذبح شاة في سفر، فقال رجل من القوم:

عليّ ذبحها، وقال آخر: علي سلخها، وقال آخر: علي قطعها، وقال آخر: علي طبخها، فقال رسول الله (ﷺ): علي أن ألقط لكم الحطب، فقالوا: لا تتعن بآبائنا وأمهاتنا أنت نحن نكفيك، قال: قد عرفت أنكم تكفون، ولكن الله يكره من عبده إذا كان مع أصحابه أن يتميز من بينهم، فقام (ﷺ) يلقط الحطب.

٥- ودخل (ﷺ) هو وصاحب له غيضة فافترقا في حاجتهما، فلما رجع مر بغصنين في شجرة فأعجبه اعتدالهما وطولهما فقطعهما، فلما لقيه صاحبه قال: أعجبني هذان الغصنان فاختر أعدلهما وأجودهما، قال: أجل، ولكن اختر أنت فإن كل صاحب مسئول عن صاحبه.

قوله: «فإن كل صاحب مسئول عن صاحبه».

قال ابن جرير في تفسيره عن قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ (النساء: ٣٦) عن ابن عبد الله: أن رسول الله (ﷺ) كان معه رجل من أصحابه وهما على راحلتين، فدخل النبي في غيضه طرفا، فقطع فيصلين أحدهما معوج والآخر معتدل، فخرج بهما فأعطى صاحبه المعتدل، وأخذ لنفسه المعوج، فقال الرجل: يا رسول الله، بأبي وأمي أنت أحق بالمعتدل مني، فقال: كلا يا فلان، إن كل صاحب يصحب صاحبًا مسئول عن صحابته ولو ساعة من نهار.

٦- وكان (ﷺ) يومًا يأكل التمر ويلقى الحشف فقال رجل: يا رسول الله أعطني مما ألقيت، فقال: إني لا أرضى لكم ما أسخط لنفسي، ولكن كل مما آكل.

٧- وإن كان (ﷺ) ليدعوه رجل من المسلمين شطر الليل على خبز الشعير فيجيبه.

وقوله: «وإن كان (ﷺ) ليدعوه».

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله (ﷺ) يجلس على الأرض ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير.

وعن أنس: أن يهوديًا دعا رسول الله (ﷺ) إلى خبز شعير وإهالة سنخة فأجابه، وهذا في مسند الإمام أحمد أما في صحيح مسلم: خياطًا بدل يهوديًا.

فصل: وقد جمع الله لرسوله (ﷺ) مكارم أخلاق العرب ومكارم أخلاق العجم

١- وزاده أشياء ليست عندهم، وما جاء به الإسلام من مكارم الأخلاق أكثر من أن يحصى أو يحيط به علم عالم.

٢- وقد كان الله تبارك وتعالى أعلم بما اختار لوحيه وحلاله وحرامه وكريم أخلاقه ومحاسنها، اختاره من آدم وحواء إلى أبيه وأمه.

٣- فهو (ﷺ) أكرم الناس نسبًا، وأثبت الناس أصلاً، وأطول الناس فرعًا، وأكملهم دينًا وخلقًا وقال (ﷺ): بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

فعن جابر قال: قال رسول الله (ﷺ): إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق وتمام محاسن الأفعال.

٤- وقال له (ﷺ) رجل: أوصني قال: أتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن.

٥- وجاءه آخر فقال: أوصني وأوجز لي بشيء يوجب لي الجنة، قال: عليك بحسن الكام وبذل الطعام.

٦- وكان (ﷺ) أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه.

٧- وقال (ﷺ) لبعض أصحابه: إن فيك لخلتين يحبهما الله ورسوله، فقال: وما هما يا رسول الله؟ قال: الحلم والحياء، قال: أقديمًا كانت فيّ أو حديثًا؟ قال: لا بل قديمًا، قال: قلت: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله.

قوله: «لبعض أصحابه».

هو الأشج: أشج عبد القيس، بما أخرج قصته الجماعة كلهم مطولة ومختصرة من حديث نصر بن عمران أبي جمرة، عن ابن عباس، غير أن البخاري استثنى من القصة قوله: إن فيك لخلتين أو خصلتين، وقد أخرجهما الباقون.

٨- عن علي بن الحسين (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: سمعت الحسين بن علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) يقول: لو شتمني رجل في هذه الأذن -وأومأ إلى اليمنى- واعتذر لي في الأخرى لقبلت منه، وذلك أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) حدثني: أنه سمع جدي رسول الله (ﷺ) يقول: لا ورد علي الحوض من لم يقبل العذر من محق أو مبطل.

قوله: «من محق أو مبطل».

عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عنهما مرفوعًا: عِفُّوا تعف نساؤكم وبَرُّوا تبركم أبناؤكم، ومن اعتذر إلى أخيه المسلم من شيء يبلغه عنه فلم يقبل عذره لم يرد علي الحوض.

٩- ونهى (ﷺ) عن الإساءة إلى أحد من الخدم وغيرهم، ما ضرب (ﷺ)

خادمًا له ولا امرأة، ولا ضرب شيئًا بيده إلا أن يحارب في سبيل الله (عَزَّوَجَلَّ).

١٠- قال أنس بن مالك: خدمت رسول الله (ﷺ) تسع سنين فلا والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط فعلته -وهو يكره ذلك- لم فعلت ذلك؟ وما تركت شيئًا قط من خدمته كان يجب أن أفعله: مالك لم تفعله؟ فضلًا عن أن يلومني بشيء وفي رواية: وما كان يلومني أحد من نسائه إلا قال: دعوه فإنما كان هذا بكتاب وقدر.

١١- وما شتم (ﷺ) أحدًا من المؤمنين بشتيمة تعلم إلا جعلها له كفارة ورحمة.

قوله: «إلا جعلها له كفارة ورحمة».

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: اللهم إنما أنا محمد بشر، يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت عندك عهدًا لن تخلفنيه، فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة.

١٢- وما لعن (ﷺ) امرأة قط ولا خادمًا بلعنة تعلم.

١٣- وقد قيل له (ﷺ) وهو يوازي قومًا للقتال: لو لعنتهم يا رسول الله؟ قال: إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعانًا.

١٤- وما ضرب (ﷺ) بيده أحدًا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله، وما انتقم (ﷺ) شيئًا صنع إليه إلا أن يكون لله في ذلك حرمة تنتهك فيكون لله ينتقم، وما خيِّر ﷺ) بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما، إلا أن يكون فيه قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك.

١٥- ولو لم يكن من حلمه (ﷺ) وكرم عفوه إلا ما كان يوم فتح مكة

لكان من أعجب العجب.

ذلك أنه حين دخل مكة -وكان أهلها قد قتلوا أعمامه ورجاله وأولياءه وأنصاره، وعذبوهم بألوان العذاب، واستعدوا عليه، وأرادوا نفسه وقتًا بعد وقت -فلما دخل جمعهم ثم قام خطيبًا فيهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أقول كما قال أخي يوسف (عليه السلام): لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين.

١٦- يقال: إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سمع رجلاً ينشد هذا البيت:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره　　　تجد خير نار عندها خير موقد

فقال عمر رضوان الله عليه: ذاك رسول الله.

١٧- ويقال أُنشد شعر زهير في هرم بين يدي أبي بكر رضوان الله عليه:

دع ذا وعد القول في هرم　　　خير الكهول وسيد الحضر

فقال أبو بكر (رضي الله عنه): ذاك رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

فقال:

حامي الذمار على محافظة　　　الجلّى أمين مغيب الصدر

فقال أبو بكر (رضي الله عنه): ذاك رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

فقال:

وإذا خلوت به خلوت إلي　　　صافي الحقيقة طيب الخبَرِ

فقال أبو بكر (رضي الله عنه): ذاك رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

فقال:

منصرف للمجد معترف به   للنائبات يراح للذكر

فقال أبو بكر (رضي الله عنه): ذاك رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

ومما يدل على ثبات قلبه (صلى الله عليه وسلم) وشجاعته وشدة بأسه أن الناس فروا عنه يوم حنين والعباس (صلى الله عليه وسلم) آخذ بحكمة بغلته، وهو (صلى الله عليه وسلم) ينادي: يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة إليّ أنا رسول الله.

باب في آداب النبي (صلى الله عليه وسلم) وسيرته في الأمر والنهي

وقول الله (عز وجل): ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب: ٢١)

عن جابر بن عبد الله، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: كفُّوا صبيانكم فحمة العشاء، فإنكم ما تدرون ما يبث الله من خلقه، اكفوا الإناء وأوكوا السقاء، وغلقوا الأبواب وأطفئوا المصابيح.

١- وقال (صلى الله عليه وسلم) بلوا الأرحام ولو بالسلام.

٢- وقال (صلى الله عليه وسلم): ما زال جبريل يوصيني بحفظ الجار، حتى ظننت أنه سيورثه.

٣- وقال (صلى الله عليه وسلم) اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار الإقامة.

٤- وقال (صلى الله عليه وسلم): من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره.

٥- وكان (صلى الله عليه وسلم) يحث على اصطناع المعروف، وقال: كل معروف صدقة.

٦- وقال (صلى الله عليه وسلم): رأس العقل بعد الإيمان مداراة الناس، ولن يهلك رجل بعد مشورة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة.

فصل ولما جعل الله فيه من الرقة

١- قال (ﷺ): ادفعوا الحدود ما وجدتم لها مدفعًا.

٢- وقال (ﷺ) فلأن يخطئ الإمام في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة.

٣- وقال (ﷺ) أقيلوا ذوي الهيئة عثراتهم.

فأمرهم (ﷺ) بالكرم بإقالة ذوي الهيئة، لما جبله الله عليه، وجعله أولى خلقه بهم.

٤- وقال (ﷺ): تجافوا عن عقوبة ذوي المروءات إلا في حد من حدود الله.

٥- وقال رسول الله (ﷺ) من شفع شفاعة حالت دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في ملكه، ومن أعان على خصومة لا يعلم أحق أم باطل فهو في سخط الله حتى ينزع، ومن مشى مع قوم يُرى أنه شاهد وليس بشاهد فهو شاهد زور.

وقوله: «فهو شاهد زور».

من حديث يحيى بن راشد عنه مرفوعًا: من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فهو مضاد لله في أمره، ومن مات وعليه دين فليس الدينار والدرهم، ولكنها الحسنات والسيئات، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال.

٦- وقال (ﷺ): لا تطرقوا الطير في أوكارها، فإن الليل أمان لها وذلك لما جبله عليه الله من الرحمة.

٧- وقدم على رسول الله (ﷺ) سبايا، فوجد امرأة تبكي فقال: ما يبكيك؟

قالت: فُرِّق بيني وبين ابني ببيع بأرض بني عبس، فدعا بصاحب السبي -وهو: أبو أسيد الساعدي -فقال: أفرقت بينها وبين ولدها؟ قال: ضعف عن المشي ولم تقو هي على حمله فبعته بأرض بني عبس، فقال (ﷺ): لتذهبن أنت بنفسك حتى تأتي به، فذهب أبو أسيد حتى جاء بابنها فرده عليها.

٨- وقال (ﷺ): من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة.

٩- وكان (ﷺ) يفزعه الريح إذا هاجت، فإذا قطرت السماء سُرِّى ذلك عنه وفرح (ﷺ).

وقوله: «يفزعه الريح إذا هاجت».

من حديث عطاء بن أبي رباح عن عائشة أنها قالت: كان النبي إذا عصفت الريح قال: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به، قالت: وإذا تخيلت السماء تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سرِّي عنه فعرفت ذلك في وجهه، قالت: فسألته، فقال: لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ﴾ (الأحقاف: ٢٤).

١٠- وهبت ريح على عهد رسول الله (ﷺ) فكشفت عن ثوب رجل فسبها ذلك الرجل، فقال (ﷺ) لا تسبها فإنها مأمورة.

وقوله: «فكشف عن ثوب رجل».

عن سعيد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي رفعة: لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولا: اللهم إنَّا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به.

فصل: في اعتنائه (ﷺ) بجمال مظهره

١- وكان (ﷺ) يأمر بإعفاء اللحى، وقص الشوارب، وقال: انهكوا الشوارب وأعفوا اللحى.

٢- وكان (ﷺ) إذا اهتم أكثر من مس لحيته.

وقوله: «أكثر من مس لحيته».

عن عائشة قالت: كان رسول الله (ﷺ) إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته.

٣- وقال (ﷺ) عشر من الفطرة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد، فأما الذي في الرأس: فقص الشوارب والمضمضة، والاستنشاق والسواك والفرق.

وأما التي في البدن: فالختان وحلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظفار وانتقاص الماء، وبعض الأخبار: غسل البراجم.

٤- ومن السنة: الترجل، أن يرجل غبا.

وقوله: «أن يرجل غبا».

عن ابن مغفل أن النبي (ﷺ) نهى عن الترجل إلا غِبًا.

٥- وكان (ﷺ) ينظر في المرآة، ويرجل جمته ويمتشط، وربما نظر في الماء يسوي فيه جمته.

٦- ومن السنة الكحل واستعماله، ولما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: عليكم بالإثمد.

وقوله: «عليكم بالإثمد».

وزيادة في الرواية: فإنه يجلو البصر وينبت الشعر.

٧- وكان (ﷺ) يكتحل في عينه اليمنى ثلاثًا، وفي اليسرى ثنتين.

٨- وكان (ﷺ) يقول: من شاء اكتحل ثلاثًا في كل عين، ومن فعل دون ذلك أو فوقه فلا حرج.

قوله: «من شاء اكتحل ثلاثًا».

هذا من حديث أبي هريرة وهذا أصح ما روي عن اكتحال النبي (ﷺ).

٩- وربما اكتحل (ﷺ) وهو صائم، وكان كحله الإثمد.

١٠- ومن السنة استعمال الطيب، لما روى أن رسول الله (ﷺ) كان يعرف بريح الطيب إذا أقبل.

١١- وفي رواية: كان النبي (ﷺ) إذا مر بموضع عرف من طيبه وهذا مختص بالرجال.

١٢- وروي أن رسول الله (ﷺ) قال: أيما امرأة خرجت متعطرة لعنتها الملائكة حتى ترجع.

وقوله: «أيما امرأة خرجت متعطرة».

من حديث أبي موسى الأشعري موقوفًا ومرفوعًا بلفظ: أيما امرأة استعطرت ثم خرجت ليوجد ريحها فهي زانية.

١٣- وكان (ﷺ) يعرف في الليلة المظلمة قبل أن يُرى بطيب ريحه (ﷺ).

١٤- وكان (ﷺ) يقول: إن الله (عز وجل) جعل لذتي في النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة.

وقوله: «وجعل قرة عيني في الصلاة».

ضمن قصة مرضه وخروجه يوم الاثنين للصلاة وفيه: فكشف رسول الله

(ﷺ) الستر فرأى الناس يصلون فقال: إن الله جعل قرة عيني في الصلاة، وعن أنس مرفوعًا: حبب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة، ومن حديث سلمة بن كهيل قال: لم يصب رسول الله (ﷺ) شيئًا من الدنيا أحب إليه من النساء، والطيب.

١٥- وعن سفيان الثوري (رضي الله عنه) عن محمد بن المنكدر (رحمه الله)، عمن حدثه به عن الحسين بن علي (رضي الله عنهما) قال: حباني رسول الله (ﷺ) بالورد بكلتا يديه، فلما أن قربته من أنفي، قال: أما أنه من سيد رياحين الجنة بعد الآس.

١٦- وكان (ﷺ) يتطيب بالمسك حتى يرى وبيصه في مفارقه، ويتطيب بذكارة الطيب، بالمسك والعنبر، ويتطيب بالغالية.

وقوله: «حتى يرى وبيصه في مفارقه».

من حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت كنت أطيب النبي (ﷺ) عند إحرامه بأطيب ما أجد، وفي رواية: بأطيب الطيب، ولمسلم أيضًا: كنت أنظر إلى وبيص الطيب في مفرق رسول الله (ﷺ).

وقوله: «ويتطيب بذكارة الطيب».

عن محمد بن علي قال: قلت لعائشة (رضي الله عنها): يا أمه أكان رسول الله (ﷺ) يتطيب؟ قالت: نعم، بذكارة الطيب، قلت: وما ذكارة الطيب؟ قالت: المسك والعنبر.

١٧- ومن السنة ألا يبيت إلا طاهرًا، لما روي أن النبي (ﷺ) قال: من بات طاهرًا بات في شعاره ملك، كلما تعار من الليل يقول الملك: اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهرًا.

١٨- وألا ينام وفي يده غمر، لما روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: من نام وفي

يده ريح غمر فأصابه لمم فلا يلومن إلا نفسه.

١٩- وكان (ﷺ) إذا راعه الشيء في منامه قال: هو الله لا شريك له. وفي رواية: هو الله لا أشرك به شيئًا وفي أخرى: الله الله ربي لا شريك له.

٢٠- وكان (ﷺ) كثير الرؤيا، ولا يرى في منامه إلا الخير.

ومن السنة ما ذكره النبي (ﷺ) عند الاستيقاظ من النوم، وهي دعوات مشهورة مذكورة في باب الدعاء من كتاب الفتوة.

قوله: «كثير الرؤيا»:

لاتصال ذلك بالوحي وأمر النبوة فعن عائشة (رضي الله عنها) أول ما بدئ برسول الله (ﷺ) من الوحي: الرؤيا الصادقة يراها في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

٢١- وكان (ﷺ) يستاك في ليلة ثلاث مرات، واحدة قبل نومه، وواحدة إذا قام من نومه إلى ورده، وواحدة قبل خروجه إلى الصبح.

٢٢- وكان (ﷺ) يستاك بالأراك.

قوله: «يستاك بالأراك».

ومن حديث أبي خبرة الصنابحي قال: كنت في الوفد الذين أتوا النبي (ﷺ) من عبد القيس، فزودونا الأراك نستاك به، وقال (ﷺ): استاكوا بهذا.

٢٣- ومن السنة: صلاة الليل: اثنتا عشرة ركعة.

قوله: «صلاة الليل: اثنتا عشرة ركعة».

بدون ركعة الوتر وعن ابن عباس وعائشة (رضي الله عنهم): أن النبي (ﷺ) كان

يصلي ثلاث عشرة ركعة بالليل.

٢٤- ومن حديث عائشة: أن النبي (ﷺ) كان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة.

٢٥- وكان (ﷺ) يكثر تلاوة القرآن في غير صلاته.

قوله: «وكان (ﷺ) يكثر تلاوة القرآن».

عن عليّ (رضي الله عنه) قال: كان النبي (ﷺ) يخرج من الخلاء فيقرأ القرآن، ويأكل معنا اللحم، ولم يكن يحجبه -أو قال: يحجزه- عن القرآن شيء ليس الجنابة، ومن حديث عمرة عن عائشة قالت: كان النبي (ﷺ) لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث، ومن حديث ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ (القيامة: ١٦) قال: كان النبي (ﷺ) لا يفتر عن قراءة القرآن مخافة أن ينساه.

٢٦- كان (ﷺ) أرق عباد الله في كتاب الله، وأطولهم فيه بكاء إذا خلا به وأشدهم به ترسلا.

وقوله: «أطولهم فيه بكاء».

شاهده حديث ابن مسعود في الصحيحين لما أمره النبي (ﷺ) أن يقرأ القرآن عليه فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ (النساء: ٤١) قال ابن مسعود: قال له النبي (ﷺ): أمسك قال ابن مسعود: فإذا عيناه تذرفان.

وقوله: «أشدهم به ترسُلاً».

من حديث حفصة (رضي الله عنها) قالت: رأيت النبي (ﷺ) يصلي في سبحته وهو جالس فيرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها.

ومن حديث ابن مغفل: رأيت رسول الله (ﷺ) وهو علىناقته يقرأ من سورة الفتح قراءة لينة وهو يرجع، ومن حديث أنس عندما سئل عن قراءة النبي (ﷺ) فقال: كان يمد مدًا، ومن حديث أم سلمة ونعتت قراءة النبي (ﷺ) فإذا هي نعتت قراءة مفسرة حرفًا حرفًا.

٢٧- وقام (ﷺ) حتى تورمت قدماه.

٢٨- وكان يسمع لجوفه (ﷺ) إذا قام بالليل إلى الصلاة أزيز كأزيز المرجل من البكاء.

٢٩- وكان (ﷺ) يقول: ترسلوا بالقرآن وقفوا على محاسنه، ولا تنثروه نثر الدقل.

٣٠- وكان يقول (ﷺ): إن الله لم يأذن لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن.

٣١- قال (ﷺ): شيبتني هود وأخواتها.

قوله: «شيبتني هود وأخواتها».

عن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصديق، سألت النبي (ﷺ): ما شيبك؟ قال: سورة هود، والواقعة، وعم يتساءلون، والمرسلات، وإذا الشمس كورت.

٣٢- ويقول (ﷺ): فابكوا في القرآن، فإن لم تبكوا فتباكوا.

وقوله: «فإن لم تبكوا فتباكوا».

عن سعد بن أبي وقاص، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا.

٣٣- وكان (ﷺ) يقول: اللهم ارزقني عينين هطالتين، تذرفان الدموع، تشفيان من مخافتك.

٣٤- وفي رواية أخرى: اللهم ارزقني عينين هطالتين تبكيان بذروف الدموع من خشيتك، ويشفيان من مخافتك، قبل أن تكون الدموع دمًا، والأضراس جمرًا.

٣٥- وعن أبي ذر قال: قال رسول الله (ﷺ): تسمع ما أسمع؟ أطت السماء وحق لها أن تئط، والذي نفسي بيده ما منها موضع أربع أصابع إلا وملك ساجد لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء، ولما تفارقتم على الفرش، ولصعدتم إلى الصعدات تجأرون: ربنا ربنا.

قال أبو ذر: ليتني كنت شجرة تعضد.

٣٦- وكان إذا أتاه المؤذن فآذنه بصلاة الصبح خرج وهو يقول: اللهم اجعل في قلبي نورًا، واجعل في لساني نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل في سمعي نورًا، واجعل أمامي نورًا، واجعل خلفي نورًا، واجعل عن يميني نورًا، واجعل عن شمالي نورًا، واجعل فوقي نورًا، واجعل تحتي نورًا، اللهم تمم لي النور.

٣٧- وكان (ﷺ) يقول: اللهم اجعلني من أفضل عبادك نصيبًا في كل خير قسمته في هذا اليوم: من نور تهدي به أو رحمة تنشرها أو رزق تبسطه أو سوء تدفعه أو بلاء ترفعه أو ضر تكشفه ثم يستاك قبل أن يخرج إلى صلاة الصبح.

٣٨- وكان (ﷺ) إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على عتبه بابه ثم يقول: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

٣٩- وكان (ﷺ) إذا انتعل بدأ باليمنى، وإذا خلع بدأ باليسرى وقوله: «إذا انتعل بدأ باليمنى» من حديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: كان النبي (ﷺ) يحب التيمن في طهوره وترجله وتنعله.

٤٠- وقد روي عنه (ﷺ) أنه قال: إذا لبس أحدكم نعليه، فليلبس اليمنى ثم لينزع اليسرى قبل اليمنى.

٤١- وكره (ﷺ) أن يمشي الرجل في نعل واحدة.

وقوله: «في نعل واحدة».

من حديث أبي هريرة مرفوعًا: لا يمشي أحدكم في نعل واحدة، ليحفيهما أو لينعلهما جميعًا.

٤٢- وكان (ﷺ) يذكر الله ويقول: إن الله يعجب من عبده إذا ذكره في السوق.

٤٣- وكان (ﷺ) إذا دخل السوق قال: اللهم إني أسألك من خيره وخير ما فيه، وأعوذ بك من شره وشر ما فيه، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة ومن صفقة خاسرة.

٤٤- وكان (ﷺ) إذا رأى الهلال أعرض عنه وقال: هلال رشد وخير، آمنت بالذي خلقك، الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وكذا وجاء بشهر كذا وكذا، اللهم أهله علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، الحمد لله الذي بدأك ثم يعيدك، آمنت بالذي خلقك وصورك وعدلك، ربي وربك الله، ثلاث مرات يرددها.

٤٥- وكان (ﷺ) إذا أراد سفرًا أحب أن يخرج يوم الخميس ويكون غدوًا.

٤٦- وكان (ﷺ) إذا أراد سفرًا صلى، ثم يقول: ما استخلف أحد على أهله خليفة إذا سافر مثل ركعتين يصليهما في أهله.

قوله: «ما استخلف أحد على أهله».

عن أنس بن مالك، أن رجلاً أتى النبي (ﷺ) فقال: إني نذرت سفرًا، وقد

كتبت وصيتي، فإلى أي الثلاثة أدفعها: إلى أمي: أم إلى أخي، أم إلى ابني؟ فقال النبي (ﷺ): ما استخلف عبد في أهله من خليفة أحب إلى الله (عز وجل) من أربع ركعات يصليهن العبد في بيته إذا شد عليه ثياب سفره، يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول: اللهم إني افتقرت بهن إليك فاخلفني بهن في أهلي ومالي، فهن خليفة في أهله وماله ودور حول دوره حتى يرجع.

٤٧- وكان (ﷺ) إذا دخل على أهله يقول: اللهم إني أسألك خير المدخل وخير المخرج، بسم الله خرجنا وبسم الله دخلنا، وعلى الله توكلنا، ثم ليسلم عليهم بعد ذلك.

٤٨- وكان (ﷺ) إذا ودع رجلاً أخذ بيده ثم يقول: استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك.

٤٩- وكان يقول (ﷺ) زودك الله التقوى، وغفر ذنبك، ووجهك للخير حيث ما توجهت.

٥٠- وكان (ﷺ) إذا أحدث الله له نعمة -صغرت أو كبرت- قال: الحمد لله رب العالمين كثيرًا الذي بنعمته تتم الصالحات.

فإما أن يركع ركعتين، وإما أن يخر ساجدًا شكرًا لله، وإذا كان سوى ذلك مما يخالفه قال: الحمد لله على كل حال.

وقوله: «وإما أن يخر ساجدًا شكرًا لله».

من حديث أبي بكرة عن النبي (ﷺ) أنه كان إذا جاءه أمر سرور أو بشر به خر ساجدًا لله.. ولفظه: أنه شهد النبي (ﷺ) أتاه بشير يبشره بظفر جند له على عدوهم ورأسه على حجر عائشة (رضي الله عنها) فقام فخر ساجدًا، ثم أنشأ يسأل البشير فأخبره أنه ولي أمرهم امرأة، فقال النبي (ﷺ): الآن هلكت الرجال

إذا أطاعت النساء، هلكت الرجال إذا أطاعت النساء، ثلاثًا.

٥١- وكان (ﷺ) إذا جاءه ما يحب قال: الحمد لله رب العالمين، وإذا جاء ما يكرهه قال: الحمد لله على كل حال.

٥٢- ومر (ﷺ) بمبتلى -أحسبه مجذومًا- فسجد شكرًا لله على الذي عافاه مما ابتلاه به، فلما رفع رأسه قال: أما كان هذا يسأل الله العافية.

٥٣- وكان (ﷺ) إذا لبس ثوبًا جديدًا سماه باسمه، إن كان قميصًا أو رداء أو إزارًا أو عمامة، يقول: اللهم أنت كسوتني فلك الحمد، اللهم إني أسألك خير ما صنع له، وأعوذ بك من شر ما صنع له.

٥٤- وكان (ﷺ) يقول: بسم الله، الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس.

قال أبو سعد ومن السنة أن يأخذ بالفضل ما أمكنه.

٥٥- فكان (ﷺ) إذا لبس ثوبًا جديدًا حمد الله، ثم يدعو مسكينًا فيعطيه أخلاق ثيابه.

٥٦- وكان (ﷺ) يقول ما من مسلم يكسو مسلمًا من سمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيًا وميتًا.

٥٧- وقال (ﷺ): وما من مسلم يكسو مسلمًا إلا كان في حفظ الله ما دامت عليه من رقعة.

٥٨- وجاءه (ﷺ) ناس، قدموا عليه عراة يستكسونه فدخل فما وجد شيئًا إلا سترًا لفاطمة (رضي الله عنها) قد لفته على بعض المتاع، فقال لها: يا فاطمة، هل لك أن تشتري نفسك بهذا الستر من النار؟ قالت: نعم، فأخذه فقطعه بينهم ذراعين في ذراعين فوارى سوءاتهم وأعطى فاطمة (رضي الله عنها) أعظم الثمن وأجزله.

قوله: «فما وجد شيئًا إلا سترًا لفاطمة».

وعن ابن عمر، أن النبي (ﷺ) كان إذا خرج في غزاة كان آخر عهده بفاطمة، وإذا قدم من غزاة كان أول عهده بفاطمة رضوان الله عليها، فإنه خرج لغزوة تبوك ومعه عليٌّ رضوان الله عليه، فقامت فاطمة فبسطت في بيتها بساطًا، وعلقت على بابها سترًا، وصبغت مقنعتها بزعفران، فلما قدم أبوها (ﷺ) ورأى ما أحدثت رجع فجلس في المجلس، فأرسلت إلى بلال فقالت: يا بلال اذهب إلى أبي فسله ما يرده عن بابي، فأتاه فسأله فقال (ﷺ): إني رأيتها أحدثت ثم شيئًا، فأخبرها، فهتكت الستر، ورفعت البساط، وألقت ما عليها، ولبست أطمارها فأتاه بلال فأخبره، فأتاها فاعتنقها وقال: هكذا كوني فداك أبي وأمي، وفي رواية البخاري أنها أرسلت علي بن أبي طالب فلما أخبرها بما قال قالت: ليأمرني فيه بما شاء، قال: ترسلي به إلى - فلان - أهل بيت فيه حاجة.

٥٩- وقالت امرأة لابنها: ائت رسول الله (ﷺ) فقل: إن أمي تقرأ عليك السلام وتقول: أعطني ثوبًا أقطعه درعًا، وأتى الغلام رسول الله (ﷺ) فقال له: إن أمي تقرأ عليك السلام وتقول: أعطني ثوبًا أقطعه درعًا، فقال: ليس عندنا حتى يجيئنا، فقال: إنها تقول: أعطني رداءك حتى أقطعه درعًا، فقال (ﷺ): أنظرني حتى أدخل الحجرة، فلما توارى بالباب ألقى إليه رداءه فذهب به الغلام إلى أمه.

قوله: «أعطني ثوبًا أقطعه درعًا».

ومن حديث جابر بن عبد الله: بينا رسول الله (ﷺ) قاعد فيما بين أصحابه أتاه صبي فقال: يا رسول الله إن أمي تستكسيك درعًا - ولم يكن عند رسول الله (ﷺ) إلا قميصه -فقال: من ساعة إلى ساعة يظهر، فعد وقتًا آخر، فعاد إلى أمه فقالت: قل له إن أمي تستكسيك القميص الذي عليك، فدخل

رسول الله (ﷺ) داره ونزع قيمصه وأعطاه، وقعد عريانًا، فأذن بلال للصلاة فانتظروه فلم يخرج، فشغل قلوب الصحابة، فدخل عليه بعضهم فرآه عريانًا.

وعن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة إلى النبي (ﷺ) ببردة فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه، فأخذها النبي (ﷺ) محتاجًا إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها، فقال: نعم، فلما قام النبي (ﷺ) لامه أصحابه، فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي (ﷺ) أخذها محتاجًا إليها ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يسأل شيئًا فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي (ﷺ) لعلِّي أكفن فيها.

٦٠- وقالت عائشة (رضي الله عنها): سأل سائل على بابي فقلت للجارية: أطعميه، فجاءت تريني ما تطعمه، فقال رسول الله (ﷺ) يا عائشة لا تحصي فيحصي الله عليك.

قوله: «تريني ما تطعمه».

زاد النسائي في روايته: فقال رسول الله (ﷺ): أما تريدين أن لا يدخل بيتك شيء ولا يخرج إلا بعلمك؟ قلت: نعم، قال: «مهلًا يا عائشة».

وقوله: «فيحصي الله عليك».

فقالت عائشة: والله ما أردت ذلك، فقال: إن أكثركن في النار، قالت: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: لأنكن إذا أشبعتن حجلتن، وإذا جعتن دقعتن، ولأنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير وتغلبن ذا الرأي والدين على رأيه ناقصات الرأي والدين.

٦١- وقال (ﷺ): «إنه ما طلعت الشمس يومًا قط ولا غابت إلا وعن يمينها وعن شمالها ملكان، فإذا طلعت نادى أحدهما، يا صاحب الشر أقصر ويا

صاحب الخير أبشر، وإذا غابت قال أحد الملكين: اللهم أعط منفقًا خلفًا وأعط ممسكًا تلفًا.

قوله: «إنه ما طلعت الشمس يومًا قط».

وأخرجه جماعة بإسناد صحيح فذكروا بدل: يا صاحب الشر ويا صاحب الخير: هلموا إلى ربكم إن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى.

فصل: ومن آداب المساجد

١- ولا يستحب أن يأخذ مكانًا في المسجد يرجع إليه لوقت الصلاة للنهي الوارد فيه.

٢- ومن السنة لداخل المسجد أن لا يجلس حتى يصلي ركعتين، لما روي أن رسول الله (ﷺ) قال لسليك الغطفاني لما جلس: أركعت؟ قال: لا، قال: قم فصل. وهذه مسألة فيها خلاف، إذا كان الإمام يخطب.

٣- فأما إذا دخل المسجد الحرام؛ فالسنة فيه أن يبدأ أولاً بالطواف، ثم بالصلاة.

قوله: «أن يبدأ أولاً بالطواف»:

يعني لما أخرجاه في الصحيحين من حديث عائشة (رضي الله عنها): إن أول شيء بدأ به النبي (ﷺ) حين قدم مكة أن توضأ ثم طاف... الحديث، وبه يقول الشافعية، وهو المشهور عن الإمام أحمد، قالوا: لأن تحية البيت هي الطواف، فأما تحية المسجد فتحصل بركعتي الطواف إذا ركعهما عند المقام.

٤- ولا يجوز أن يتخذ المسجد طريقًا لأنه (ﷺ) قال: لا تتخذوا المساجد طرقًا.

٥- ومن السنة أن يبدأ برجله اليمنى إذا دخل، وبرجله اليسرى إذا خرج.

وقوله: «وبرجله اليسرى إذا خرج».

أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أنس: من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى، وقال: صحيح على شرط مسلم.

٦- وإن جلس في المسجد يجلس متوجهًا نحو القبلة، لما رُوي أنه (ﷺ) قال: لكل شيء زينة وزينة المجلس استقبال القبلة.

٧- ولا يرفع صوته في المسجد، ولا ينشد ضالته، لما قال عليه الصلاة والسلام لناشد: لا وجدت لا وجدت، إنما بنيت المساجد لما بنيت له.

٨- ولا يشهر السلاح؛ للنهي الوارد فيه.

وقوله: للنهي الوارد فيه..

أخرج الشيخان من حديث سفيان قال: قلت لعمرو: أسمعت جابرًا يقول: مر رجل في المسجد ومعه سهام فقال له رسول الله (ﷺ): أمسك بنصالها؟ قال: نعم، وأخرجا من حديث أبي موسى أن النبي (ﷺ) قال: من مر بشيء من مساجدنا أو أسواقنا بنبل فليأخذ على نصالها بكفه لا يعقر مسلمًا.

٩- ولا يدع المجنون والصبيان يدخلوا المسجد، لما روي أنه (ﷺ) قال: جنبوا المساجد الصبيان والمجانين.

١٠- ولا يبع ولا يشتر في المسجد، لما روي أنه لا يبارك فيه، على أن البيع يقع صحيحًا.

وقوله: «لما روي أنه لا يبارك فيه».

يعني لما في حديث أبي هريرة مرفوعًا: إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد

فقولوا: لا أربح الله تجارتك.

١١- وكان رسول الله (ﷺ) يقول: ليليني منكم في الصلاة ذوو الألباب ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.

١٢- وأن رسول الله (ﷺ) مر بزقاق من أزقة الأنصار، فأقيمت الصلاة في مسجدهم فدخل فصلى بهم، فلما سلم رأى النخامة في القبلة، فقال (ﷺ) أين أمامكم؟ قال: ها أنا ذا يا رسول الله، فقال رسول الله (ﷺ): أما تفتقد مسجدك؟ أما ترى هذه النخامة في القبلة؟ قد عزلتك عن إمامتك، ثم قام فحكها، فلما كان بعدها ما شاء الله (عز وجل) مر بذلك الزقاق فسمع الإقامة في مسجدهم، فدخل فصلى بهم فنظر إلى ذلك المكان عليه خلوق فقال رسول الله (ﷺ): ما هذا؟ فقالوا: بآبائنا وأمهاتنا لما خرجت أنت جاءت امرأة إمامنا فقالت: لم عزل رسول الله (ﷺ) زوجي عن إمامته؟ فأخبرناها، فذهبت فجاءت بماء فغسلت ذلك المكان ثم خلَّقته، فقال رسول الله (ﷺ): أين زوجها؟ قال: ها أنا ذا يا رسول الله، فقال: قد رددت عليك إمامتك لما صنعت امرأتك.

وقوله: «قد عزلتك عن إمامتك».

أخرج الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود في الصلاة باب كراهية البزاق في المسجد، من حديث السائب بن خلاد أن رجلاً أم قومًا فبصق في القبلة ورسول الله (ﷺ) ينظر إليه، فقال رسول الله (ﷺ) حين فرغ: لا يصلِّ لكم، فأراد بعد ذلك أن يصلي لهم فمنعوه، وأخبروه بقول رسول الله (ﷺ) فذكر ذلك لرسول الله (ﷺ) فقال: نعم وحسبت أنه قال: إنك أذيت الله، وزاد بعضهم: ورسوله.

فصل: في آداب الطعام والشراب

١- من السنة غسل اليد قبل الطعام وبعده، لما قال (ﷺ) غسل اليد قبل الطعام يذهب الفقر وبعد الطعام يذهب اللمم.

وقوله: «قبل الطعام وبعده».

عن سلمان مرفوعًا: بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده.

٢- وقال (ﷺ): غسل اليدين قبل الطعام يذهب الفقر، وبعده يذهب الدرن.

٣- ومن أدب الأكل أن يسمِّي الله، لما روي أن النبي (ﷺ) قال: سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك، وادن من الطعام.

٤- وقال (ﷺ) أكرموا الطعام.

وقوله: «أكرموا الطعام».

عن عائشة أن النبي (ﷺ) دخل فرأى كسرة ملقاة فقال: يا عائشة أكرمي جوار نعم الله فإنها قلما انكشفت عن أهل بيت فكادت تعود فيهم.

ومن حديث موسى الطايفي قال: قال رسول الله (ﷺ) أكرموا الخبز فإن الله أنزله من بركات السماء.

٥- وكان رسول الله (ﷺ): يأكل على الأرض، ويقول: آكل كما يأكل العبد.

٦- وكان (ﷺ): إذا أكل طعامًا قال: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، وارزقنا خيرًا منه، إلا أنه كان إذا أكل لحمًا أو لبنًا قال: وزدنا من فضلك، إنا إليك راغبون، ويغسل يده.

وقوله: «وارزقنا خيرًا منه».

من حديث ابن عباس مرفوعًا: «من أطعمه الله طعامًا فليقل اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيرًا منه، ومن سقاه الله لبنًا، فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإني لا أعلم ما يجزي من الطعام والشراب إلا اللبن.

٧- وكان (ﷺ) يقول في رجل رآه سميناً قال: ما تأكل؟ قال: ليس بأرضى حب، وإنما آكل اللحم واللبن، فقال (ﷺ): جمعت بين اللحمين.

وعن أبي هريرة: أن رسول الله (ﷺ) قال: ذانك الأطيبان التمر واللبن.

٨- وكان (ﷺ) لا يأكل وحده ما أمكنه، لما قال: طعام الواحد يكفي الاثنين.

٩- وقال (ﷺ): ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من أكل وحده، وضرب عبده، ومنع رفده.

١٠- ومن السنة أن يتتبع ما يسقط من المائدة، لما روي أنه (ﷺ) قال: من تتبع ما يسقط من المائدة فأكله نفى عنه الفقر وعن عياله وعن أهل بيته.

وقوله: «نفى عنه الفقر».

عن عبد الله بن عباس قال: سمعت النبي (ﷺ)، يقول من أكل مما يسقط من الخوان نفى عنه الفقر وصرف عن ولده الحمق.

وحديث جابر بن عبد الله: من أكل مما يسقط من المائدة أمن من الفقر والبرص والجذام، وصرف عن ولده الحمق.

١١- ورأى (ﷺ) أبا أيوب الأنصاري يلتقط نثارة المائدة فقال له: بورك عليك، وبورك فيك، فقال له أبو أيوب: يا رسول الله وغيري؟ قال: نعم، من أكل ما أكلت فله ما قلت لك، وقال: من فعل هذا وقاه الله الجنون والجذام والبرص والفالج وذات الجنب والماء الأصفر والحمى والحمق.

١٢- ورأى (ﷺ) لقمة على الأرض فقال: يا عائشة أحسني جوار نعم الله، فإنها قل ما زالت عن قوم فعادت إليهم.

١٣- ومنها إطعام الطعام، لما قال عليه الصلاة والسلام: أطعموا الطعام.

١٤- وأضاف رسول الله (ﷺ) ضيفًا كافرًا وما عنده إلا ست شياه، فأمر فحلبت له شاة شاة حتى شرب الضيف لبنها كلها، وبات رسول الله (ﷺ) يلتوي، فلما أصبح أسلم الضيف فكساه ثوبًا وأمر أن تحلب له الست أيضًا، فحلبت له شاة فروى منها ففضل الخمس لرسول الله (ﷺ): فقال رسول الله (ﷺ): الكافر يشرب في سبعة أمعاء، والمؤمن يشرب في معي واحد.

١٥- وقال (ﷺ): ما من مسلم يطعم مسلمًا على جوع إلا أطعمه الله من ثمار الجنة، ولا يسقي على ظمأ إلا سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وما من مسلم كسا مسلمًا إلا كساه الله من خضر الجنة.

١٦- وقال (ﷺ) من لذذ أخاه المسلم ما يشتهي كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، وأطعمه الله من ثلاث جنان: من جنة الفردوس، وجنة عدن، ومن جنة الخلد.

١٧- وقال (ﷺ): من أطعم مريضًا شهوته أطعمه الله من ثمار الجنة.

١٨- ومنها: ترك النفخ في الطعام والشراب وأكل الحار.

وقوله: «ومنها ترك النفخ في الطعام والشراب».

عن ابن عباس قال: نهى رسول الله (ﷺ) عن النفخ في الطعام والشراب.

١٩- وقال (ﷺ): الحار والقار منزوعا البركة.

وقوله: «منزوعا البركة».

عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله (ﷺ) يكره الكي والطعام الحار ويقول: عليكم بالبارد فإنه ذو بركة، ألا وإن الحار لا بركة فيه، وعن أبي

هريرة مرفوعًا: أبردوا الطعام فإن الطعام الحار غير ذي بركة، وعنه أيضًا: أن رسول الله (ﷺ) أتى بصحفة تفور، فأشرع يده فيها ثم رفع يده فقال: إن الله لم يطعمنا نارًا.

ومنها إجابة الدعوة.

٢٠- قال (ﷺ): إذا دعي أحدكم فليجب، ثم لا يدخلن حتى يؤذن له، فإن كان صائمًا دعا بالبركة، وليخفف ولا يقعد.

قوله: «ثم لا يدخلن حتى يؤذن له».

في البخاري عن أبي هريرة قال: دخلت مع رسول الله (ﷺ) فوجد لبنا في قدح فقال: يا أبا هر الحق أهل الصفة فادعهم إليَّ قال: فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم فدخلوا.

٢١- قال (ﷺ) ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله (ﷺ).

٢٢- ودعاه (ﷺ) قوم من أهل المدينة إلى طعام صنعوه له ولأصحاب له خمسة فأجاب دعوتهم، فلما كان... في بعض الطريق أدركهم سادس، فقال: إن القوم لم يدعوك فاجلس حتى نذكر لهم مكانك ونستأذنهم لك.

٢٣- ويكره إجابة من يشهد وليمة يحضر فيها الأغنياء دون الفقراء، لما روي أن رسول الله (ﷺ) نهى «أن يشهد وليمة يحضر فيها الأغنياء دون الفقراء ولما رُوي أنه (ﷺ) دعي إلى وليمة ختان فأبى أن يجيب.

٢٤- ودعي (ﷺ) إلى وليمة، فلما دخل البيت إذا هم قد ستروا جدرانه وسقفه، فنظر إليه فقال: ما أدري، اشتكى بيتكم هذا العري فكسوتموه، أو شكا إليهم البرد فأدفيتموه؟! قال: ثم خرج.

ومنها أكل البقول.

٢٥- لما روي أن رسول الله (ﷺ) مر بالرجلة -وهي البقلة الحمقاء- ويقال لها: البقلة المباركة، وكان (ﷺ) قد وجد في رجله حرارة فأخذ منها فعصرها على رجله فوجد لذلك راحة فقال: اللهم بارك فيها، إن فيها شفاء من تسعة وتسعين داء أدناه الصداع، انبتي حيث شئت.

ومنها ترك البقلة المنتنة والثوم والبصل.

٢٦- لما روي عنه (ﷺ) أنه كان يكره البقلة المنتنة، والثوم والبصل.

قوله: والثوم والبصل.

عن سليمان بن يسار مرسلاً: كان رسول الله (ﷺ) لا يأكل الثوم ولا الكراث ولا البصل من أجل أن الملائكة تأتيه ومن أجل أنه يكلم جبريل (عليه السلام).

٢٧- وقال (ﷺ): من أكل الثوم والبصل، فلا يغشانا في مسجدنا فإن الملائكة تتأذى به كما يتأذى المسلم.

ومنها الدباء

٢٨- كان (ﷺ) يحب الدباء بالعدس.

وعن أنس قال: كان رسول الله (ﷺ) يحب الدباء- وفي رواية: القرع قال: فأتي بطعام أو دعي له فجعلت أتتبعه فأضعه بين يديه لما أعلم أنه يحبه.

ومنها: ألا يشرب قائمًا.

٢٩- لما روي عنه (ﷺ) أنه قال: من شرب قائمًا فأصابه شيء من المرض لم يستشف أبدًا.

وورد النهي عن الشرب قائمًا من حديث أنس، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وعن قتادة أن النبي (ﷺ) نهى أن يشرب الرجل قائمًا، قال قتادة فقلنا فالأكل؟ فقال: ذاك أشر أو أخبث ومن حديث أبي هريرة: لا يشربن أحد منكم قائمًا، فمن نسي فليستقئ وروى بعضهم عن أبي هريرة أيضًا: لو يعلم الذي يشرب وهو قائم ما في بطنه لاستقاء.

٣٠- وشرب رجل قائمًا فرآه رسول الله (ﷺ) فقال النبي (ﷺ): أيسرك أن يشرب معك الهر؟ قال: لا قال: فقد شرب معك من هو شر منه: الشيطان.

٣١- ومن السنة أن لا يشرب من الموضع المكسور.

وقوله: الموضع المكسور.

عن أبي سعيد الخدري أن النبي (ﷺ) نهى عن الشرب من ثلمة القدح وأن ينفخ في الشراب»؛ لأن الماء لا ينزل منها كما ينزل من الموضع الصحيح، بل يتفرق فيصيب من حواشيها، فيبل ثوب الشارب فيتأذى منه.

٣٢- ولا يشرب من إناء فضة أو ذهب، للنهي الوارد فيهما وفي الصحيحين من حديث ابن أبي ليلى قال: خرجنا مع حذيفة وذكر النبي (ﷺ) قال: لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تلبسوا الحرير والديباج فإنهما لهم في الدنيا ولكم في الآخرة.

٣٣- ولو شرب من إناء له حلقة فضة جاز.

لما أخرجه الشيخان من حديث أنس أن قدح النبي (ﷺ) كان قد انصدع فسلسله بعضه.

٣٤- ومن السنة أن يتنفس ثلاثة أنفاس، فإذا ابتدأ ذكر الله، وإذا فرغ حمده.

وقوله: «أن يتنفس ثلاثة أنفاس».

لما أخرجه الشيخان من حديث ثمامة بن عبد الله قال: كان أنس يتنفس في الإناء مرتين أو ثلاثًا، وزعم أن النبي (ﷺ) كان يتنفس ثلاثًا، لفظ البخاري.

وقوله: «فإذا ابتدأ ذكر الله».

عن أبي هريرة: أن رسول الله (ﷺ) كان يشرب في ثلاثة أنفاس، إذا أدنى الإناء إلى فيه سمى الله، فإذا أخره حمد الله، يفعل به ثلاث مرات.

٣٥- ونهى عليه الصلاة والسلام عن ثلاث نفخات: نفخة في الطعام، ونفخة في الشراب، ونفخة في السجود.

قوله: «عن ثلاث نفخات».

من حديث زيد بن ثابت قال: نهى رسول الله (ﷺ) عن النفخ في السجود وعن النفخ في الشراب.

٣٦- ولو شرب في إناء من زجاج فقد ورد به الخبر.

وعن ابن عباس قال: كان لرسول الله (ﷺ) قدح قوارير يشرب فيه وقال الموفق البغدادي في طبه: الزجاج فاضل للشرب، تفضله الملوك وتختاره على الذهب والياقوت لأنه قل ما يقبل الوضاءة ويرجع بالغسل جديدًا، ويرى فيه كدر الماء وكدر المشروب، وقلما يقدر الساقي أن يدس السم فيه.

٣٧-وأما الشرب من أذن القدح فإنه مخالف للسنة.

وهو المعبر عنه بالاختناث، أن يثني رأس السقاء ويعطفه ويطويه وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري: نهى رسول الله (ﷺ) عن اختناث الأسقية -يعني أن تكسر أفواهها فيشرب منها.

٣٨- ومنها: أن يشرب مصًا، ولا يعب عبًا؛ لأنه قال (ﷺ) الكُباد من العب وهو وجع الكبد، قال ابن القيم في طبه: قد علم بالتجربة أن ورود الماء جملة واحدة على الكبد يؤلمها ويضعف حرارتها والتدريج شيئًا فشيئًا لم يضاد حرارتها ولم يضعفها.

٣٩- ويستحب سقي الماء؛ لأنه قال (ﷺ) في كل ذات كبد حرّى أجر.

وعن عروة بن الزبير أنه جاء إلى النبي (ﷺ) في وجعه، فقال: أرأيت ضالة ترد على حوض لطته فهل لي أجر إن سقيتها؟ فقال: نعم، في الكبد الحارة أجر.

٤٠- وقال (ﷺ): بينما رجل يمشي في الطريق إذ مر بكلب قد عطش على رأس بئر، فنزع الرجل خفيه، ثم ربط بعمامته فدلاه البئر، فأخرج ماء وسقى الكلب، فشكر الله له ذلك وغفر له، فقيل: يا رسول الله ألنا أجر في البهائم؟ فقال: نعم، وفي كل ذات كبد رطب أجر.

فصل: ومن فعله في الطب

١- كان (ﷺ) إذا نزل عليه الوحي صدع، فغلف رأسه بالحناء.

٢- وكان (ﷺ) يداوي ما يكون في جسده من بثر أو غيره بالحناء يضعه عليها.

٣- وكان (ﷺ) إذا اشتكى شيئًا جمع يديه وقرأ فيهما بالمعوذات وتفل فيهما، ثم ردهما على وجه.

٤- وكان (ﷺ) إذا جاءه من به قرحة قد أعياه برؤها، أخذ (ﷺ) بأصبعه من ريقه فوضعها على الأرض فحملت من التراب ما حملت، فوضعها على القرحة ثم يقول: بسم الله، ريقة بعضنا، بتربة أرضنا، تشفي سقيمنا، بإذن الله.

٥- وكان (ﷺ) ربما يأمر عائشة بأن تعوذه فتقول: أذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاؤك لا يغادر سقمًا، ثم تمسح بيد رسول الله (ﷺ) على جسده رجاء بركتها.

٦- وكان (ﷺ) إذا دخل على مريض لم يحضر أجله قال:

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، سبع مرات فعوفي.

وقل ما يقال عند مريض في أجله تأخير إلا برئ.

٧- وكان (ﷺ) يأكل هو وأصحابه تمرًا، فجاء صهيب وقد غطى على عينه وهو أرمد فسلم، فأهوى فوضع يده في التمر يأكل، فقال (ﷺ): تأكل الحلوى وأنت أرمد؟ فقال: يا رسول الله إنما آكل بشق عيني الصحيحة. فضحك (ﷺ) وتركه يأكل.

٨- وكان (ﷺ) يأكل الرطب يومًا فجاء علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وهو أرمد فدنا يأكل، فقال رسول الله (ﷺ): أتأكل الحلوى وأنت أرمد؟

فتنحى ناحية، فنظر إليه رسول الله (ﷺ) وهو ينظر إليه فرمى إليه برطبة فأكلها، ثم أخرى حتى رمى إليه بسبع، ثم قال: حسبك فإنه لا يضر ما أكل من التمر وترًا، وجاءوا ببقلة يقال لها: بقلة الأنصار، فوضعت بين أيديهم، فأكل هو وأصحابه ثم قال: يا أبا الحسن، إن كنت آكلاً فمن هذه.

قوله: «حسبك»:

من حديث جعفر بن محمد، عن أبيه، إلا أنه قال: وعليٌّ محموم، ثم قال الذهبي: وذلك لأن التمر فيه حرارة تضر أصحاب الحميات وتورثهم الصداع والعطش، فإذا أخذ منه القليل لم يكن له تلك المضرة.

من حديث أم المنذر الأنصارية قالت: دخل عليّ رسول الله (ﷺ) ومعه عليٌّ،

وعليٌّ ناقه من مرض، ولنا دوال معلقة، فقام رسول الله (ﷺ) يأكل منها، وقام علي يأكل منها، فطفق النبي (ﷺ) يقول لعلي: مه إنك ناقه، حتى كَفَّ، قالت: وصنعت شعيرًا وسلقًا فجئت به، قال: قال النبي (ﷺ) لعليّ: من هذا أصب، فهو أنفع لك.

٩- وكان (ﷺ) يعوذ الحسن والحسين (رضي الله عنهما) فيقول: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة.

١٠- وكان (ﷺ) يحب الفأل، ويكره الطيرة.

١١- ويقول: الطيرة شرك، وما منا إلا (ويجد في نفسه) ولكن الله تعالى يذهبه بالتوكل (وما من عبد إلا سيدخل قلبه طيرة)، فإذا هو أحس بذلك فليقل: بسم الله لا قوة إلا بالله، أنا عبد الله، ما شاء الله، لا يأتي بالحسنات إلا الله، ولا يذهب السيئات إلا الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، أشهد أن الله على كل شيء قدير ثم يمضي لوجهه.

١٢- وفي بعض الأخبار: أن رجلاً قام -حين ذكر عليه الصلاة والسلام: لا عدوى ولا طيرة ولا صفر، فقال: يا رسول الله البعير حين يكون فيه الجرب فيعدى الإبل؟ قال (ﷺ) ذلك القدر، فمن أجرب الأول الأول.

١٣- على أنه رُوي أنه عليه الصلاة والسلام قال لمجذوم: ارجع فقد بايعناك، ولم يصافحه.

قال أبو سعد (رحمه الله): كان هذا في بدء الإسلام، فأراد (ﷺ) بذلك أن يحفظ قلوب القوم مخافة أن يصافحهم فيدخلهم منه شيء ولم يخف على نفسه (ﷺ) والله أعلم.

ومن السنة ألا يديم الحجامة، قال (ﷺ): لما عرج بي، ما مررت بسماء إلا

قالوا: مر أمتك بالحجامة.

فصل: ذكر آداب متفرقة ومن السنة أن يأخذ بالفضل ما أمكنه

١- لما روي أن النبي (ﷺ) قال: من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربه من كرب الآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

٢- ومن السنة أن لا يمنع الماعون -وهو: ما يحتاج إليه جيرانه وعدموه عند أنفسهم كالقدر والفأس، والمغرفة وأشباهها.

وقوله: أن لا يمنع الماعون.

من حديث أبي وائل، عن ابن مسعود قال: كل معروف صدقة، كنا نعد الماعون على عهد رسول الله (ﷺ) عارية الدلو والقدر.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث عابد بن ربيعة أنهم وفدوا إلى رسول الله (ﷺ) فقالوا: يا رسول الله ما تعهد إلينا؟ قال (ﷺ): لا تمنعون الماعون، قالوا: يا رسول الله وما الماعون؟ قال (ﷺ): في الحجر وفي الحديدة وفي الماء، قالوا: فأي الحديدة؟ قال (ﷺ): قدوركم النحاس، وحديد الفأس الذي تمتهنون به، قالوا: وما الحجر؟ قال (ﷺ): قدوركم الحجارة.

٣- ومن السنة أن لا يكتم علمًا ولا يمنعه عن أهله، لأن النبي (ﷺ) قال: من كان عنده علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار.

٤- ويخالط الناس، لما قال عليه الصلاة والسلام: المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم.

٥- ولا يدخل على أحد إلا بإذن.

٦- ومن السنة أن يسلِّم قبل الدخول.

٧- ولا ينظر ولا يطَّلع إلا بإذنهم، ولما رُوي عن النبي (ﷺ) أنه قال: من اطلع في دار قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه فلا دية ولا قصاص وقوله: من اطلع في دار قوم، أخرجه البخاري في الديات، باب من أخذ حقه، أو اقتص دون السلطان وفي باب من اطلع في بيت قوم ففقأوا عينه فلا دية له، ومسلم في الآداب باب تحريم النظر في بيت غيره بلفظ. لو أن أمرءًا اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه، لم يكن عليك جناح.

٨- ويجتنب أن يروي عن رسول الله (ﷺ) شيئًا لم يسمعه، لما رُوي أنه قال (ﷺ): من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار.

٩- ويجتنب الكذب واللهو والغيبة والنميمة والخوض في النجوم، لما روي أن رسول الله (ﷺ). قال: لست من دد ولا الدد مني. يعني: الطرب واللهو.

١٠- عن البراء بن عازب قال: خطبنا رسول الله (ﷺ) بأعلى صوته حتى أسمع العواتق في الخدور: يا معشر من آمن بلسانه، ولم يخلص الإيمان في قلبه، اتقوا الله ولا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته.

١١- وقال (ﷺ): الكذب مجانب الإيمان.

١٢- وقال (ﷺ): من اقتبس علمًا من النجوم، اقتبس شعبة من السحر.

١٣- ويكره المدح في الوجه، لما روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: احثوا في وجوه المدَّاحين التراب.

١٤- ويقول (ﷺ): إن كان أحدكم مادحًا أخاه لا محالة فليقل: أحسب،

ولا أزكي على الله أحدًا.

١٥- ومن السنة أن يشاور في المهم، لما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: لن يهلك رجل بعد مشورة.

١٦- ومن السنة أن لا يسب شيئًا ولا يلعن، لما روي أن رسول الله (ﷺ) كان في سفر فهبت ريح فكشفت عن رجل قطيفة فلعنها، فقال رسول الله (ﷺ): لعنتها؟ قال: يا رسول الله كشفت قطيفتي، فقال: إذ رأيتها فاسأل الله من خيرها، وتعوذ من شرها، ولا تلعنها فإنها مأمورة.

١٧- ويستحب أن لا يسافر وحده أو يبيت في بيت وحده، لما روي أن رسول الله (ﷺ) قال: لو يعلم أحدكم ماله في الوحدة ما سار أحد بليل.

١٨- ويكره التطير، لما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه نهى عن الطيرة.

١٩- وقال (ﷺ): الطيرة شرك، وما منا إلا (ويجد في نفسه) ولكن الله يذهبه بالتوكل.

٢٠- ومن السنة أن يؤخذ برخص الله، لما روي أن النبي (ﷺ) قال: إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه.

٢١- ومن السنة ألا يكون جبانًا ولا بخيلاً ولا منانًا، لما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية ويحب السماحة ولو على تمرة.

أما قوله: إن الله يحب الشجاعة.

فعن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال لي الزبير بن العوام: مررت برسول الله (ﷺ) فجذب عمامتي بيده فالتفت إليه، فقال: يا زبير إن باب الرزق مفتوح من لدن العرش إلى قرار بطن الأرض، فيرزق الله كل عبد على قدر همته، يا زبير

إن الله يحب السخاء ولو بفلقة تمرة، ويحب الشجاعة ولو بقتل الحية والعقرب.

٢٢- وقال (ﷺ): لا يدخل الجنة منَّان.

٢٣- وقال عبد الله بن سلام: لما قدم رسول الله (ﷺ) المدينة انجفل الناس إليه، قال: فأتيته فلما نظرت إليه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. فكان أول شيء سمعته يقول: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، وتمامه: تدخلوا الجنة بسلام.

٢٤- وروي أن رجلاً جاء إلى رسول الله (ﷺ) فقال: علمني عملًا يدخلني الجنة وينجيني من النار، قال: تقول العدل، وتعطي الفضل، قال: ومن يطيق ذلك؟ قال: تطعم الطعام، وتفشي السلام، قال: ومن يطيق ذلك؟ قال (ﷺ): هل لك إبل؟ قال: نعم، قال: فانظر إلى بعير منها وسقاء وإلى أهل بيت لا يشربون الماء إلَّا غبًا، قال (ﷺ): فلعله أن لا يهلك بعيرك، ولا ينخرق سقاؤك حتى تجب لك الجنة، فأدبر الرجل وهو يكبر.

٢٥- وروي: أن السلام اسم من أسماء الله تعالى مقدس، وضعه بين أهل الأرض، وما بينه وبين اسم الله الأعظم إلا كقرب سواد العين من بياضها، وهو تحية الملائكة المقربين للمؤمنين، قال الله (عز وجل): ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ (الرعد: ٢٣، ٢٤).

وأما في قوله: إن السلام اسم من أسماء الله.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): إن السلام اسم من أسماء الله فأفشوه بينكم.

٢٦-وقال ابن عباس: من كرم الرجل سلامه على من يعرفه، ومن لا يعرفه، السلام أحب الأشياء إلى الله تبارك وتعالى، وهو سنة لآدم وولده والأنبياء من

بعده، وإن إبليس ليبكي من سلام ابن آدم على أخيه، ويقول: يا ويله، لم يتفرقا حتى غفر لهما.

وجاء معاذ بن جبل الشام فرأى النصارى تسجد لبطارقتها، قال: فقلت: لأي شيء تصنعون ذلك؟ قالو: هذا كان تحية الأنبياء قبلنا، فقلت: نحن أحق أن نصنع هذا بنبينا، فقال رسول الله (ﷺ): إنهم كذبوا على أنبيائهم وحرفوا كتابهم، إن الله (عز وجل) أبدلنا خيرًا من ذلك: السلام تحية أهل الجنة.

٢٧- وقال رسول الله (ﷺ) من سلم على أخيه كتب الله له عشرين حسنة، وكتب للراد عشر حسنات.

وقوله: وكتب الله له عشرين حسنة.

فعن عمران بن حصين قال: جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال: السلام عليكم، فرد عليه وقال (ﷺ): عشر، ثم جاء رجل فسلم فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه وقال (ﷺ): عشرون، ثم جاء رجل فسلم فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه، وقال (ﷺ): ثلاثون.

٢٨- ورُوي عن رسول الله (ﷺ) إذ سئل: أينحني بعضنا لبعض إذا التقينا؟ قال (ﷺ): لا، قيل: أيصافح بعضنا بعضًا؟ قال (ﷺ): نعم.

٢٩- ورُوي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا لم يفترقا حتى يغفر لهما.

ومن طريق أبي بلج عن زيد: إذا التقى المسلمان فتصافحا، وحمدا الله (عز وجل) واستغفراه، غفر لهما.

وقال البراء: لقيني رسول الله (ﷺ) فأخذ بيدي فصافحني، فقلت: يا رسول الله إن كنت أحسب المصافحة إلا في العجم، قال: نحن أحق بالمصافحة منهم،

ما من مسلمين يلتقيان فيأخذ أحدهما بيد صاحبه بمودة ونصيحة، إلا ألقى الله ذنوبهما.

وعن أنس مرفوعًا: ما من عبدين -أو مؤمنين- متحابين في الله يستقبل أحدهما صاحبه فيتصافحان ويصليان على النبي (ﷺ): إلا لم يفترقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر، ليس في كل الروايات ذكر الصلاة على النبي (ﷺ).

وأما حديث سلمان الفارسي، أن النبي (ﷺ) قال: إن المسلم إذا لقي أخاه فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما، كما يتحات الورق اليابس عن الشجر في يوم عاصف وإلا غفر لهما، وإن كانت ذنوبهما مثل زبد البحر.

٣٠- وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال: المصافحة تسل السخيمة.

وحديث أم حكيم بنت وداع الخزاعية أنها قالت: سألت رسول الله (ﷺ): إيش الذي يصلح للغني من الفقير؟ قال: النصيحة والدعاء، قلت: نكره رد اللطف؟ قال: ما أقبحه، لو أهدي إلى كراع لقبلت، ولو دعيت إلى ذراع لأجبت، قالت: وسمعت رسول الله (ﷺ) يقول: تهادوا فإن الهدية تزيد القلب حبًا، وتذهب بغوائل الصدر.

٣٢- وروي عن الحسن أنه قال: تصافحوا فإنه يزيد في المودة.

٣٣- وروي أن الصحابة كانوا إذا صافح بعضهم بعضًا قرأوا: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ (العصر: ١، ٢) فروي أنها سنة.

٣٤- وروي عن بعضهم: أنه أمان من العذاب، ولم يفشه قوم إلا أمنوا من العذاب.

٣٥- وروي سعيد بن علقمة بن الحارث، عن أبيه علقمة بن الحارث قال:

قدمت على رسول الله (ﷺ) وأنا سابع سبعة من قومي، فسلمنا على رسول الله (ﷺ) فرد علينا، فكلمناه فاعجبه كلامنا فقال (ﷺ): من أنتم؟ قلنا: مؤمنون، قال (ﷺ): لكل إيمان حقيقة، فما حقيقة إيمانكم؟ قلنا خمس عشرة خصلة، خمس أمرتنا بها، وخمس أمرتنا بها رسلك، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية، ونحن عليها إلا أن تنهانا يا رسول الله.

قال رسول الله (ﷺ): وما الخمس التي أمرتكم بها؟ قالوا: أمرتنا أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره.

قال (ﷺ): وما الخمس التي أمرتكم بها رسلي؟

قلنا: أمرتنا رسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، ونقيم الصلاة المكتوبة، ونؤدي الزكاة المفروضة، ونصوم شهر رمضان، ونحج البيت إن استطعنا إليه سبيلاً.

قال (ﷺ): وما الخصال التي تخلقتم بها في الجاهلية؟ قلنا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصدق في مواطن اللقاء، والرضا لمر القضاء، وترك الشماتة إذا حلت بالأعداء.

فقال رسول الله (ﷺ): فقهاء، أدباء، كادوا يكونون أنبياء من خصال ما أشرفها، وتبسم إلينا ثم قال: وأنا أوصيكم بخمس خصال يكمل الله لكم خصال الخير، لا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا فيما غداً عنه تزولون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون، وعليه تقدمون، وارغبوا فيما إليه تصيرون، وفيه تخلدون.

٣٦- وكان (ﷺ) تمنع عن الهجران، ويحث على التواصل، وقال (ﷺ): لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث.

٣٧- وكان رسول الله (ﷺ) يقول: ومن بدأ بالسلام فهو أولى بالله ورسوله.

٣٨- وقال (ﷺ): من هجر أخاه فوق ثلاث فهو في النار.

٣٩- وكان رسول الله (ﷺ) يذم الغضب، وقال (ﷺ): ما تعدون الصرعة فيكم أو الشدة؟ قالوا: الذي لا يصرعه الرجال، قال (ﷺ): لا، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب.

٤٠- وتنازع رجلان عند رسول الله (ﷺ) حتى انتفخت أوداج أحدهما واحمرت عيناه، فقال (ﷺ) إني لأعرف كلمة لو قالها هذا الغضبان لذهب غضبه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٤١- وجاءه رجل فقال: علمني عملاً أدخل به الجنة؟ قال (ﷺ): لا تغضب.

٤٢- وكان فعله (ﷺ) الرفق، وقال (ﷺ): لا يدخل الرفق في شيء إلا زانه، ولا يفارق شيئًا إلا شانه.

٤٣- وقال في بعض كلامه لعائشة (رضي الله عنها): اعلمي أن الرفق لم يدخل في شيء قط إلا زانه، ولم يفارق شيئًا قط إلا شانه.

٤٤- ورُوي أن جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله (ﷺ)، فقالوا: السام عليك يا محمد، فقال (ﷺ): وعليكم، فسمعت عائشة (رضي الله عنها) فقالت: عليكم السام أو البرسام، فقال (ﷺ) مهلاً يا عائشة، فإن الرفق ما دخل في شيء إلا زانه، وما دخل العنف في شيء إلا شانه.

وقوله: «السام والبرسام».

كذا في الأصول، وفي رواية البخاري: السام واللعنة في الرواية مسلم: السام والذام -لغة في الذم- فأما البرسام فهي العلة كما في اللسان: البرسام: علة معروفة وقد برسم الرجل فهو مبرسم: إذا كان معلولاً.

٤٥- وحملت إلى رسول الله (ﷺ) جفنة من عند أم سلمة -ثريدًا أو طعامًا- فرمته عائشة وكسرتها، فجعل رسول الله (ﷺ) يجمع ذلك في جفنة ويقول: غارت أمكم، غارت أمكم.

٤٦- وكان (ﷺ) يحث على الرفق بالولد وغيره، وقال: من كان له ثلاث بنات، يكفيهن ويرحمهن ويرفق بهن فهو في الجنة.

٤٧- وقال (ﷺ) من كانت له أنثى فلم يئدها، ولم يهنها، ولم يؤثر ولده عليها -يعني: الذكور- أدخله الله الجنة وقال (ﷺ) من كانت له أختان -أو بنتان- فأحسن إليهما كنت أنا وهو كهاتين -يعني السبابة والوسطى وفي بعض الأخبار وإن كانت واحدة.

قوله: «وفي بعض الأخبار».

عن أبي هريرة: من كانت له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وعلى ضرائهن دخل الجنة، وفي رواية محمد بن يونس: فقال رجل: يا رسول الله وابنتين؟ قال: وابنتين، قال: يا رسول الله وواحدة؟ قال: وواحدة.

٤٨- وروي أن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أو غيره -رجع من اليمن، وكانوا قبل ذلك يتكلمون في الصلاة، قال: أدركت الصلاة وهم يصلون، فقلت: كم صليتم؟ فجعلوا ينظرون إليّ شذرًا، ويضربون أفخاذهم، فخشيت أنه نزل فيّ قرآن، فلما سلم رسول الله (ﷺ) دعاني فما ضربني ولا نهرني بأبي وأمي ما رأيت معلمًا أحسن تأديبًا منه، فقال: إنما جعلت الصلاة للتهليل والتسبيح والتحميد.

قوله: «فقلت: كم صليتم»:

وحديث معاوية عند مسلم نحو هذا، فعن معاوية بن الحكم السلمي قال:

بينا أنا أصلي مع رسول الله (ﷺ) إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمّياه ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكت، فلما صلى رسول الله (ﷺ) فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن.

٤٩- وروي أن بعض الأعراب دخل مسجد رسول الله (ﷺ) فبال: فهمَّ أصحابه بضربه فقال النبي (ﷺ): لا تقطعوا عليه بوله وارفقوا به، فلما فرغ دعاه فقال: إنما بني هذا المسجد للصلاة فيه، فأمر بذنوب من ماء فصب على بوله، فخرج الرجل من عنده وقال: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فقال رسول الله (ﷺ) للأعرابي لقد حجّرت واسعًا .

فصل: وما نقم رسول الله (ﷺ) على أحد من الناس في شيء فعرف به

ولقد كان عمه العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب في العفو عن أهل مكة ليلة أُسِر أبو سفيان وأسلم، فقال العباس: بأبي أنت وأمي هم عشيرتك وبيضتك التي تفلَّقت عنك، وهم الأعمام والأخوال، والآباء والأبناء، لو قد بدأت بهم فعفوت عن وفدهم، وهذا أبو سفيان ذو شرف وسن فاصنع إليه شيئًا ينال به ذكرًا، فقال رسول الله (ﷺ): مروا صائحًا يصيح: ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

فقال أبو سفيان: بأبي وأمي، وما داري؟ إنما هي مربض العنز، ولكن آمن قومك حيث كانوا، فقال (ﷺ): من وضع السلاح فهو آمن، ومن أتى المجلس فجلس فيه فهو آمن، ومن كف يده فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن فأعطاهما النبي (ﷺ) كل ما طلباه.

فصل: وكان (ﷺ) أسرع الناس إلى العفو والبر وأولاهم به (ﷺ)

١- روي أن رجلاً أتى رسول الله (ﷺ) بمزود له فقال: املأ هذا تمرًا وهذا سويقًا، لست تعطي من مالك ولا من مال أبيك، فقال (ﷺ): أعد، كيف قلت؟ فأعاد الرجل كلامه، فقال (ﷺ): املأوا هذا تمرًا وهذا سويقًا، لست أعطي من مالي ولا من مال أبي.

قوله: «بمزود له».

على بعيرين، أخرجه أبو داود في الأدب، باب في الحلم وأخلاق النبي (ﷺ)، والنسائي في القسامة من السنن الكبرى، باب القوة من الجبذة، واللفظ له عن أبي هريرة قال: كنا نقعد مع رسول الله (ﷺ) في المسجد، فإذا قام قمنا معه، فقام يومًا فقمنا معه، حتى لما بلغ وسط المسجد أدركه أعرابي فجبذ بردائه من ورائه، وكان رداؤه خشنًا فحمَّر رقبته فقال: يا محمد احمل لي على بعيري هذين، فإنك لا تحمل من مالك ولا من مال أبيك، فقال رسول الله (ﷺ): لا واستغفر الله، لا أحمل لك حتى تقيد لي مما جبذت برقبتي، فقال الأعرابي لا والله لا أقيدك، فقال رسول الله (ﷺ) ذلك ثلاث مرات كل ذلك يقول: لا والله لا أقيدك، فلما سمعنا قول الأعرابي أقبلنا إليه سراعًا، فالتفت إلينا رسول الله (ﷺ) فقال: عزمت على من سمع كلامي أن لا يبرح مقامي حتى آذن له، فقال رسول الله (ﷺ) لرجل من القوم: يا فلان أحمل له على بعير شعيرًا، وعلى بعير تمرًا، ثم قال رسول الله (ﷺ): انصرفوا.

٢- وجاء رجل إلى رسول الله (ﷺ)، فقال: احملني فقال (ﷺ): لا أحملك، قال: لابد أن تحملني، قال: والله لا أحملك.

فولى الرجل وآيس، والرجل هو أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) فقال رسول الله

(ﷺ): ائتوني به لأحمله، فقيل: يا رسول الله حلفت ألا تحمله، قال (ﷺ): إني إذا حلفت على يمين فرأيت أن أغيرها خيرًا منها كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير.

٣- وسأله رجل فقال: ما أجد ما أعطيك، فولى الرجل عنه وهو مغضب وهو يقول: أما إنك تعطي مَنْ شئت، فأقبل النبي (ﷺ) على الناس وقال: يغضب أحدكم إذا لم أجد ما أعطيه يومًا.

٤- وقسم رسول الله (ﷺ) قسمًا فقال رجل: هذا قسم ما أريد به وجه الله تعالى، فغضب النبي (ﷺ) ثم نظر إلى الرجل فقال (ﷺ) يرحم الله أخي موسى، قد كان يؤذى بأشد من هذا فصبر.

٥- وخرج عكرمة بن أبي جهل حين افتتح رسول الله (ﷺ) مكة هاربًا إلى اليمن، فخرج من أهله من يخبره بكرم رسول الله (ﷺ) وعفوه، وأنه لا يثرب على أحد شيئًا ولا يؤاخذه بما مضى، فرجع حتى دخل المسجد الحرام وهو خائف، فلما نظر إليه رسول الله (ﷺ) قام إليه ونشر رداءه حتى استقبله وقبَّل بين عينيه، استئلافًا وكرمًا وعفوًا. فقال عكرمة: ما فارقت رسول الله (ﷺ) حتى كان أحب إليَّ من النفس والولد والوالد، ثم أسلم وحسن إسلامه حتى استشهد يوم أجنادين.

قوله: «فخرج من أهله من يخبره».

روى الواقدي في مغازيه ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه أن زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام استأمنت له، فأمنه رسول الله (ﷺ) فأدركته باليمن فردته إلى رسول الله (ﷺ)، وقالت له: يا ابن عم جئتك من عند أوصل الناس، وأبر الناس، وخير الناس.

وقوله: «ونشر رداءه».

وفي رواية ابن عساكر، فلما رأى رسول الله (ﷺ) عكرمة وثب إليه وما على رسول الله رداء -كذا- فرحًا بعكرمة.

٦- وروي أن بعض المتصلين بأبي جهل جاء إلى رسول الله (ﷺ) فقال: إنا نؤذى في الأسواق، فصعد رسول الله (ﷺ) المنبر وقال: لا تسبوا الأموات فتحزنوا به الأحياء.

وقوله: «بعض المتصلين بأبي جهل».

هو عكرمة بن أبي جهل، لما قدم المدنية جعل الناس يتنادون: هذا ابن أبي جهل، هذا ابن أبي جهل، فانطلق هو أولاً حتى دخل على أم سلمة زوج النبي (ﷺ) فقالت له أم سلمة: مالك، وما شأنك؟ قال: ما شأني؟! لا أخرج في طريق ولا سوق إلا تنادوا بي: هذا ابن أبي جهل، هذا ابن أبي جهل، قال: ودخل رسول الله (ﷺ) خلال ذلك فذكرت ذلك له أم سلمة، فقال رسول الله (ﷺ) في مقالته: ما بال أقوام يؤذون الأحياء بشتم الأموات، ألا لا تؤذوا الأحياء بشتم الأموات.

٧- وأمر (ﷺ) في بعض أسفاره بلالًا أن يرقب لهم الفجر، فنام بلال، فلم يشعر النبي (ﷺ) ولا أصحابه حتى أصابتهم الشمس، فقال الناس: ماذا صنعت بنا يا بلال؟ فجعل رسول الله (ﷺ) يعذره ويقول: إن بلالًا أتاه الشيطان وهو يرقب لكم الفجر فأخذ يهديه كما يهدي الصبي حتى نام، فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله.

وقوله: أشهد أنك رسول الله.

لعلمه أن النبي (ﷺ) إنما نام ليسن لأمته من بعده فهو من الباب الذي أخبر عنه (ﷺ): إني لأنسى أو أُنسى لأسن، فقد ثبت عنه (ﷺ) أنه قال:

إن عيني تنامان ولا ينام قلبي، قال ابن عبد البر: الذي كانت عليه جبلته وعادته (ﷺ) أن لا يخامر النوم قلبه، ولا يخالط نفسه، إنما كانت تنام عينه، قال: فلما أراد الله منه ما أراد ليبين لأمته (ﷺ) قبض روحه وروح من معه ليبين لهم مراده على لسان نبيه (ﷺ) وعلى هذا التأويل جماعة أهل الفقه والأثر.

٨- وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له (ﷺ) بالبركة أو يسميه، فيأخذه (ﷺ) فيضعه في حجره تكرمة لأهله، فربما بال الصبي عليه فيصيح بعض من رآه حين بال، فيقول (ﷺ): لا تزرموا الصبي، فيدعه حتى يقضي بوله، ثم يدعو له أو يسميه إياه فيبلغ سرور أهله فيه، ولا يرون إنه تأذى ببول صبيهم، فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعد، وأتبع ذلك البول الماء.

وقوله: «وكان يؤتى بالصبي الصغير».

أخرج مسلم في الطهارة، باب حكم بول الطفل من حديث عائشة أن رسول الله (ﷺ) كان يؤتى بالصبيان فيبرّك عليهم ويحنكهم، فأتي بالصبي فبال عليه، فدعا بماء، فأتبعه بوله ولم يغسله، وهو عند الإمام البخاري في الوضوء، باب بول الصبيان بلفظ أخصر منه.

قوله: لا تزرموا الصبي.

الإزرام: القطع، يريد: لا تقطعوا عليه بوله.

٩- ومشى رسول الله (ﷺ) إلى ابن عباس حين ولد فأخذ بفقميه، ثم مج في فيه من ريقه (ﷺ) ثم قال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، فحنكه بأفضل ما حنك به أحد من الناس بريق النبوة وكان ابن عباس غاية في الفقه والمعرفة بالتأويل.

١٠- وجاءت عائشة (رضي الله عنها) بابن الزبير حين ولد فحنكه رسول الله (ﷺ)

بثلاث لعق من عسل.

١١- وكان (ﷺ) يحنك الصبيان بالتمر أيضًا قوله: «وكان (ﷺ) يحنك الصبيان بالتمر أيضًا».

شاهده في الصحيحين وكذا من حديث أبي موسى قال: ولد لي غلام فأتيت النبي (ﷺ) فسماه إبراهيم، فحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إليّ، وكان أكبر ولد أبي موسى، ومن حديث أنس قصة وفاة ابن أبي طلحة ثم ما رزقهما الله ببركة دعوته (ﷺ) حين ولدت له غلامًا، فقال أبو طلحة لأنس: احمله حتى تأتي به النبي (ﷺ) فأتى به النبي (ﷺ) وبعثت معه بتمرات فأخذه النبي (ﷺ) فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها في فيّ الصبي، ثم حنكه وسماه عبد الله.

١٢- وكان من أفعاله (ﷺ) ألا يدع العقيقة عن المولود من أهله ويأمر بثلاث: حلق رأس ذلك الصبي.. وأن يتصدق عنه بوزن شعره فضلة.

وقوله: «ويأمر بثلاث».

أخرج البخاري في العقيقة من صحيحة من حديث سلمان بن عامر قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دماً، وأميطوا عنه الأذى. .

قوله: «وأن يتصدق عنه بوزن شعره فضلة».

ومن حديث علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: عق رسول الله (ﷺ) عن الحسين بشاة وقال: يا فاطمة احلقي رأسه، وتصدقي بزنة شعره فضة، قال: فوزنته فكان وزنه درهمًا أو بعض درهم.

١٣- ولقد عق (ﷺ) عن نفسه بعدما جاءته النبوة:

وعن أنس بن مالك أن النبي (ﷺ) عق عن نفسه بعد ما جاءته النبوة.

فصل: في كرمه (ﷺ) مع أصحابه وإكرامه لهم ومكافأته لمحسنهم وتجاوزه عن المسيء منهم.

١- ولقد كافأ (ﷺ) الأنصار بإكرامهم إياه، فقال: إذا لقيتم الأنصار فأجلُّوهم، فإنه طالما تنعمت بينهم.

قوله: «فإنه طالما تنعمت بينهم».

وصيته (ﷺ) بالأنصار مخرجة في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي (ﷺ) خطب في الأنصار فقال: يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالًا فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى الله ورسوله آمن وأفضل، قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار، قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله، ولله ولرسوله المن والفضل، قال: أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم وصُدِّقتم: أتيتنا مكذبًا فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلًا فأغنيناك.

٢- وقال (ﷺ): من ولي من أمور الناس شيئًا فليحفظني في الأنصار وليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، فكافأهم (ﷺ) بأعظم المكافأة، وأبقاها لهم ذكرًا وشرفًا.

وقوله: «فليحفظني في الأنصار».

عن أبي سعيد الخدري قال: قام النبي (ﷺ) على المنبر، وثاب الناس إليه حتى امتلأ المسجد، قال: فتشهد رسول الله (ﷺ) حتى إذا فرغ قال: يا أيها الناس إن الأنصار عيبتي ونعلي وكرشي التي آكل فيها فاحفظوني فيهم،

اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا من مسيئهم.

٣- وجاء عثمان بن عفان يومًا يطلب النبي (ﷺ) فقالت عائشة: ما أدري أين ذهب؟ ولقد خرج وإنه لمحتاج إلى الطعام، فذهب عثمان فاشترى كبشًا سمينًا، فأمر به فذبح وطبخ، وأمر بخبز فجعل في جفنتين ثم صب فيهما مرق ذلك الكبش ولحمه، ثم حملهما إلى عائشة (رضي الله عنها)، فرجع رسول الله (ﷺ) وهو محتاج إلى الطعام، والطعام على حاله، فكشفت له عائشة الجفنتين فقال: ما هذا؟ فأخبرته خبر عثمان، فتقدم إلى القبلة ورفع يديه مادًا ويقول: اللهم لا تنسه، ثلاث مرات، فكافأه (ﷺ) حين تفقد أمره بأعظم المكافأة.

قوله: «اللهم لا تنسه»:

إنما قال النبي (ﷺ) نحو هذا لعثمان عندما جهز جيش العسرة، فأما في هذه القصة فكانت دعوته له: اللهم إن عثمان يترضاك فارض عنه، وفي رواية: أن النبي (ﷺ) لم يزل يدعو له من أول الليل حتى طلع الفجر، رافعًا يديه يدعو: اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه، أخرجه ابن عساكر في تاريخه من طرق.

٤- وساير رسول الله (ﷺ) جابر بن عبد الله على جمل له فقال:

بعني جملك، فقال: هو لك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال: بل بعنيه، فباعه إياه، فأمر بلالًا أن ينقده الثمن فنقده، ثم قال جابر: قد أخذت الثمن بأبي وأمي أنت يا رسول الله فإلى من أدفع الجمل؟ فقال: اذهب بالجمل والثمن، بارك الله لك فيهما، مكافأة لقول جابر: بل هو لك بأبي أنت وأمي، فأعطاه الثمن ورد إليه الجمل وزاده خيرًا منهما: الدعاء فيهما.

قوله: «وساير رسول الله (ﷺ)»:

قصة جمل جابر بن عبد الله مخرجة في الصحيحين، وهذا لفظ مسلم في البيوع والمساقاة، باب بيع البعير واستثناء ركوبه: قال جابر: غزوت مع رسول الله (ﷺ) فتلاحق بي وتحتي ناضح لي قد أعيا ولا يكاد يسير، قال: فقال لي: ما لبعيرك؟ قال: قلت: عليل، قال: فتخلف رسول الله (ﷺ) فزجره ودعا له، قال: فما زال بين يدي الإبل قدامها يسير، قال: فقال لي: كيف ترى بعيرك؟ قال: قلت: بخير، قد أصابته بركتك، قال: أفتبيعنيه؟ قال: فاستحييت، ولم يكن لنا ناضح غيره، قال: فقلت: نعم، فبعته إياه على أن لي فقار ظهره حتى أبلغ المدينة... الحديث، وفيه قصة زواجه... إلى أن قال: فلما قدم رسول الله (ﷺ) المدينة غدوت إليه بالبعير فأعطاني ثمنه ورده عليّ، وفي رواية أخرى عندهما: فلما قدمت المدينة أتيته به فزادني أوقية ثم وهبه لي، وفي رواية أخرى أيضًا عندهما فقال: يا جابر أتوفيت الثمن؟ قال: قلت: نعم، قال: لك الثمن ولك الجمل، لك الثمن ولك الجمل، وفي رواية فقال رسول الله (ﷺ) لبلال: أعطه أوقية من ذهب وزده، فأعطاني أوقية من ذهب وزادني قيراطًا، قال: فقلت: لا تفارقني زيادة رسول الله (ﷺ): قال: فكان في كيس لي فأخذه أهل الشام يوم الحرة.

ووقع في رواية للإمام أحمد من طريق أبي هبيرة، عن جابر قال: فمررت برجل من اليهود فأخبرته قال: فجعل يتعجب، فقال: اشترى منك البعير ودفع إليك الثمن ووهبه لك؟! قال: قلت: نعم.

وفي الحديث معجزة ظاهرة للنبي (ﷺ) لما حصل في الجمل وتغير حاله، قال الحافظ في الفتح: آل أمر جمل جابر لما تقدم له من بركة النبي (ﷺ) إلى مآل حسن، فرأيت في ترجمة جابر من تاريخ ابن عساكر بسنده إلى

أبي الزبير عنه قال: فأقام الجمل عندي زمان النبي (ﷺ) وأبي بكر وعمر فعجز فأتيت به عمر فعرَّفت قصته، فقال: اجعله في إبل الصدقة وفي أطيب المراعي، ففعل به ذلك إلى أن مات. اهـ.

وفيه رفقه (ﷺ) بحال جابر، وسخائه (ﷺ) مع أصحابه والناس.

٥- وكان رجل بالمدينة يقال له: عبد الله، ويلقب: حمار، يأتي رسول الله (ﷺ) بالباكورة أول ما يدخل المدينة مثل اللبن والجبن والرطب أو الشيء الظريف أول ما يدرك فيقول: بأبي وأمي أنت، هذا أول ما يدخل المدينة فجئت به أهديه لك فيأمر به فيؤخذ، فإذا كان بالعشي حين يروح الركبان طلع على رسول الله (ﷺ) فقال: هذا صاحب السلعة التي أهديت لك يطلب ثمنها وليس هو عندي، فيضحك رسول الله (ﷺ) ثم يأمر فيعطي ذلك عنه، حتى أتى به قد شرب شرابًا فأمر به فصنع به مثل ما يصنع بمثله، فقال رجل من الناس: عليك غضب الله أبعد ما نزلت من رسول الله (ﷺ) المنزلة صنعت هذا؟ فقال (ﷺ): لا تؤذه فإنه ما علمت، قد كان يحب الله ورسوله، فأخذ (ﷺ) منه وحفظ حرمته، وأجمل المقال، ثم ما بكَّته بشيء من ذلك ولا أنكر في وجهه.

٦- ودعا للعباس بن عبد المطلب ليلة العقبة حين أخذ له العهد والعقد على الأنصار، ولم يكن معه من أهل بيته ولا من أصحابه أحد غيره، فشكر له ما كان من منابذته للناس فيه، فقال له: سرك الله يا عم في الدنيا والآخرة، فكافأه في ساعة واحدة من الليل بأن دعا له بسرور الدنيا والآخرة.

٧- وجلس غليم من الأنصار على طريق النبي (ﷺ)، فلما مر إلى الصلاة مر معه، فلما وقف يصلي خلع نعله اليسرى برجله اليمنى فأخذها الصبي فمسحها بإزاره ثم نفخها، وكذلك فعل بنعله اليمنى، فلما فرغ من صلاته وأراد أن ينصرف ناوله الصبي نعله اليمنى فلبسها، ثم أعطاه اليسرى فلبسها،

ثم فعل ذلك أيامًا، فقال له رسول الله (ﷺ): ممن أنت يا غليم؟ قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله من الأنصار، قال: فمن أمرك بهذا؟ قال: ما أمرني به أحد ولكني أحببت أن أتبع سرور رسول الله (ﷺ)، فرفع رسول الله (ﷺ) يده مدًا ثم قال: إنه زعم أنه أراد اتباع سروري فسره في الدنيا والآخرة، يقولها ثلاثًا.

قوله: «ناوله الصبي نعله»:

من حديث عمر بن أبي خليفة قال: سمعت أبا بدر، عن ثابت، عن أنس (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله (ﷺ) جالسًا في حلقة فأراد القيام فقام غلام فناوله نعله، فقال له رسول الله (ﷺ): أردت رضا ربك رضي الله عنك، قال: فكان الغلام يجيء في المدينة حتى استشهد.

وعن أنس، أن النبي (ﷺ) قال ذات يوم لغلام من الأنصار: ناولني نعلي، فقال الغلام: يا نبي الله بأبي أنت وأمي اتركني حتى أجعلهما أنا في رجليك، فقال رسول الله (ﷺ): اللهم إن عبدك هذا يترضَّاك، فارض عنه، أخرجه الطبراني في معجمه الصغير.

٨- وجاءه أبو بكر (رضي الله عنه) بأبيه أبي قحافة يوم فتح مكة ليسلم، فقام إليه رسول الله (ﷺ) وقال: لم عنيت الشيخ يا أبا بكر؟ ألا تركته حتى أنا آتيه في منزله؟ فقال له: بأبي أنت وأمي هو أولى أن يأتي إلى رسول الله (ﷺ)، فأكرم أبا بكر في أبيه، وكلمه بما يحب.

٩- ووعد رسول الله (ﷺ) أبا الهيثم بن التيهان خادمًا، فأتي بثلاثة من السبي، فأعطى اثنين وبقيت واحدة، فجاءته فاطمة تطلب منه وهي تقول: ألا ترى أثر الرحى بيدي يا رسول الله؟ فذكر موعده أبا الهيثم حتى جاءه أبو الهيثم فآثره على فاطمة لما سبق من وعده له.

وقوله: «ووعد رسول الله (ﷺ) أبا الهيثم».

وذلك ليلة خروجهم من بيوتهم، وقد شكوا الجوع، فأضافهم في حائطه وأكرمهم غاية الإكرام وأصل هذه القصة في صحيح مسلم وفيها فلما انصرف رسول الله (ﷺ) فقال لأبي الهيثم: إذا أتانا رفيق فأتنا حتى نأمر لك بخادم، قال: فلبث ما شاء الله ثم أتى بسبي، فأتاه أبو الهيثم فقال له النبي (ﷺ) اختر منهم أيهم شئت.

١٠- وروي أن رسول الله (ﷺ) ابتاع جملاً من رجل ونقده ثمنه ثم خيره (ﷺ) فقال: أيهما أحب إليك الجمل أو الدراهم؟ فقال الرجل عمَّرك الله ممن الرجل؟ فقال: امرؤ من قريش، فقال الرجل: ما رأيت كاليوم قط.

١١- وقالت عائشة (رضي الله عنها) ولقد عفا رسول الله (ﷺ) عن اثنين ما عفا أحد قط عن مثلهما، وما كانت لتحمل العفو عن مثل ذلك في نفسه، لقد سحرته اليهود وجعلت سحرها في بئر بني زريق، حتى أخذه من ذلك السحر، ثم أظهره الله تعالى على ذلك السحر، حتى كان هو الذي حل نفسه، وحتى اعترف بذلك لبيد بن الأعصم وأصحابه، فعفا عنهم. والأخرى أنه عفا عن اليهودية التي سمّته وأرادت نفسه، جعلت له زينب بنت الحارث اليهودية حين افتتح خيبر سُمًا في شاة مصلية، فحملت إليه (ﷺ) فقبل منها، لأنها بنت خالة صفية، فلما تناول الذراع ناداه الذراع: إني مسموم، فألقاه وقال لأصحابه: ارفعوا أيديكم، ففعلوا، ثم أرسل فأُتي بها فقال: سممتي هذه الشاة؟ فقالت: نعم، قلت: إن كان نبيًا لم يضره السم، وإن كان ملكًا استراح الناس منه، فإن كنت نبيًا لا يضرك، وسوف يدفع عنك الذي أرسلك، فأمر بها (ﷺ) فخلى سبيلها، وعفا عنها وما صنعت.

١٢- وبلغ من تذممه (ﷺ) وحفظه الحرمة لأهلها أنه لقيته امرأة سوداء

فوقف لها ورحب بها وألحف مسألتها، فقيل: من هذه يا رسول الله؟ قال: هذه امرأة كانت تأتينا أيام خديجة بمكة وكانت تمشطها، وإن حسن العهد من الإيمان، وكانت تأتيه (ﷺ) بَعد ذلك في منزله (ﷺ).

قوله: «من تذممه».

أي: مراعاته لأصحاب الحقوق.

وقوله: «لقيته امرأة سوداء».

فقال لها رسول الله (ﷺ): من أنت؟ قالت: أنا حنانة المزنية، قال: بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ وكيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟

وقوله: «ألحف مسألتها».

الإلحاف: شدة الإلحاح فقد ألح عليها ليكرمها فهو الإيثار.

قوله: «كانت تأتينا أيام خديجة».

كانت تدخل علينا بمكة، وكانت تمشط خديجة.

وقوله: «وإن حسن العهد من الإيمان».

عن عائشة: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين.

١٣- وكان يأمر بالشاة فتذبح، ثم تقطع أعضاء أعضاء، ثم يتبع بها صدائق خديجة (رضي الله عنها) يهدي لهن بعد موتها بزمان مكافأة لهن.

١٤- وكان (ﷺ) يحث على بر الولد، وحفظ الجار، وقال (ﷺ): رحم الله والدًا أعان ولده على برِّه.

١٥- وكان (ﷺ) يحث على بر الوالدين ويقول: لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه وقال (ﷺ) لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا منان.

فصل: في آداب المجلس

١- من السنة إذا أتى مجلسًا لا يتخطى الرقاب، لما روي أن النبي (ﷺ) قال: إذا أتى أحدكم مجلسًا فليجلس حيث ما انتهى به مجلسه.

ومن حديث جابر بن سمرة قال: كنا إذا انتهينا إلى النبي (ﷺ) جلس أحدنا حيث ينتهي.

٢- ومن السنة أن يوسَّع له في المجلس، عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر، ولكن تفسحوا وتوسعوا.

٣- ولا بأس أن يتحلحل عن مكانه إيجابًا له، لما روي عن بعض الصحابة أنهم قالوا: أتى شاب مجلس رسول الله (ﷺ) وبه مسحة من الجمال، فرفع رسول الله (ﷺ) رداءه حتى جلس عليه، وكان نصرانيًا حينئذ أسلم وهو عدي ابن حاتم.

وقوله: «وهو عدي بن حاتم».

عن عدي قال: ما دخلت على النبي (ﷺ) قط إلا توسع لي -أوتحرك لي-، فدخلت عليه ذات يوم وهو في بيت مملوء من أصحابه فلما رآني توسع لي حتى جلست إلى جانبه.

٤- وربما جاءه (ﷺ) بعض من يأتيه وهو على الوسادة جالس فلا يكون فيها سعة يجلس معه، فينزعها من تحته، ويضعها تحت الذي جلس إليه، فإن

أبى أن يضعها له عزم عليه حتى يفعل.

قوله: ويضعها تحت الذي جلس إليه.

من حديث ابن عمر أنه دخل على النبي (ﷺ) فألقى له وسادة من أدم حشوها ليف، قال: فلم أقعد عليها فبقيت بيني وبينه.

٥- وما جلس إلى رسول الله (ﷺ) أحد فيقوم حتى يقوم الذي جلس إليه إلا أن يستعجله أمر فيستأذن، وعن أنس قال: ما جلس إلى رسول الله (ﷺ) أحد فقام حتى يقوم.

٦- ومن السنة أن يسلم إذا أتاهم، وكذلك إذا قام من عندهم؛ لما روي أن رسول الله (ﷺ) قال: إذا قام أحدكم من مجلسه منصرفًا فليسلم فليست الأولى بأولى من الأخرى.

٧- ولا يقم أخاه من مجلسه ثم يجلس هو فيه، لما روي عنه أنه قال: لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه.

٨- وإذا قام من مجلسه ثم رجع فهو أولى بمكانه، وإذا سبق فليس لغيره أن ينازعه فيه، لما روي أن رسول الله (ﷺ) قال: منى مناخ من سبق.

٩- وروي أن رسول الله (ﷺ) نهى عن مجلسين وملبسين، فأما المجلسان: فجلوس بين الظل والشمس، ونهى أن يحتبى في ثوب يفضي ببصره إلى عورته، وأما الملبسان، أن يصلي في سراويل ليس عليه رداء، والآخر: أن يصلي في ملاءة لا يتوشح بها.

١٠- وروي عنه (ﷺ) أنه قال: إذا جلس أحدكم في الشمس فقلص عنه فليتحول.

١١- ولم تكن ركبتاه (ﷺ) يتعديان ركبة جليس له.

١٢- وكان (ﷺ) أشد الناس تكرمة لأصحابه ورحمة، ما رؤي قط مادًا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد.

١٣- ويتوسع للناس، إلا أن يكون المكان واسعًا لا ضيق فيه على أحد.

١٤- وقبَّلوا يد رسول الله (ﷺ) فلم ينكر عليهم، ومن حديث ابن عمر (رضي الله عنه) في قصة حيصتهم وقوله: نحن الفرارون، قال: فأقبل إلينا النبي (ﷺ) فقال: بل أنتم العكارون، قال: فدنونا فقبلنا يده، قال: أنا فئة المسلمين.

ومن حديث أسامة بن شريك قال: أتيت رسول الله (ﷺ) وعنده أصحابه كأن على رؤوسهم الطير، فجاء الأعراب فسألوا، ثم قام رسول الله (ﷺ) وقام الناس فجعلوا يقبلون يده، قال: فأخذتها ووضعتها على وجهي فإذا هي أطيب من ريح المسك وأبرد من الثلج.

١٥- وأن اليهود قبَّلوا يده (ﷺ) ورجله، من حديث صفوان بن عسال أن يهوديًا قال لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي... الحديث وفيه: وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا يوم السبت قال: فقبَّلوا يده (ﷺ) ورجله.

١٦- ويكره القيام لما رُوي أن النبي (ﷺ) قال: من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار.

١٧- وقال (ﷺ): لا تقوموا كما تقوم الأعاجم بعضهم لبعض.

١٨- وكان (ﷺ) من أكثر الناس تبسمًا ما لم ينزل عليه القرآن أو يخطب بخطبة عظة أو يذكر الساعة.

ومن حديث جابر بن عبد الله قال: كان النبي (ﷺ) إذا خطب وبعضهم

يقول في روايته: إذا ذكر الساعة احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم.

١٩- وكان ضحك أصحابه (ﷺ) عنده التبسم اقتداء منهم لفعله (ﷺ) وتوقيرًا له.

ومن حديث جابر بن سمرة قال: كان رسول الله (ﷺ) لا يضحك إلا تبسمًا.

٢٠- وجاءه (ﷺ) أعرابي وهو متغير ينكره أصحابه، فأراد أن يسأله فقالوا: لا تفعل يا أعرابي فإننا ننكر لونه، فقال: دعوني فوالذي بعثه بالحق لا أدعه حتى يبتسم، فقال: يا رسول الله إنه بلغنا أن المسيح الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعًا، أفترى لي بأبي وأمي أن أكفَّ عن ذلك تعففًا وتنزهًا حتى أهلك هزلًا، أم أضرب في ثريده حتى إذا تضلعت شبعًا آمنت بالله وكفرت به؟ قالوا: فضحك النبي (ﷺ) حتى بدت نواجذه، ثم قال: لا بل يغنيك الله بما يغني المؤمنين يومئذ.

٢١- ومن السنة أن يؤتى حق المجلس، لما روي أنه (ﷺ) قال: أعطوا المجالس حقها، قيل: وما حقها؟ قال: غضوا أبصاركم، وردوا السلام، وأرشدوا الأعمى، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر.

٢٢- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): من حق المسلم على المسلم ست، قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: إذا لقيه يسلم عليه، وإذا دعاه أجابه، وإذا استنصحه نصحه، وإذا عطس فحمد الله شمَّته، وإذا مرض عاده، وإذا مات صحبه.

٢٣- وكان (ﷺ) طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، وكان إذا سكت تكلم جلساؤه، ولا ينازع عنده الحديث، فمتى تكلم أنصتوا له، لا يرد على أحد حديثه ولا يقطعه عليه.

٢٤- وكان أكثر الناس تبسمًا في مجلسه (ﷺ) وضحكًا في وجوه أصحابه، وربما ضحك رسول الله (ﷺ) من غير قهقهة حتى تبدو نواجذه من الشيء إذا أعجبه.

ومن حديث جرير بن عبد الله: ما حجبني النبي (ﷺ) منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي وكذلك من حديث جابر بن سمرة في جلوسه (ﷺ) بعد صلاة الصبح في مصلاه حتى تطلع الشمس وفيه: وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم وعن عائشة: كان رسول الله (ﷺ) رجلاً من رجالكم إلا أنه كان ضحّاكًا بسامًا، ومن حديث أبي الدرداء: ما رأيت -أو: ما سمعت- النبي (ﷺ) يحدث حديثًا إلا تبسم، وعن أبي أمامة قال: كان رسول الله (ﷺ) من أضحك الناس وأطيبه نفسًا.

٢٥- وكان (ﷺ) إذا قام من مجلسه يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، وهو السُّنَّة وقال (ﷺ): إنها كفارة المجلس، وكان (ﷺ) إذا قام من مجلسه قال: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

٢٦- وكان (ﷺ) أكثر ما يجلس تجاه القبلة، فعن أبي هريرة مرفوعًا: إن لكل شيء سيدًا وإن سيد المجالس قبالة القبلة.

٢٧- ودخل على رسول الله (ﷺ) رجل المسجد -ورسول الله (ﷺ) جالس وحده -فتزحزح له (ﷺ) فقال الرجل: في المكان سعة يا رسول الله (ﷺ) فقال: إن من حق المسلم على المسلم إذا رآه يريد الجلوس إليه أن يتزحزح له، ولقد جاءت إليه ظئره التي أرضعته فبسط لها رداءه وقال لها: مرحبًا بأمي، فأجلسها على ردائه وظئره هي حليمة السعدية، وربما بسط (ﷺ) ثوبه لمن ليس بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه.

٢٨- وكان الناس عنده (ﷺ) في الحق سواء، معتدلين بالتقوى، متواضعين في مجلسه، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير؛ وذلك لقوله (ﷺ): ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ولم يوقر كبيرنا.

٢٩- ومن السنة إعظام الكبير، قال (ﷺ): إن من إعظام جلال الله: إكرام حامل القرآن، وذي الشيبة المسلم.

٣٠- وبلغ من كرمه (ﷺ) أن أشرك جلساءه في صنائعه، وأشركهم في أجرها، ثم كان (ﷺ) يقسم نظره بين أصحابه، حتى كان (ﷺ) يقول: من الإنصاف أني أخفيت لكم صوتي منذ ثلاث.

٣١- وكان (ﷺ) إذا عطس غض صوته، واستتر بيده أو ثوبه، وروي عن النبي (ﷺ) أنه كان عنده رجلان فعطسا جميعًا، فشمت رسول الله (ﷺ) أحدهما ولم يشمت الآخر فقال الرجل: يا رسول الله شمت هذا ولم تشمتني؟ فقال: إن هذا حمد الله، وإنك لم تحمده، وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال: يشمت العاطس ثلاثًا فما زاد فهو مزكوم.

وعن أبي موسى مرفوعًا: إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه.

٣٢- ومنه أن يسبق العاطس بالحمد لقول النبي (ﷺ): من سبق العاطس بالحمد وفي وجع الضرس، وعن ابن عباس مرفوعًا: من سبق العاطس بالحمد وقاه الله وجع الخاصرة، ولم ير في فيه مكروهًا حتى يخرج من الدنيا. وللعاطس ست خلال. أن يخفض صوته إذا أعطس، وأن يستتر بثوبه أو بيده، وأن لا يلوي عنقه إذا عطس، وأن يقول: الحمد لله رب العالمين، وإذا قيل له: يرحمك الله، ويجيب فيقول: يهديكم الله ويصلح بالكم.

جامع أبواب الأدعية والأذكار التي كان يقولها النبي (ﷺ) ويأمر أمته بها ومزاحه (ﷺ) وما ضربه من الأمثال

باب ما دعا به رسول الله (ﷺ) لنفسه ولأمته بالليل والنهار، وأمر أن يُدعى به

قدم أنس بن مالك على الحجاج بن يوسف في حاجة له فتركه الحجاج أيامًا حتى سمح له بالدخول وأراد أن يتباهى بخيله على خيل رسول الله (ﷺ) أمام أنس فغضب وقال له: إن خيل رسول الله كان يعدها لله (عَزَّوَجَلَّ) وللجهاد في سبيله أما خيلك هذه فقد أعددتها للدنيا والسمعة، فأراد الحجاج أن يسجن أنسًا، ولكنه أي: أنس قال للحجاج: لقد علمني رسول الله (ﷺ) كلمات إذ قلتهن أمنت بإذن الله من شر الإنس والجن ولقد قلتهن في يومي هذا فما جعل الله لك عليّ من سبيل ثم رجع أنس إلى داره فأرسل الحجاج إليه ابنه بثلاثين ألف درهم لينتفع بها ويعلمه الكلمات فرفض الدراهم، أما الكلمات فقال له أنس: فوالله ما أنت ولا أبوك لها بأهل، والكلمات هي:

الله أكبر، الله أكبر، بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على أهلي وولدي، بسم الله على كل شيء أعطانيه ربي، بسم الله خير الأسماء، بسم الله رب الأرض والسماء، بسم الله الذي في جميع أسمائه الشفاء، بسم الله افتتحت، وعلى الله توكلت، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الله الله الله ربي، لا أشرك به، الله أعظم وأجل وأعز، مما أخاف وأحذر حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

اللهم إني أسألك من خيرك بخيرك الذي لا يملكه غيرك، عز جارك،

اجعلني في عياذك وجوارك من كل سوء، ومن الشيطان الرجيم، اللهم إني احترز بل من جميع ما خلقت، واحترز بك منك وأقدم بين يدي: بسم الله الرحمن الرحيم ثم تقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين، ثم تقول إذا فرغت من قراءتهن. وعن يميني مثل ذلك، وعن يساري مثل ذلك، ومن فوقي مثل ذلك، ومن تحتي مثل ذلك.

ومما دعا به رسول الله (ﷺ): اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت حق ووعدك حق، ومحمد (ﷺ) حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، أهل أن تحمد إنك على كل شيء قدير.

ومما دعا به رسول الله (ﷺ): اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة.

اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد ومرافقة النبي (ﷺ) في أعلى درج الجنة، جنة الخلد.

ومما دعا به (ﷺ): اللهم إني عبدك وابن عبدك، ابن أمتك، في قبضتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب غمي.

اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم،

والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني واهدني واجبرني.

اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله، ما علمت وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك من خير ما سألك عبدك ورسولك محمد (ﷺ) وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد (ﷺ) وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدًا.

اللهم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دون شيء، اقض عني الدين واغنني من الفقر.

اللهم أعنِّي ولا تُعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، واهدني ويسر الهدي لي، وأعنِّي على من بغى علي، اللهم اجعلني شكّارًا ذكّارًا، رهّابًا إليك راغبًا، ولك مطيعًا مخبتا، إليك أواها منيبًا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي، اللهم إني أسألك إيمانًا صادقًا، ويقينًا ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة، والفوز عند القضاء، ومنازل الشهداء، وعيش السعداء، ومرافقة الأنبياء، والنصر على الأعداء، اللهم إنا ننزل بك حاجاتنا، وإن قصرت آراؤنا وضعفت أعمالنا وافتقرنا إلى

رحمتك يا أرحم الراحمين، نسألك يا قاضي الأمور، ويا شافي الصدور، كما تحجز بين الصخور، أن تجيرنا من عذاب السعير، ومن دعوة الثبور، ومن فتنة القبور، اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين، حربًا لأعدائك، سلمًا لأوليائك، نحب بحبك الناس، ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك، اللهم هذا الدعاء وعليك الاستجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم ذا الحبل الشديد، والأمر الرشيد، نسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود، مع المقربين الشهود، الركع السجود، الموفين بالعهود، إنك رحيم ودود، وأنت تفعل ما تريد.

اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا وفي لساني نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، اللهم اجعل لي من فوقي نورًا ومن تحتي نورًا، واجعل لي أمامي نورًا، وأعظم لي نورًا، اللهم عافني في سمعي وبصري. ومما دعا به رسول الله (ﷺ): لا إله إلا أنت سبحانك، اللهم إني استغفرك، لذنبي، وأسألك رحمتك، اللهم زدني علمًا ولا تزغ قلبي بعد إذا هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك، وصبرًا على بليتك، وخروجًا من الدنيا إلى رحمتك.

اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن يساري، ومن فوقي ومن تحتي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي.

اللهم عافني في جسدي وسمعي وبصري ما أبقيتني، واجعله الوارث مني اللهم إني أسالك الهدى والتقى، والعفاف والغنى، والعمل فيما تحب وترضى اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، وأسألك عزيمة الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، واستغفرك لما تعلم، وأسألك خير ما تعلم.

اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في رأيي، وبارك لي في رزقي.

اللهم أجرني من النار «سبع مرات».

اللهم إني أسألك رزقًا طيبًا، وعلمًا نافعًا، وعملاً متقبلاً.

اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم ارزقني حبك، وحب من ينفعني حبه عندك، اللهم وما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، وما زويت عني مما أحب فاجعله لي فراغًا فيما تحب.

اللهم نقِّ قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم باعد بين الذنوب وبيني، اللهم إني أسألك خير المسألة، وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وثبتني وثقل ميزاني، وحقق إيماني، وارفع درجتي، وتقبل صلاتي، واغفر خطيئتي، وأسألك الدرجات العلى من الجنة، آمين، اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري، وتضع وزري، وتصلح أمري، وتطهر قلبي، وتحفظ فرجي، وتنور قلبي، وتغفر ذنبي اللهم إني أسألك صحة في إيمان، وإيمانًا في حسن خلق، ونجاحًا يتبعه فلاح، ورحمة منك وعافية، ومغفرة منك ورضوانًا.

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل

خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر.

اللهم اجعلني صبورًا، واجعلني شكورًا، واجعلني في عيني صغيرًا، وفي أعين الناس كبيرًا.

اللهم هب لنا من رحمتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا ما أبقيتنا، واجعلها الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤا استغفروا اللهم إني أسألك الصحة، والعفة والأمانة وحسن الخلق، والرضا بالقدر.

اللهم إني أسألك الطيبات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تتوب عليّ فتغفر لي وترحمني، وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني غير مفتون.

اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدنا علمًا تنفعنا به، والحمد لله على كل حال.

اللهم اهدني وسددني، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

ومما دعا به رسول الله (ﷺ): اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، واصرف عنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا أبدًا ما أبقيتنا.

قوله: «اللهم ألف بين قلوبنا»:

أخرجه أبو داود في الصلاة، باب التشهد، والطبراني في الكبير من

حديث شريك بن عبد الله، عن جامع بن أبي راشد، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: كان رسول الله (ﷺ) يعلمنا التشهد في الصلاة كما يعلمنا السورة من القرآن، ويعلمنا ما لم يكن يعلمنا كما يعلمنا التشهد: اللهم ألف بين قلوبنا ... الحديث، صححه ابن حبان ومما دعا به رسول الله (ﷺ): اللهم أنت أجل من ذكر، وأول من عبد، وأشكر من حمد، وأنصر من استغيث به، وأرأف من ملك، وأجود من سئل، وأوسع من أعطى، أنت المليك لا شريك لك، وكل شيء هالك إلا وجهك، لا تطاع إلا بإذنك، ولا تعصى إلا بعلمك، تطاع ربنا فتشكر، وتعصى فتغفر، أنت أقرب حفيظ، وأدنى شهيد، أخذت بالنواصي، ونسخت الآثار والأعمال، فالسر عندك علانية، فالحلال ما حللت، والحرام ما حرمت، والأمر ما قضيت، والدين ما شرعت، والعباد عبادك، وأنت الرؤف الرحيم، أسألك بوجهك الكريم الذي أشرقت له السماوات والأرض أن تدخلنا الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين.

قوله: «اللهم أنت أجل من ذكر».

أخرجه الطبراني في معجمه الكبير من طريق فضال بن جبير، عن أبي أمامة الباهلي قال: كان رسول الله (ﷺ) إذا أصبح وأمسى دعا بهذه الدعوات... وقال في أوله: اللهم أنت أحق من ذكر، وأحق من عبد... الحديث.

باب ما جاء في استعاذته (ﷺ) من أمور شتى، وما كان يتعوذ به (ﷺ)

عن عائشة أن رسول الله (ﷺ): كان يدعو في الصلاة فيقول: اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم.

ومما تعوذ به: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق.

أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات

الشياطين وأن يحضرون.

أعوذ بوجه الله العظيم، وبكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن.

اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم، وبكلماتك التامات من شر ما أنت آخذ بناصيته، اللهم لا يهزم جندك ولا يخلف وعدك.

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال، ومن فتنة الغنى وفتنة الفقر، وأعوذ بك من المأثم والمغرم.

اللهم إني أعوذ بك أن أظلم أو أُظلم، أو أعتدي أو يُعتدى عليّ، أو أكسب خطيئة أو ذنبًا لا تغفره.

اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء، وساعة السوء، وجار السوء، وصاحب السوء.

اللهم إني أعوذ بك من فجاءة الشر، وأسألك من فجاءة الخير.

اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال.

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع.

اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، ومن الخيانة فإنها بئست البطانة.

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والهرم، والجبن والبخل، وأن أردَّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسق والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة، والشقاق والنفاق، وأعوذ بك من الرياء والسمعة، وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام وسيئ الأسقام اللهم إني أعوذ بك من الشك بعد اليقين.

اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع، ومن طمع في غير مطمع، حين لا مطمع.

اللهم إني أعوذ بك من مال يُطغى، وفقر يُنسي، وهوى يروي، وبوار الإثم.

وسيد الاستغفار: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وإذا خاف قومًا قال (ﷺ): اللهم إني أعوذ بك من شرورهم، وأدفع بك في نحورهم.

فصل: ذكر أدعية مأثورة، وأذكار مشروعة

قال رسول الله (ﷺ): من سره أن يستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء.

من استعاذ بالله من الشيطان ثلاثًا، وقرأ آخر سورة الحشر حين يصبح

وحين يمسي، وكّل به سبعون ألف ملك يحفظونه من شيطان الجن والإنس.

من قال: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة.

دعا سعد بن أبي وقاص والرسول (ﷺ) يصلي بهم على كلب مر خشي أن يمر عليه (ﷺ) فمات الكلب، فلما فرغ رسول الله (ﷺ) من الصلاة سأل عن الداعي وما قال: فقال سعد: أنا وقلت: سبحانك لا إله إلا أنت يا ذا الجلال والإكرام أهلك هذا الكلب قبل أن يقطع على نبيك صلاته.

فقال النبي (ﷺ): يا سعد لقد دعوت في يوم وساعة بكلمات لو دعوت على من بين السموات والأرض لاستجيب لك فأبشر يا سعد.

مر رسول الله (ﷺ) على رجل قال: يا أرحم الراحمين «ثلاثًا» فقال، (ﷺ): سل تعط، فقد نظر الله إليك.

وعلّم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) رجلاً عليه دين كلمات من رسول الله (ﷺ): اللهم اغنني بحلالك عن حرامك، واكفني بفضلك عمن سواك.

وسمع رسول الله (ﷺ) رجلاً يقول: اللهم إني أسألك أن تتم علينا النعم، فقال (ﷺ): أتدري ما تمام النعم؟ قال: لا، قال (ﷺ): الفوز بالجنة والنجاة من النار، وسمع رسول الله (ﷺ) رجلاً يقول: يا ذا الجلال والإكرام فقال (ﷺ) قد استجيبت دعوتك فسل.

وعلَّم رسول الله (ﷺ): ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار رجلاً سأل الله تعجيل العقوبة في الدنيا، ثم دعا رسول الله (ﷺ) بالشفاء فعوفي.

عن حجاج بن فرافصة، أن رسول الله (ﷺ) قال: ما من مريض يقول سبحان

الله القدوس الرحمن، الملك الديان، لا إله إلا أنت، مسكن العروق الضارية ومنيم العيون الساهرة، سكن عروقي الضارية، وأنم عيني الساهرة، إلا شفاه الله.

روي عن ابن مسعود أنه قال: إذا كان يوم القيامة قال الله (عز وجل): من كان له عندي عهد فليقم من قال هذه الكلمات: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا خائفًا مستجيرًا مستغفرًا، راغبًا راهبًا إليك: إنك إن تكلني إلى نفسي وإلى عملي تقربني من الشر وتباعدني من الخير، وأنا لا أثق إلا برحمتك، فاجعل لي عهدًا تؤديه إلى يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد.

وكان رسول الله (ﷺ) يقول في سجوده: رب أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

وإذا صلى الصبح قال (ﷺ): سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله، إن الله كان توابًا، سبعين مرة ثم يقول: سبعين بسبعمئة.

خرج بأسماء خُرّاج في عنقها، فخافت، فأخبرت عائشة (رضي الله عنها) فسألت النبي (ﷺ) فقال: ضعي يدك عليه ثم قولي ثلاث مرات: بسم الله أذهب عني ما أجد وأحسه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك قالت: ففعلته فانخفض.

دعاء جامع

اللهم بنورك اهتديت، وبفضلك استغنيت، وبنعمتك أصبحت وأمسيت، ذنوبي بين يديك، أستغفرك وأتوب إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبرسولك الذي أرسلت، لك الحمد إن أطعتك، ولك الحمد إن عصيتك، يا عظيمًا يرجى لكل عظيم، اغفر لي الذنب العظيم،

اللهم إن ذنوبنا عظمت وجلت، وأنت أعظم منها وأجل، افعل بنا ما أنت أهله، ولا تفعل بنا ما نحن أهله، يا عماد من لا عماد له، يا ذخر من لا ذخر له، يا حرز ما لا حرز له، يا سند من لا سند له، يا غياث من لا غياث له، يا غياث المستغيثين، يا صريخ المستصرخين، يا مفرجًا عن المكروبين، ويا أرحم الراحمين، يا كريم العفو، يا حسن البلاء، يا عظيم الرجاء، يا واسع العطاء، يا كنز الفقراء يا عون الضعفاء، يا منقذ الغرقى، ويا منجي الهلكى، يا محسن، يا مجمل، يا متفضل، يا منعم، يا الله، أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار ونور القمر وشعاع الشمس وحفيف السحر، أسألك يا الله أن تغفر ذنوبي كلها، وترحمني رحمة واسعة، وتعطيني خير الدنيا والآخرة، وأن تجيرني من كل سوء استجار به مستجير بك يا أرحم الراحمين.

اللهم إنك تملك ما لا أملك من نفسي، أنت خلقتني وتفردت بخلقي، ولم أرد شيئًا إلا بك، ولا أرجو الخير إلا من عندك، ولا ينصرف عني من السوء إلا ما صرفته عني، يا رب علمتني ما لا أعلم، ورزقتني ما لم أملك ولم أحتسب، وبلغتني ما لم أكن أرجو، وأعطيتني ما قصر عنه أملي، فلك الحمد كثيرًا كما أنعمت عليَّ، فاغفر لي ذنوبي، وهون علي أموري في الدنيا والآخرة.

اللهم إني أصبحت وأمسيت في ذمتك وجوارك، فأجرني بحق لا إله إلا أنت من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إنك على كل شيء قدير.

اللهم إني أستودعك نفسي وأهلي ومالي وأولادي وإيماني، وآخرتي ودنياي، وأمانتي، وإخواني في الله وخواتيم عملي، أستودعهم الحي الذي لا يموت؛ الذي لا تضيع ودائعه ولا يخيب سائله.

- اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكنفنا بكنفك الذي لا يرام، وقوّنا بعزك الذي لا يُضام، اللهم ارحمنا بقدرتك علينا، اللهم لا يُهلك شيء مما

استودعتك ولا يضيّع، وأنت ثقتنا ورجاؤنا، ولا حول ولا قوة بنا إلا بك يا رب العالمين، عليك توكلت وأنت خير الحافظين.

قوله: «اللهم احرسنا بعينك»:

روي نحو هذا عن إبراهيم بن أدهم، فأخرج أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخه من طرق عن إبراهيم بن أدهم، أنه كان في سفر فعرض عليه أسد، فقيل له: هذا السبع قد ظهر لنا، قال: أرونيه، فلما رآه جاءه قال: يا قسورة إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به، وإلا فعودك على بدئك، قال: فولى السبع ذاهبًا، قال: أحسبه يضرب بذنبه، قال: فتعجبنا كيف فهم السبع كلام إبراهيم بن أدهم، قال: فأقبل علينا إبراهيم، قال: قولوا: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكنفنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت رجاؤنا.

قال خلف بن تميم: فما زلت أقول منذ سمعتها فما عرض لي لص ولا غيره.

باب ما جاء في التسبيح والتهليل

كان من فعله (ﷺ) أن يسبح ثلاثًا وثلاثين، ويحمد ثلاثًا وثلاثين، ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، قال (ﷺ): من فعل ذلك غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، قال (ﷺ): من قالها عشر مرات كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات وكان له عدل عشر رقاب، وأجاره الله يومه من الشيطان، ومن قالها عشية كان له مثل ذلك.

وروي عنه (ﷺ) أنه قال: لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله،

والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس.

وقال (ﷺ): لا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله كثيرًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، من قالها كفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر. سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم قال (ﷺ) : إنهما كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن.

ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال (ﷺ) إنها كنز من كنوز الجنة.

وعن أبي موسى الأشعري قال: لما غزا رسول الله (ﷺ) خيبر -أو قال: لما توجه رسول الله (ﷺ) أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، فقال رسول الله (ﷺ): اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم، ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم، وأنا خلف دابة رسول الله (ﷺ) فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: عبد الله بن قيس قلت: لبيك رسول الله، قال (ﷺ): ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال (ﷺ): أكثروا من غراس الجنة، فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة، قيل: وما غراس الجنة؟ قال (ﷺ): لا حول ولا قوة إلا بالله.

وأكثروا من غراس الجنة من حديث أبي أيوب: أن رسول الله (ﷺ) ليلة أسري به مر على إبراهيم (عليه السلام) فقال: من معك يا جبريل؟ قال: هذا محمد، قال له إبراهيم: مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة، فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة، قال (ﷺ) وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وعن ابن عمر مرفوعًا: أكثروا من غراس الجنة، فإنه عذب ماؤها، طيب

ترابها، فأكثروا من غراسها، لا حول ولا قوة إلا بالله، وقالوا: يا رسول الله وما غراسها؟ قال (ﷺ) ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

باب فضل الصلاة على النبي (ﷺ)

وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

قال أبو سعد صاحب الكتاب: فينوي العبد موافقة ربه، والاقتداء بملائكته في الصلاة على أكرم بريته طمعًا أن يصلي الله عليه.

روي في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤)، قال: تذكر حيث أذكر، فظهر اسمه (ﷺ) عند ملائكة السماوات، وملائكة الأرضين، وفي البحار والأودية والجبال.

قال (ﷺ): إني لقيت جبريل (عليه السلام) فبشرني وقال: إن الله (عز وجل) يقول من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، فسجدت لله (عز وجل) شكرًا.

وسجد رسول الله (ﷺ) في البقيع سجدة طويلة فسأله عبد الرحمن بن عوف فقال (ﷺ): جاءني جبريل (عليه السلام) وقال: إنه لا يصلي عليك أحد إلا ويصلي عليه سبعون ألف ملك.

ورؤي في وجهه البشر لقول جبريل له (ﷺ): يقول الله (عز وجل): من صلى عليك مرة صليت عليه عشرًا، ومن صلى عليك عشرًا صليت عليه مئة، وجاء ذات يوم والبشر في وجهه (ﷺ) فقال: جاءني جبريل (عليه السلام) فقال: أما يرضيك يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك صلاة إلا صليت عليه عشرًا، ولا يسلم عليك من أمتك أحد إلا سلمت عليه عشرًا؟ قال: قلت: بلى.

وقال (ﷺ): من صلى علي من أمتي صلاة مخلصًا من قلبه، صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفع له بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه بها عشر سيئات.

وقال (ﷺ): من صلى عليّ عشرًا من أول النهار، وعشرًا من آخر النهار نالته شفاعتي يوم القيامة.

وقال (ﷺ): ما من مسلم يصلي عليّ صلاة إلا صلت عليه الملائكة وما صلى، فليقلَّ عبد من ذلك أو ليكثر.

وقال (ﷺ): صلوا عليّ فإن الصلاة عليّ زكاة لكم.

وروي أن جماعة شهدوا عند رسول الله (ﷺ) على رجل بالسرقة، فأمر بقطع يده، وكان المسروق جملاً، فصاح الجمل: لا تقطعوا يده، فقال له رسول الله (ﷺ): بم نجوت؟ قال: بصلاتي عليك كل يوم مائة مرة، فقال (ﷺ): نجوت من عذاب الدنيا والآخرة.

فصل: في ذكر البخيل، وذم الناسي والكاره للصلاة عليه (ﷺ)

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله (ﷺ): لا تقبل الصلاة إلا بالطهر والصلاة على النبي (ﷺ).

قال (ﷺ): ألا أنبئكم بأبخل الناس؟ قالوا: بلى، قال: من ذكرت عنده فلم يصل عليّ، ومن ذكرت عنده فلم يصل عليّ فقد أخطأ طريق الجنة، ومن نسي الصلاة عليّ فقد أخطأ طريق الجنة، بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده ثم لا يصلي عليّ، لا يجلس قوم مجلسًا لا يصلون على رسول الله (ﷺ) إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة، لما يرون من الثواب، وقال (ﷺ): البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ.

وروي أن رسول الله (ﷺ) صعد المنبر فقال: آمين -ثلاث مرات- فقيل يا رسول الله صنعت شيئًا لم تصنعه؟ قال: نعم، جاءني جبريل (عليه السلام) فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين، ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يغفر له فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين، ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين.

فصل: في أن الدعاء محجوب عن السماء لا يُرفع حتى يُصلًى على النبي (ﷺ)

قال رسول الله (ﷺ): ما من دعاء إلا بينه وبين الله (عز وجل) حجاب حتى يصلي على النبى (ﷺ) فإذا فعل ذلك انخرق ذلك الحجاب ودخل الدعاء وإذا لم يفعل ذلك رجع الدعاء، قال (ﷺ): الدعاء محجوب حتى يختم بالصلاة عليّ، وروى أبو عمرو بن العلاء، عن أبيه: قال رسول الله (ﷺ): كل دعاء محجوب عن السماء حتى يصلى على محمد وعلى آل محمد.

قال ابن القيم: الصلاة على النبي (ﷺ): للدعاء بمنزلة الفاتحة للصلاة، فمفتاح الدعاء الصلاة على النبي (ﷺ) كما أن مفتاح الصلاة الطهور.

فصل: في الصلاة عليه (ﷺ) ليلة الجمعة ويومها

قال (ﷺ): إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ، فقال رجل: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني: بليت؟ قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، وقال (ﷺ): أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة، فإنها تعرض عليّ، وقال (ﷺ): أكثروا الصلاة عليّ في الليلة الغراء فإن صلاتكم تعرض عليّ: يوم الجمعة.

فصل: ذكر بعض الصيغ الواردة في الصلاة عليه (ﷺ)

قال علي بن أبي طالب عندما سئل عن كيفية الصلاة على رسول الله (ﷺ) قولوا: صلوات الله البر الرحيم، والملائكة المقربين، والنبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، وما سبح لك من شيء يا رب العالمين، على محمد بن عبد الله خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الشاهد المبشر، الداعي إليك بإذنك السراج المنير.

قال النبي (ﷺ): من أصبح وأمسى وقال: اللهم صل على محمد وآل محمد، وأعط محمدًا الوسيلة في الجنة، اللهم يا رب محمد وآل محمد، صل على محمد وعلى آل محمد، واجز عنّا محمدًا (ﷺ) ما هو أهله، أتعب سبعين كاتبًا ألف صباح ولم يبق لنبيه حق إلا أداه، وغفر لوالديه، وحشر مع محمد وآل محمد (ﷺ) وعلى آله.

قال النبي (ﷺ): لا تصلوا علي الصلاة البتراء، قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال: لا تقولوا: اللهم صل على محمد وتمسكوا، بل قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد.

فصل في الإكثار والمكثرين من الصلاة عليه (ﷺ)

روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة وقال (ﷺ): إن أقربكم مني، أكثركم صلاة عليّ.

وروي عنه (ﷺ) أنه قال: من أحب أن يكتال له بالمكيال الأوفى، فليقل اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد.

وقال رجل: يا رسول الله إني جعلت ثلث دعائي صلاة عليك، قال: إن زدت

فهو خير لك، قال: وإن جعلت نصف دعائي صلاة عليك؟ قال: إن زدت فهو خير لك، قال: إن جعلت دعائي صلاة عليك؟ قال: إذن تكفي همك، ويغفر ذنبك.
عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: من صلى علي ألف مرة لم يمت حتى يبشر بالجنة.

باب ما مازح به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما قال إلا حقًا

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: كناني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذي الأذنين روى أنس بن مالك قال: كان لأبي طلحة ابن من أم سليم يقال له: أبو عمير وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يضاحكه إذا دخل، وكان له نغير -وهو العصفور- فدخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دارهم فرأى أبا عمير حزينًا فقال: ما شأن أبي عمير؟ قيل: يا رسول الله مات نغيره، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أبا عمير ما فعل النغير.

وقالت له (صلى الله عليه وسلم) عمته صفية بنت عبد المطلب: يا رسول الله، سل الله أن يدخلني الجنة، قال (صلى الله عليه وسلم): إن الجنة لا يدخلها العجز، فلما علم رسول الله أنها حزينة قال: جعلهن الله أبكارًا.

ومنها قوله (صلى الله عليه وسلم): ذو اليدين، وذو الشمالين.

وأتت امرأة النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالت: يا رسول الله احملني على جمل، قال: أحملك على ولد الناقة، قالت: يا رسول الله لا يطيقني، فقال (صلى الله عليه وسلم): لا أحملك إلا على ولد الناقة، فقالت: يا رسول الله إنه لا يطيقني، فقال لها الناس: وهل الجمل إلا ولد الناقة.

وجاءت امرأة أخرى فقالت: يا رسول الله إن زوجي مريض، وهو يدعوك، فقال (صلى الله عليه وسلم): لعل زوجك الذي في عينه بياض، فرجعت المرأة وفتحت عين زوجها لتنظر إليها فقال: مالك؟ قالت: أخبرني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن في عين زوجي

بياضًا، فقال: ويحك فهل أحد إلا وفي عينيه بياض، صدق رسول الله (ﷺ).

وخرجت السيدة عائشة مع رسول الله (ﷺ) في سفر فنزل منزلاً فقال لأصحابه: تقدموا، ثم قال: تعالَيْ حتى أسابقك، فسابقته فسبقته، ثم خرجت معه بعد ذلك في سفر وقد جمعت اللحم، فنزلنا منزلاً فقال لأصحابه: تقدموا، ثم قال: تعالَيْ حتى أسابقك، فسابقته فسبقني، فضرب بين كتفي وقال: هذه بتلك.

وروي أنه (ﷺ) سابق أبا هريرة، وكان (ﷺ) يقول لأبي هريرة: أبا هر.

قال رسول الله (ﷺ) لمولاه سفينة في سفر، وثقل متاع أصحابه (ﷺ) عليه: ابسط كساك، فبسطت، فوضع أمتعتهم في كسائي ثم قال: أنت سفينة فاحملها، فحملتها، وكان من ذلك اليوم لو حمِّل علي وقرآن وثلاثة وأربعة وخمسة وستة وسبعة ما ثقل عليّ.

عن أبي هريرة قال: سمعت أذناي هاتان وأبصرت عيناي هاتان رسول الله (ﷺ) وهو آخذ بكفيه جميعًا -يعني حسنًا أو حسينًا- وقدماه على قدم رسول الله (ﷺ) وهو يقول:

حُزُقَّة حُزُقَّةٌ ترق عين بقَّة

قال: فيرقي الغلام حتى يضع قدميه على صدر رسول الله (ﷺ) ثم قال له: افتح فاك، ثم قبله ثم قال (ﷺ):

اللهم أحبَّه فإني أحبُّه

والحزقَّة: المتقارب الخطا وقيل: أراد (ﷺ) بالبقة فاطمة: فقال ترق يا قرة عين فاطمة.

روي أن زاهـرًا كـان في السوق إذ أتاه رسول الله (ﷺ) من وراء ظهره، فوضع يديه على عينيه وما كـان يعرف أنه رسول الله (ﷺ) حتى قال رسول الله (ﷺ): من يشتري العبد؟ فجعل يمسح ظهره برسول الله (ﷺ) ويقول: إذن تجدني كاسدًا، فقال رسول الله (ﷺ): لكنك عند ربك لست بكاسد.

وروي أن رسول الله (ﷺ) قال لعائشة (رضي الله عنها): إني أعرف إذا كنت راضية عني وإذا كنت غضبى، قالت: فسألته عن ذلك؟ فقال: إذا كنت راضية قلت: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى تقولين: لا ورب إبراهيم، قالت: يا رسول الله لا أهجر إلا اسمك.

ومازح بلالاً وقد خرج بطنه فقال (ﷺ): أم حُبين، وهي دويبة كالحرباء.

ومنها أنه رأى حسينًا مع صبية في السكة، فتقدم رسول الله (ﷺ) أمام القوم، فطفق الحسين يفرُّ ها هنا وها هنا، ورسول الله (ﷺ)، يضاحكه حتى أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه، والأخرى فوق رأسه، ثم أخذ قفاه فقبله وقال (ﷺ): حسين مني، وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحب حسينًا، حسين سبط من الأسباط.

فصل: ومما موزح به بين يديه (ﷺ) فلم يمنعه

كانت السيدة عائشة تلعب فقال (ﷺ): إيش الذي تعملين؟ قالت: خيل سليمان، فلم ينكر عليها، وكان يقول لها مازحًا: يا حميراء لا تأكلي الطين وقال رسول الله (ﷺ): إني لأمزح، ولا أقول إلا حقًا.

وعن أنس قال: كناني رسول الله (ﷺ) ببقلة كنت اجتنيتها.

ووجد علي بن أبي طالب رضوان الله عليه مضطجعًا في المسجد وقد سقط رداؤه عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره، فجعل رسول الله (ﷺ) يمسح التراب

عن ظهره، ويقول (ﷺ): أجلس أبا تراب.

وقال أنس (رضي الله عنه): كان رسول الله (ﷺ) من أفكه الناس.

وقال علي بن أبي طالب: كان (ﷺ): يداعب الرجل ليس إلا ليسره، وإن كان رسول الله (ﷺ) ليسر الرجل من أصحابه إذا كان مغمومًا بالمداعبة وعن امرأة من الأنصار يقال لها: أم نبيط قالت: أهدينا جارية لنا من بني النجار إلى زوجها، فكنت مع نسوة من بني النجار ومعي دف أضرب به وأنا أقول:

أتيناكم أتيناكم فحيُّونا نحييكم
لولا الذهب الأحمر ما حللنا بواديكم

قالت: فوقف علينا رسول الله (ﷺ) فقال: ما هذا يا أم نبيط؟ قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله جارية منا من بني النجار نهديها إلى زوجها، قال عليه الصلاة والسلام: فتقولين ماذا؟ قالت: فأعدت عليه قولي، فقال رسول الله (ﷺ):

ولولا الحنطة السمرا ما سمنت عذاريكم

وعن عائشة (رضي الله عنها) أنها أنكحت ذا قرابة لها من الأنصار، فجاء النبي (ﷺ) فقال أهديتم الفتاة؟ قالت: نعم، قال: فأرسلتم من تغني؟ قالت: لا، قال (ﷺ): أن الأنصار قوم فيهم غزل، فلو أرسلتم من يقول:

أتيناكم أتيناكم فحيَّانا وحيَّاكم

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: عثر أسامة بن زيد بعتبة الباب فشُج في وجهه، فقال لي رسول الله (ﷺ): أميطي عنه، قالت: فقذرته، فجعل رسول الله (ﷺ) يمصه ويمجّه ويقول:

لو كان أسامة جارية لحلَّيْناه، ثم لو كان أسامة جارية لكسوناه لِنُنْفِقَه.

وطلبت السيدة عائشة منه (ﷺ) أن يدعو الله لها بالمغفرة لما تقدم وما تأخر، قالت: فرفع (ﷺ) يديه حتى رأيت بياض إبطيه فقال: اللهم اغفر لعائشة بنت أبي بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبًا ولا تكسب بعدها خطيئة ولا إثمًا، فقال النبي (ﷺ): أفرحت يا عائشة؟ قلت: إي والذي بعثك بالحق، فقال: أما والذي بعثني بالحق ما خصصتك بها من بين أمتي، وإنها لصلاتي لأمتي في الليل والنهار فيمن مضى منهم ومن بقي ومن هو آت إلى يوم القيامة، وأنا أدعو لهم والملائكة يؤمنون على دعائي.

باب ما ضرب رسول الله (ﷺ) من الأمثال أو قال كلمة فصارت مثلًا سائرًا

عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله (ﷺ): مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها وطعمها طيب، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة، لا ريح لها وطعمها مر.

وعن عائشة (ﷺ) قالت: كان النبي (ﷺ) يقول: لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثًا، ولا يملأ جوفه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب.

وسئلت السيدة عائشة (رضي الله عنها): هل سمعت النبي (ﷺ) يتمثل شعرًا قط؟ قالت: كان أحيانًا إذا دخل بيته يقول: ويأتيك بالأخبار من لم تزود.

وقال عبد الله بن عمرو: سمعت النبي (ﷺ) يقول: كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت، وعن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) أنه قال: لا يشكر الله من لا

يشكر الناس، وعن أبي سعيد والأشعث بن قيس قالا: قال النبي (ﷺ): من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

وقال علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: قال رسول الله (ﷺ): أحبب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يوما ما.

وعن حذيفة قال: قال رسول الله (ﷺ): لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، قيل: يا رسول الله وكيف يذل نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيق وعن سعيد ابن المسيب قال: قال رسول الله (ﷺ): رأس العقل بعد الإيمان بالله: مداراة الناس، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، ولن يهلك امرؤ بعد مشورة.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي (ﷺ): لا حليم إلا ذو عترة، ولا حكيم إلا ذو تجربة.

وعن عائشة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قالت: قال رسول الله (ﷺ): أعظم النساء بركة أقلهن مؤونة.

رمى رسول الله (ﷺ) ببردته إلى جرير بن عبد الله عندما ضن الناس به، في المجلس فلم يوسع له أحد، فلقيها بوجهه وقبّلها وردَّها على ظهره وقال أكرمك الله كما أكرمتني فقال النبي (ﷺ) لأصحابه: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر -ثلاثًا- فإذا أتاه كريم قوم فليكرمه.

قال عمرو بن أمية: قلت: يا رسول الله أقيد راحتلي وأتوكل، أو أرسلها وأتوكل؟ قال (ﷺ): قيدها وتوكل.

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ): الناس كإبل مئة، لا تجد فيها

راحلة واحدة.

وعن ابن عمر أن النبي (ﷺ) قال: ليس شيء خير من ألف مثله إلا المؤمن وأنشد لبعض الشعراء:

أدب المــرء كلحم ودم ... مـا حـواه رجـل إلا صلح

لـو وزنـتـم رجـلا ذا أدب ... بألوف من ذوي الجهل رجح

روى أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) وكان جالسًا في المسجد محتبيًا بكساء صوف قال: قال رسول الله (ﷺ): الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، وإملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر.

قال أبو بكر لرجل من العرب كان يغشاه اسمه عفير ما سمعت من رسول الله (ﷺ) قال عفير: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: الود يتوارث، والبغض يتوارث.

عن أنس قال: قال النبي (ﷺ): من رزق من شيء فليلزمه.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي (ﷺ): السفر قطعة من العذاب، يدع أحدكم طعامه وشرابه، فإذا قضى أحدكم نهمته من سفر فليعجل الرجوع إلى أهله.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): الناس سواء كأسنان المشط، إنما يتفاضلون بالعافية، والمرء كثير بأخيه، يرفده، يكسوه، يحمله، ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي ترى له.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): ليس الخبر كالمعاينة، إن موسى

(عليه السلام) أخبره الله (عز وجل) عن قومه فلم يكسر الألواح، فلما عاين ذلك منهم كسرها ورمى بها.

وقال (صلى الله عليه وسلم): إن في الإنسان مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب.

وقال (صلى الله عليه وسلم): الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة.

وعن ابن عمر قال: كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو يقول: واقية كواقية الوليد -يعني الطفل قال النبي (صلى الله عليه وسلم): المرء على دين خليله، ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي ترى له.

وقال (صلى الله عليه وسلم): انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قالوا: يا رسول الله ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال تكفه عن الظلم فذلك.

وعن أبي هريرة: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: المؤمن مرآة أخيه حيث لقيه، يكف عليه ضيعته ويحوط من ورائه.

وقال (صلى الله عليه وسلم): القناعة مال لا ينفد، وقال (صلى الله عليه وسلم): الخير عادة والشر لجاجة، ومن يرد الله به خيرًا يفقه في الدين. وعن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الحلال بيّن والحرام بيّن، وبين ذلك شبهات، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لو أن عبدًا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة، لظهر للناس عمله كائنًا ما كان، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): المؤمن القوي أحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، فاحرص على ما ينفعك ولا تفجر، فإن غلبك أمر فقل: قدر الله أو ما شاء وإياكم واللو، فإن اللو تفتح عمل الشيطان.

وقال (صلى الله عليه وسلم): ما عال من اقتصد.

أراد رسول الله (ﷺ) أن يبعث عمر بن الفغواء الخزاعي بمال إلى أبي سفيان يقسمه في قريش بعد الفتح وأمره أن يلتمس صاحبًا فالتمس عمرو بن أمية الضمري، فحذره رسول الله منه حيث قال: إذا اهبطت بلاد قومه فاحذره، فإنه قد قال القائل: أخوك البكري فلا تأمنه وقال (ﷺ): اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله.

وقال (ﷺ): إن الحلال بيّن والحرام بيّن، وبيّن ذلك شبهات، فمن ترك الشبهات فهو للحرام أترك، ومعصية الله حمى، ومن رتع حول الحمى يوشك أن يرتع في الحمى، ألا إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه.

وقال (ﷺ): أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود، وقال (ﷺ): من صمت نجا، وقال (ﷺ): ما قل وكفى خير مما كثر وألهى.

وقال (ﷺ): عمل قليل في سنَّة، خير من عمل كثير في بدعة، وقال (ﷺ) الحرب خدعة، وخطب بمنى وقال: فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، وقال (ﷺ): التمسوا الدار قبل شراء الدار، وقال (ﷺ): يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، ويدع الجذع في عينيه وقال (ﷺ): أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم، وقال (ﷺ): الحزم سوء الظن.

وقال (ﷺ): اطلبوا الخير عند حسان الوجوه.

وقال (ﷺ): إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت، وقال (ﷺ): كل معروف صدقة، وحبك الشيء يعمي ويصم.

ونزلت امرأة صالحة على مثلها بالمدينة فقالت عائشة (رضي الله عنها): صدق رسول الله (ﷺ) سمعته يقول: الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

وقال (ﷺ): المستشار مؤتمن، وإن من البيان لسحرًا، وإن من الشعر لحكمة.

وقال (ﷺ): إن طول الصلاة، وقصر الخطبة مَئِنَّةٌ من فقه الرجل، فأطيلوا الصلاة، وأقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحرًا.

وقال (ﷺ): كل معروف صدقة، أعط السائل ولو جاءك على فرس. وقال (ﷺ): بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار.

وقال (ﷺ): من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

وقال (ﷺ): لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن الله يطعمهم ويسقيهم ما داموا في مرضهم.

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي (ﷺ): أنه قال: مثل المؤمن ومثل الإيمان كمثل الفرس في آخيَّته، يحول ثم يرجع إلى آخيَّته، وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان، فأطعموا طعامكم الأتقياء، وأولوا معروفكم المؤمنين.

قال (ﷺ): مثل الذي يسمع الحكمة ولا يحمل إلا شرها كمثل رجل أتى راعيًا فقال: يا راعي أعطني شاة من غنمك، قال: اذهب فخذ بأُذن شاة منها، فانطلق فأخذ بأُذن كلب.

قال رسول الله (ﷺ): مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوله خير أو آخره. وقال (ﷺ): مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة، تغلبها الريح ظهرًا لبطن وقال رسول الله (ﷺ): مثل المنافق كمثل الشاة العائرة، عائرة بين غنمين، يعني: إلى هذه مرة وإلى هذه مرة.

وقال (ﷺ): مثل القرآن كمثل الإبل المعلقة، إن تعهدها صاحبها بعقلها

أمسكها، وإن أطلقها ذهبت.

وقال (ﷺ): مثل الصلوات الخمس كمثل رجل على بابه نهر جار يغتسل منه كل يوم خمس مرات.

وقال (ﷺ): مثل المريض إذا برئ وصح، كمثل بردة تقع من السماء في صفائها ولونها.

وقال رسول الله (ﷺ): مثل القائم على حدود الله والمداهن في حدود الله كمثل ثلاثة نفر ركبوا سفينة، فجلس أحدهم في صدرهم والثاني في وسطها والثالث في أسفلها، فجعل الذي في أسفلها يضربها بفأس معه فقال الذي يليه: لا تضرب فتغرقنا وقال الآخر دعه فإنه يغرق نفسه.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء يقتدى بها في ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن يضل الهداة.

قال (ﷺ): في تخفيف وثاق عمه العباس في بدر مع الأسرى وأراد الصحابة تخلية سبيله قال (ﷺ): لا ولكن خففوا من وثاقه، فإن عم الرجل صنو أبيه.

قال رسول الله (ﷺ): إنما مثل أصحابي في أمتي كمثل الملح في الطعام، ولا يصلح الطعام إلا بالملح.

عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ليأتين على الناس زمان يكونون على شبه أسد وذئب وكلب وثعلب وخنزير وشاة.

فأما الأسد: فملوك الدنيا يغيرون سنتها، ويتعدون حدودها ويحلون حرامها، ويحرمون حلالها لا يطمع أحد في فريسته.

وأما الذئب: فالتاجر الفاجر، يذم إذا اشترى، يمدح إذا باع.

وأما الكلب: فالرجل الكذاب.

وأما الثعلب: فالرجل القارئ الذي يأكل بدينه.

وأما الخنزير: فالرجل المتشبه بالنساء لا يظلف نفسه عن شيء.

وأما الشاة: فالرجل المؤمن، يُجَزُّ صوفها، ويؤكل لحمها، ويحلب لبنها.

فكيف بشاة بين أسد، وذئب، وكلب، وثعلب، وخنزير؟

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس.



جامع أبواب

الفضائل والمناقب

باب فضل العرب

عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ) أحبوا العرب: لأني عربي، والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي، وأيضًا قال رسول الله (ﷺ): احفظوني في العرب، ويروى عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: استند رسول الله (ﷺ) إلى صدري وقال: يا عليّ أوصيك بالعرب خيرًا.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ) حب العرب إيمان، وبغضهم نفاق قال النبي (ﷺ): ستكون فتن يصطلم فيها العرب، اللسان فيها أشد وقعًا من السيف قتلاها جميعًا في النار.

وقال (ﷺ): من غش العرب لم يدخل في شفاعتي، ولم تنله مودتي.

وعن سلمان قال: قال رسول الله (ﷺ): يا سلمان لا تبغضني، فتفارق دينك، قال: قلت: يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانا الله؟ فقال: تبغض العرب فتبغضني.

فصل: في فضل قريش

روى عثمان (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: من أهان قريشًا أهانه الله، وقال (ﷺ): إن قريشًا أهل صبر وأمانة، فمن بغاها أكبَّه الله لوجهه يوم القيامة، وقال (ﷺ): من أذل قريشًا أذله الله.

وقال (ﷺ): قدموا قريشًا ولا تقدموها، وتعلموا من قريش ولا تُعلموها، عن ابن عمر، عن النبي (ﷺ) أنه قال: أحبوا قريشًا ولا تبغضوها فتهلكوا وقال رسول الله (ﷺ): إن الله اختار العرب، ثم اختار من العرب قريشًا، وعنه (ﷺ) أنه قال: إن للقرشي قوة الرجلين من غير قريش.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري أن رسول الله (ﷺ) قال: صلب الرجل قريش، وهل يمشي الرجل من غير صلب.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): أمان أهل الأرض من الاختلاف: الموالاة لقريش، قريش أهل الله فإذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا من حزب إبليس.

وعن عتبة بن عبد السلمي أن رسول الله (ﷺ) قال: الخلافة لقريش، والحكم للأنصار.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ) لا يزال الدين واصبًا ما بقي من قريش عشرون رجلاً.

عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: لقد هممت أن لا أقبل هبة إلا من قريش أو ثقفي أو أنصاري.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): خير أهل المشرق عبد القيس، أسلم الناس كرهًا وأسلموا طائعين.

وعن النبي (ﷺ) أنه قال: خير نساء ركبن الإبل: نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): الأزد أزد الله يريد الناس أن يضعوهم، ويأبى الله إلا أن يرفعهم، وليأتين على الناس زمان يقول الرجل: يا ليت أبي كان أزديا، يا ليت أمي كانت أزدية.

روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: عالم قريش يملأ طباق الأرض علمًا وذكر أكثر أهل العلم عالم قريش هو الشافعي.

باب: في فضائل المهاجرين والأنصار وسائر القبائل

عن صهيب قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول في المهاجرين الأولين: هم السابقون الشافعون المدلون على ربهم تبارك وتعالى، والذي نفسي بيده، إنهم ليأتون يوم القيامة، وعلى عواتقهم السلاح، فيقرعون باب الجنة، فيقول لهم الخزنة: من أنتم؟ فيقولون: نحن المهاجرون، فيقول لهم الخزنة: هل حوسبتم؟ فيجثون على ركبهم، وينثرون ما في جعابهم، ويرفعون أيديهم إلى السماء، فيقولون: يا رب ألهذا نحاسب وقد خرجنا وتركنا الأهل والمال والولد؟ فتمثل لهم أجنحة من ذهب مخوصة بالزبرجد والياقوت، فيطيرون حتى يدخلوا الجنة فلذلك قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (فاطر: ٣٤، ٣٥).

وعنه (ﷺ) أنه قال: أول زمرة تدخل الجنة: فقراء المهاجرين، وقال (ﷺ): إن أعز أهلي عليّ أن يتخلف عني: المهاجرون والأنصار، أسلم وغفار.

وقال (ﷺ): آية المنافق بغض الأنصار، وآية المؤمن حب الأنصار وقال في الأنصار: لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: افتخر الحيان: الأوس والخزرج، فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة: حنظلة بن أبي عامر، ومنا من حمته الدبر: عاصم ابن ثابت، ومنا من اهتز له عرش الرحمن: سعد بن معاذ، ومنا أجيزت شهادته بشهادة رجلين: خزيمة بن ثابت فقال الخزرجيون: منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه أحد غيرهم: أُبيُّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

قال (ﷺ): العلم في قريش، والأمانة في الأنصار.

روي عن أبي هريرة أنه قال: قلنا: يا رسول الله إذا فتحت الأمصار، وفتحت فارس والروم فهم خير منا يا رسول الله، يذكرون الفتوح؟ قال: بل أنتم خير منهم، وأبناؤكم خير من أبنائهم.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): اللهم اغفر للأنصار، ولذراري الأنصار، ولذراري ذراري الأنصار، ولموالي الأنصار.

وقال (ﷺ): لو سلك الناس واديًا وسلك الأنصار شعبًا، لسلكت شعب الأنصار، هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحيا محياكم والممات مماتكم.

وعنه (ﷺ) أنه قال: الأنصار شعار، والناس دثار.

وعنه (ﷺ) أنه قال: الأنصار أعفة صبر.

باب فضل الحسن والحسين وآل البيت (رضي الله عنهم)

عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله يقول: من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني.

وعن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي يقول: كان رسول الله (ﷺ) يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله (ﷺ) من المنبر فحملهما، ووضعهما بين يديه وقال: صدق الله: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (الأنفال: ٢٨).

نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق.

قال (ﷺ) النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم من السماء أتى أهل السماء ما يوعدون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يوعدون.

عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): إن الحسن ابني أشبه الناس برسول الله (ﷺ) ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أسفل من ذلك.

أقبل الحسن والحسين والنبي (ﷺ) جالس فاستقبلهما وحملهما على كتفه، وقال: نعم المطيُّ مطيكما، ونعم الراكبان أنتما، وأبوكما خير منكما.

وعنه (ﷺ) أنه قال: من حفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهدًا.

قال (ﷺ): أنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعليٌّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، ومحبونا ورقتها، وأصل الشجرة في جنة عدن وسائرها سائر الجنان.

وقال (ﷺ): إن الله (عز وجل) جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي وإني سائلكم غدًا فمجحف بكم في المسألة.

وقال (ﷺ): استوصوا بأهل بيتي خيرًا، فإني مخاصمكم عنهم غدًا، ومن أكن خصمه أخصمه، ومن أخصمه دخل النار.

وكان النبي (ﷺ) إذا خرج كان آخر عهده بفاطمة وإذا رجع كان أول عهده بفاطمة، فلما رجع من غزوة تبوك وجدها أرخت على بابها سترًا مصبوغًا بالزعفران فلم يدخل وعلمت فهتكت الستر فقال لها: كذلك فكوني فداك أبي وأمي.

وقال (ﷺ) لعلي بن أبي طالب أوتيت ثلاثًا لم يؤتهن أحد -ولا أنا- أوتيت صهرًا مثلي ولم أوت أنا مثلي، وأوتيت صدِّيقة مثل ابنتي ولم أوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسن من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما، ولكنكم مني وأنا منكم.

وعن رسول الله (ﷺ) قال: تحشر ابنتي فاطمة ومعها ثياب مصبوغة فتتعلق بقائمة من قوائم العرش فتقول: يا عدل يا جبار احكم بيني وبين قاتل ولدي، فيحكم لابنتي ورب الكعبة.

وقال (ﷺ): يا علي إذا كان يوم القيامة كنت وولداك على خيل بلق، متوجين بالدر والياقوت، فيأمر الله بكم إلى الجنة والناس ينظرون.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: أحبُّوا الله لما يغذوكم من نعمة، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي.

وقد سمعت السيدة أم سلمة والسيدة عائشة (رضي الله عنهما) رسول الله (ﷺ) وقد ألصق ظهره إلى ظهر علي وفاطمة والحسن على يمينه والحسين على يساره ثم عمهم بالعباء حتى غطاهم وقد رفع طرفه إلى السماء وأشار بسبابته: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فسالم من سالمهم وحارب من حاربهم، اللهم وال من والاهم، وعاد من عاداهم، وانصر من نصرهم، واخذل من خذلهم: وقال رسول الله: وجبريل حاضر فأمن على الدعاء وقال: وأنا معكم يا محمد؟ فقال: نعم.

عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال رسول الله (ﷺ): أنا وفاطمة والحسن والحسين وعلي في حظيرة القدس، في قبة بيضاء، سقفها عرش الرحمن قال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله (ﷺ): إني مخلف فيكم الثقلين:

كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، سبب بيد الله وسبب

بأيديكم، وعترتي أهل بيتي، ألا وأنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

أقبلت فاطمة (رضي الله عنها) تبكي فسألها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت إن الحسن والحسين خرجا فلا نعرف مكانهما، فدعا النبي (صلى الله عليه وسلم) ربه فنزل جبريل فأخبره أنهما نائمان في حظيرة بني النجار، فقام النبي (صلى الله عليه وسلم) والصحابة فوجدوهما كمال قال جبريل نائمين، الحسن معانق الحسين وانكبَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) يقبلهما حتى انتبها فحملهما الحسن على عاتقه الأيمن والحسين على عاتقه الأيسر.

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلا منافق شقي.

روى ابن عباس قال: جاء العباس إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: إنك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): لا يبلغوا الإيمان حتى يحبوكم لله ولقرابتي.

وعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: من آذاني في أهل بيتي فقد آذى الله (عز وجل)، ومن أعان على أذاهم وركن إلى أعدائهم فقد أذن بحرب من الله، ولا نصيب له غدًا في شفاعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إن الولد ريحانة من الله قسمها بين العباد، وإن ريحانتي من الدنيا: الحسن والحسين.

وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يصلي فجاء الحسن والحسين يركبان ظهره، فانصرف، فوضعهما في حجره، فجعل يقبل هذا مرة، ويشم هذا مرة، فقال قوم: أتحبهما يا رسول الله؟ فقال: ما لي لا أحب ريحانتَيّ من الدنيا، وعن جابر بن عبد الله

قال: دخلت على النبي (ﷺ) وهو يمشي على أربع، والحسن والحسين على ظهره، وهو يقول: نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما.

وعن أسامة بن زيد قال: طرقت رسول الله (ﷺ) ذات ليلة لبعض الحاجة فخرج إليّ وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشف فإذا الحسن والحسين على ركبتيه فقال: هذان ابناي، وابنا ابنتي، اللهم إنك تعلم أني أحبهما فأحبهما، اللهم إنك تعلم أني أحبهما فأحبهما، اللهم إنك تعلم أني أحبهما فأحبهما.

أمرت أم حذيفة بن اليمان، حذيفة أن يذهب إلى رسول الله (ﷺ) ليستغفر لهما، فجاءه فدعا له ولأمه وقال له: أما رأيت الرجل الذي كان عندي آنفًا، قلت: بلي يا رسول الله قال (ﷺ): ذاك ملك لم يهبط إلى الدنيا قط، وإنه استأذن الله (عز وجل) في السلام عليّ وبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كان نبي الله (ﷺ) يعوذ الحسن والحسين: أعوذ بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، ويقول (ﷺ): هكذا كان إبراهيم يعوذ ابنَيْه إسماعيل وإسحاق، وكان يقول عليهما.

عن أنس بن مالك قال: كنت جالسًا عند النبي (ﷺ) والحسن والحسين يصطرعان والنبي (ﷺ) يقول: هيّ حسن، فقلت: يا رسول الله أتعين الكبير على الصغير، فقال: إن جبريل (عليه السلام) يقول: هيّ حسين.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) كان يقبلِ الحسن بن علي (رضي الله عنه) فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحدًا منهم قال رسول الله (ﷺ): من لا يرحم لا يُرحم.

وفي حديث عن جابر بن عبد الله لما ولدت فاطمة الحسن قالت لعلي سمِّه، فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله (ﷺ) ثم أخبر رسول الله فسأل الله (عز وجل) الذي أنزل جبريل بالسلام والتهنئة وأن عليا منه (ﷺ) بمنزلة هارون من موسى وأن الله يأمره بتسمية الحسن باسم ابن هارون وكان اسمه شبر. وقال رسول الله (ﷺ) لساني عربي قال جبريل: فسمه الحسن فسماه الحسن.

وفي رواية أخرى أنهم سموا الحسن حربًا فسماه النبي (ﷺ) الحسن ثم سموا الحسين حربا فسماه النبي حسينًا وكذلك الثالث فسماه النبي (ﷺ) محسن.

ونزل جبريل على النبي (ﷺ) في بيت عائشة وكان الحسين على ركبته وأخبره أن أمته (ﷺ) تقتله وأشار جبريل إلى الطَّف بالفراق فأخذ تربة حمراء فأراه إياها.

وبلغ النبي (ﷺ) بعد دخول مكة أن عليا خطب أم جميل بنت أبي جهل فأغضبه (ﷺ) ذلك وخطب الناس فقال: لا تجمع بنت حبيب الله وبين ابنة عدو الله، إنما فاطمة شجنة مني يسرني ما يسرها.

وعن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال لفاطمة: يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك.

عن أبي هريرة أن سبيعة بنت أبي لهب جاءت إلى النبي (ﷺ) فقالت: يا رسول الله إن الناس يصيحون بي يقولون: إني ابنة حطب النار فقام رسول الله (ﷺ) وهو مغضب شديد الغضب، فقال: ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي، ألا من آذى قرابتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى. قال رسول الله (ﷺ): من اصطنع إلى أحد من أهل بيتي معروفًا يعجز عن مكافأته في الدنيا كنت أنا المكافئ له عنه يوم القيامة.

أكل رسول الله (ﷺ) عند عليّ ثم وضأه فاستقبل القبلة فدعا الله (عزوجل) ما شاء، ثم أكبَّ على الأرض بدموع غزيرة مثل القطر فهاب أحد أن يكلمه حتى وثب الحسين وسأله (رضي الله عنه) فقال (ﷺ): يا بني إني سررت بكم اليوم سرورًا لم أسر به قط، وإن جبريل حبيبي (عليه السلام) أتاني فأخبرني أنكم قتلى وأن مصارعكم شتى فأحزنني ذلك فدعوت الله (عزوجل) لكم بالخيرة فقال الحسين: فمن يزورنا على تشتتنا ويتعاهد قبورنا، فقال رسول الله (ﷺ): طائفة من أمتي يريدون بذلك بري وصلتي، إذا كان يوم القيامة زرتهم بالموقف فأخذت بأعضائهم فأنجيهم من أهواله وشدائده.

كان النبي (ﷺ) مع ابن عباس جالسين إلى حائط على باب فاطمة عندما لم يجبه أحد فخرج الحسن وقد غسل وجهه فبسط النبي (ﷺ) يديه فمدهما ثم ضم الحسن إلى صدره وقبله وقال: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين.

كان النبي (ﷺ) عند أم المؤمنين زينب بنت جحش والحسين يحبو في البيت فغفلت عنه حتى بلغ النبي وهو نائم فبال على بطنه (ﷺ) فأرادت إبعاده فقال النبي: دعي ابني، فلما قضى بوله أخذ كوزًا من ماء فصب عليه.

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: خرج النبي (ﷺ) غداة وعليه مرط مرجَّل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله معه، ثم جاء الحسين فأدخله معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه، ثم جاء على فأدخله معه ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ (الأحزاب: ٣٣) وعن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه قال: رأيت رسول الله (ﷺ) أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة.

وأخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة وألقاها في فيه، فأخذها رسول الله (ﷺ) بلعابها فألقاها وقال: أما علمت أنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة.

ولقى أبو هريرة الحسن بن علي (ﷺ) فقال: رأيت رسول الله (ﷺ) قبل بطنك فاكشف الموضع الذي قبَّل رسول الله (ﷺ) حتى أقبله، قال فكشف له الحسن فقبله.

فصل في المهدي وأنه من أهل البيت

قال النبي (ﷺ): لا تذهب الدنيا حتى يملكها رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلًا وقسطًا، كما ملئت جورًا وظلمًا.

وعنه (ﷺ) أنه قال: بنا أهل البيت بدأ الله (عز وجل) وبنا يختم الدنيا.

باب ما جاء في فضائل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

فصل: في فضل أبي بكر الصديق

هو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة، واسم أبي قحافة: عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وهو ابن عم النبي (ﷺ) لأن تيم جد أبي بكر، وكلاب بن مرة جد النبي (ﷺ). وتيم وكلاب أخوان، ابنا مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر التيمي القرشي.

وقيل: إن اسم أبي بكر: عتيق بن عثمان، وأن اسمه كان عبد الله، فقال له رسول الله (ﷺ): أنت عتيق الله من النار، فسمى عتيقًا قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله (ﷺ): إن أهل الدرجات العلى ينظرون إلى من هو أسفل منكم كما تنظرون إلى الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر من أولئك وأنعما.

وقال (ﷺ): حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهم كفر، وحب الأنصار إيمان وبغضهم كفر، وحب العرب إيمان وبغضهم كفر.

قال (ﷺ): أبو بكر وعمر بمنزلة السمع والبصر.

عن ابن عباس (ﭫ)، عن النبي (ﷺ) قال: إن لي وزيرين من أهل الأرض، ووزيرين من أهل السماء، فوزيراي من أهل السماء: جبريل وميكائيل، ووزيراي من أهل الأرض: أبو بكر وعمر.

وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال لعلي (ﭬ): أبو بكر، وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي.

وعن ابن عباس: في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩) قال: أبو بكر وعمر (ﭫ).

كان رسول الله (ﷺ) في مسجد بني سالم يضع يده على يد عليّ يعظه وينصحه حتى أقبل أبو بكر وعمر (ﭫ) ماشيين من قبل قباء فقال النبي (ﷺ) لعليّ (ﭬ) أتحبهما؟ قال: إي والله يا رسول الله إني لأحبهما، وقد ازددت لهما حبًا، قال: أجل حبَّهما فإن حبهما إيمان وبغضهما نفاق.

عن أنس أن علي بن أبي طالب أقبل ورسول الله (ﷺ) في المسجد وظل يبحث عن مكان يجلس فيه وكان أبو بكر على يمينه (ﷺ) فتزحزح له عن مجلسه ثم قال: ها هنا يا أبا الحسن، فجلس بينه وبين رسول الله قال أنس: فعرفت السرور في وجه رسول الله (ﷺ) فقال (ﷺ): يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل.

سار أبو الدرداء أمام أبي بكر (ﭬ) فرآه النبي (ﷺ) فقال له: أتمشي أمام من هو خير منك، إن أبا بكر خير من طلعت عليه الشمس أو غربت.

عن ابن مسعود، عن النبي (ﷺ) قال: لو كنت متخذًا من الناس خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، لكن خلة الإسلام أفضل.

وروى أبو هريرة عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: ما نفعني مال قط، ما نفعني

مال أبي بكر، فقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟

وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: من اتبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا قال: من عاد منكم اليوم مريضًا؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله (ﷺ): ما اجتمعت هذه الخصال في رجل قط إلا دخل الجنة.

وعن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم.

قال أبو بكر: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا تحت قدميه، فقال النبي (ﷺ): يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

وابتاع أبو بكر الصديق بلالًا بخمسة أواق -مئتا درهم- فقالوا له حين ابتاعه: لو أبيت إلا أوقية واحدة لبعناك، قال أبو بكر:

لو أبيتم إلا مئة أوقية لأخذته.

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: أفرس الناس ثلاثة: المرأة التي تفرست في موسى (عليه السلام) فقالت لأبيها ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ (القصص: ٢٦) والملك حين تفرس في يوسف الصديق (عليه السلام) والقوم فيه زاهدون، وأبو بكر حين تفرس في عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فاستخلفه.

فصل في فضائل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدي بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي، وهو ابن عم النبي (ﷺ) لأن عديا جد عمر، ومرة جد النبي (ﷺ) ومرة وعدي أخوان، ابنا كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك

ابن النضر -وهو قريش- كنيته: أبو حفص ولقبه الفاروق.

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ): نزل الحق على لسان عمر وقلبه، ورضيت لأمتي ما رضي لها عمر.

كانت امرأة عمر اسمها عاصية فأسلمت، فأتت عمر فقالت: قد كرهت اسمي فسمني، فقال: أنت جميلة، فغضبت، وقالت: ما وجدت اسمًا سميتني إلا اسم أمة، فأتت رسول الله (ﷺ): فقالت: يا رسول الله إني كرهت اسمي فسمني، فقال: أنت جميلة، فقالت: يا رسول الله إني أتيت عمر فسألته أن يسميني فقال: أنت جميلة، فغضبت فقال رسول الله (ﷺ): أما علمت أن الله (عز وجل) عند لسان عمر وقلبه. وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ﷺ) قال: من أبغض عمر فقد أبغضني، ومن أحب عمر فقد أحبني، وإن الله تبارك وتعالى باهى ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة عامة، وإنه باهى ملائكته بعمر بن الخطاب خاصة، وإنه لم يبعث نبي قط إلا كان في أمته من يحدِّث، وإن يكن في أمتي، فعمر، قيل: يا رسول الله كيف يحدث؟ قال (ﷺ): تتكلم الملائكة على لسانه.

عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: بينا أنا نائم إذا أتيت بقدح لبن فشربت منه، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم.

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قميص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدين.

وعن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله (ﷺ): عمر أول من يصافحه الحق

بعدي ويسلم عليه، ويأخذ بيده حتى يدخله الجنة وعن عمر بن الخطاب قال: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت من المقام قبلة، فأنزل الله (عز وجل) ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥) وقلت: إنه يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (الأحزاب: ٥٣) واجتمع نساء النبي (ﷺ) في الغيرة، فقلت: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارًا، فنزلت الآية. قال أبو سعد (رحمه الله): لو لم يكن لابن الخطاب فضيلة غيرهن لكان كافيًا.

وقال عبد الله الشيباني: إن عمر وافق ربه في أحد عشر موضعًا بالإضافة إلى الثلاثة السابقة منها، لما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (المؤمنون: ١٢) إلى ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ (المؤمنون: ١٤) وعند النبي عمر، فقال عمر: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٤) فقال النبي (ﷺ): والذي نفسي بيده إنها ختمت بما تكلمت.

لقي يهودي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال له: إن جبريل (عليه السلام) الذي يذكره صاحبك هو عدو لنا، فقال له عمر: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨) فنزلت الآية على لسان عمر.

وقف عمر في صدر رسول الله (ﷺ) عندما أراد الصلاة على عبد الله ابن أبيّ وقال: يا رسول الله أو على عدو الله ابن أبيّ القائل يوم كذا وكذا فنزلت: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ (التوبة: ٨٤).

و﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ (البقرة: ٢١٩).

و﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (النساء: ٤٣).

وأكثر رسول الله الاستغفار لقوم، قال عمر: سواء عليهم، فأنزل الله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ (المنافقون: ٦).

وعندما استشار النبي (ﷺ) الصحابة في أمر بدر، فأشار عمر بالخروج. فنزلت: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ (الأنفال: ٥).

وفي قصة الإفك فقال عمر: من زوجكها يا رسول الله؟ قال: الله، قال: أفتظن أن ربك دلس عليك فيها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

ولما جامع زوجته في الصيام بعد الانتباه وكان ذلك محرمًا في أول الإسلام فنزل: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ﴾ (البقرة: ١٨٧).

واختصم رجلان إلى النبي (ﷺ) فقضى بينهما فقال الذي قضى عليه: ردنا إلى عمر فخرج عمر فقتل أحدهما وهرب الآخر فنزلت: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (النساء: ٦٥) فأهدر دم الرجل وبرؤ عمر من قتله. وفي الاستئذان في الدخول، وذلك أنه دخل عليه غلامه، وأخذ الرسول بقول أبي بكر في أسارى بدر فعفا عنهم وقال عمر بقتلهم فأنزل الله (عز وجل) ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (الأنفال: ٦٧).

وعن أنس أن رسول الله (ﷺ) قال: دخلت الجنة فرأيت فيها قصرًا من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لفتى من قريش، فظننت أني أنا هو، فقيل لي هو لعمر بن الخطاب، فسمعت فيه الأصوات، فذهبت لأدخله، فذكرت غيرتك فرجعت، فقال: عمر: أو عليك أغار يا رسول الله.

وروي أن عمر بن الخطاب (ﷺ) بعث جيشًا، وأمَّر عليهم سارية، فبينا عمر يخطب على المنبر فصاح: يا سارية الجبل الجبل، فعاد الجيش سالمًا.

وسألهم فقالوا : إنهم لقوا العدو يوم الجمعة وقت الزوال فقاتلوهم فهزموهم فسمعنا صائحًا يقول: يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله، فقيل لعمر إنك كنت تصيح بذلك.

وجاء إليه رسول الروم وسأل: أين ملك العرب؟ قالوا : نائم في المسجد فرآه نائمًا ودرته تحت رأسه فقال: عدلت فأمنت فنمت.

ورئي أثر السوط على ظهر عمر فسُئل ابنه عبد الله فقال: سبحان الله ومن يضرب أمير المؤمنين، إنه لا ينام كل ليلة حتى يحاسب نفسه ثم إن له ليلة كل أسبوع يخلو فيها لنفسه.

وقال رسول الله (ﷺ): لو كان بعدي نبي لكان عمر.

وروي أن عمر لما وضع على سريره وسجِّي عليه الثوب، أقبل عليّ ومعه الحسن والحسين حتى قام وقال: رحمك الله وجزاك عن الإسلام وأهله خيرًا ما من الناس أحد أحب إلي أن ألقى الله بكتابه بعد النبي (ﷺ) وأخيه الماضي من هذا المسجى.

رؤي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يومًا وعلى ظهره قربة ماء، فقيل له: نحن نكفيكها يا أمير المؤمنين، فقال: إنه قد أتاني وفود العرب، وإن نفسي خرجت عليّ، فأحببت أن أكسرها بهذا.

وقال (ﷺ): اللهم أعز الإسلام بعمر، وفي رواية: اللهم أيد الإسلام بعمر، عن ابن عباس قال: دخلت على عمر حين أصيب، فقلت: مصَّر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، وفعل بك وفعل فقال: وددت أني أنجو منها، لا أجر ولا وزر.

وقال عمر (رضي الله عنه) لعائشة: أتأذنين أن أقبر في حجرتك هذه وأعوضك؟ ثم قال: إذا مت فاغسلوني وكفنوني واستأذنوا لي على رسول الله (ﷺ) فإن

أذن فادفنوني معه ففعلوا ثم أتوا باب الحجرة واستأذنوا فسمعوا صوتًا: أن ادخلوا الحبيب على الحبيب، فإن الحبيب إلى الحبيب مشتاق فقبر ثم، وانتقلت عائشة (﵂) إلى دار في وجه القبلة، فقيل لها: لم انتقلت يا أم المؤمنين؟ قالت: إن رسول الله (ﷺ) روحي وإن أبا بكر (ﷺ) كان أبي، وإني ربما أكشف عن رأسي وعمر (ﷺ) من الأجانب لا أحب أن يراني.

فصل في فضائل عثمان بن عفان (ﷺ)

وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وهو ابن عم رسول الله (ﷺ) لأن عبد شمس جد عثمان، وهاشم جد النبي (ﷺ)، وهاشم وعبد شمس أخوان، ابنا عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش.

كنيته (ﷺ): أبو عمر، وأبو عبد الله، ولقبه: ذو النورين.

عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله (ﷺ): إن لكل نبي رفيقًا ورفيقي في الجنة عثمان بن عفان.

حض النبي (ﷺ) على جيش العسرة فلم يجبه إلا عثمان بن عفان (ﷺ) فقال: يا رسول الله مئة بعير بأحلاسها وأقتابها عون في هذا الجيش، ثم حضض (ﷺ) فلم يجبه إلا عثمان فقال: يا رسول الله مئتا بعير بأحلاسها وأقتابها عون في هذا الجيش، ثم حضض (ﷺ) فلم يجبه إلا عثمان فقال: يا رسول الله ثلاثمئة بعير بأحلاسها وأقتابها عون في هذا الجيش، فقال رسول الله (ﷺ): ما على عثمان ما عمل بعد اليوم.

عن ابن عباس (ﷺ) قحط الناس على عهد أبي بكر الصديق، فلا مطر ولا نبات، وجاءت تجارة لعثمان من الشام، فتدافع عليه التجار فسألهم الربح

فزادوه خمسة للعشرة أعلى ربح، لكنه فضل التجارة مع الله حيث الدرهم بعشرة وقال: فإني أشهد الله (عَزَّوَجَلَّ) أني قد جعلت هذا الطعام صدقة على فقراء المسلمين، ورأى ابن عباس النبي (ﷺ) في الجنة يبادر، وقال: يا ابن عباس إن عثمان بن عفان تصدق بصدقة، وإن الله تعالى قد قبله منه، فزوجه بها عروسًا في الجنة، وإنا قد دعينا إلى عرسه.

وعن عائشة أن النبي (ﷺ) كان مضطجعًا عندها كاشفًا عن ساقيه ودخل أبو بكر ثم استأذن فأذن له وهو كذلك، ثم دخل عمر، وتحدث ساعة ثم انصرف فأذن له وهو كذلك ثم استأذن عثمان فسوى رسول الله ثيابه وجلس ثم أذن له فلما خرج قالت عائشة: يا رسول الله لم أرك عرفت لأبي بكر وعمر مثل ما عرفت لعثمان، قال (ﷺ): إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت إن أذنت له وأنا على تلك الحال ألا يبلغ في حاجته، وفي بعض الروايات أنه (ﷺ) قال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة.

وبايع رسول الله (ﷺ) لعثمان في بيعة الرضوان وفي يوم بدر ضرب لهم بسهم ولم يضرب لأحد غاب عنها غيره.

وأبى النبي (ﷺ) أن يصلي على جنازة فقال: إنه كان يبغض عثمان، فأبغضه الله، وعن ابن عباس (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أن رسول الله (ﷺ) قال: يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة، فاطلع عثمان بن عفان.

وقال عثمان (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) في بعض حديثه ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت رسول الله (ﷺ).

عن ابن عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أن النبي (ﷺ) قال: والذي بعثني بالحق نبيًا، ما من نبيّ أوحى الله إليه من ولد آدم أمره أن يزوج ابنتيه رجلاً واحدًا إلا أنا، أمرني الله فزوجت ابنتي عثمان، وما زوجته إلا بوحي من السماء.

فكان عثمان إذا لقيه ابن عمر سلم عليه وقال له: يا ذا النورين. كانت السيدتان عائشة وحفصة (رضي الله عنهما) جالستين مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأراد بعض أصحابه يتحدث إليه فقالت عائشة أرسل إلي أبي بكر؟ قال: لا، وقالت حفصة: أرسل إلي عمر؟ قال: لا، ولكن أرسلي إلى عثمان، فجاء عثمان ودخل فقمنا وأرخينا الستر، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إنك مقتول مستشهد، فاصبر صبَّرك الله، ولا تخلعن قميصًا قمصك الله ثنتي عشرة سنة وستة أشهر حتى تلقى الله وهو عنك راض، قال عثمان: أستعين بالله، وأسأله الصبر، ادع لي يا رسول الله، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): اللهم صبِّره، وأجبه، فخرج عثمان (رضي الله عنه) فلما أدبر صرخ به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: اصبر صبَّرك الله فإنك سوف تستشهد وأنت صائم فتفطر معي.

كان بعض الصحابة في بيت ابن حشفة وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لينهض كل رجل منكم إلى كفئه، ونهض النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى عثمان فاعتنقه، وقال: أنت وليي في الدنيا والآخرة.

ولما جهز عثمان (رضي الله عنه) جيش العسرة، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أخفيت، وما أبديت، وما هو كائن إلى يوم القيامة.

ودخل (صلى الله عليه وسلم) على رقية فقال لها: كيف تجدين بعلك أبا عمرو؟ قالت: خير بعل يا رسول الله، قال: أكرميه، فإنه أشبه أصحابي بي خلقًا.

وقالت نائلة بنت الفرافصة حين قتلوه: لقد قتلتموه وإنه ليحيي الليلة بالقرآن في ركعة.

وكان عثمان يدعو ويقول: اللهم أحيني سعيدًا، وأمتني شهيدًا وقال أبو

هريرة (رضي الله عنه): اشترى عثمان (رضي الله عنه) الجنة من النبي (صلى الله عليه وسلم) مرتين: حيث حفر للنبي (صلى الله عليه وسلم) بئر رومة، وحيث جهز جيش العسرة.

وكان عثمان قد اشترى بئر رومة من صلب ماله، وألقى عليها الدلو وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد ضمن له الجنة، واشترى البقعة التي زاد في المسجد وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد ضمن له الجنة لأجلها، لأن المسجد ضاق بأهله.

ليلة حاصروه أشرف عليهم فذكرهم بما قدمه لهم من شرائه بئر رومة وتوسعة المسجد وتجهيز جيش العسرة وكل ذلك من صلب ماله وأنهم يمنعونه من صلاة ركعتين وأن جبل ثبير تحرك حتى تساقط حجارته بالحضيض فركضه النبي (صلى الله عليه وسلم) برجله، وقال: اسكن، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان؟ فقالوا: اللهم نعم قال: سمعته يقول: الله أكبر، شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد، ثلاثًا، ثم دخلوا عليه وقتلوه رضوان الله عليه.

فصل: في فضائل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

سمع أبو أيوب وخباب بن الأرت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وقال عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لعلي ثلاثة أشياء، لو كان لي واحدة منها لكان أحب إلي من حمر النعم: أحدها إعطاؤه الراية يوم خيبر، وتزويج فاطمة إياه، وسد الأبواب إلا باب علي.

وكان المسلمون بغدير خم في حجة الوداع ونودي: الصلاة جامعة، فأخذ

النبي (ﷺ) بيد علي فقال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى قال (ﷺ): أليس أزواجي أمهاتهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: فإن هذا المولى من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئًا لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

عن أنس بن مالك قال: كنت جالسًا عند رسول الله (ﷺ) فأهدي إليه طائر فقال (ﷺ): اللهم ائتني بأحب خلقك إليك، فجاء علي بن أبي طالب، فاستأذن فأذن له، فأكل معه الطير.

وشبه (ﷺ) عليًا بهارون (عليه السلام) فصاحة وبيانًا فقال (ﷺ): أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة؛ لأنه كان أخاه وخليفته وخلفه (ﷺ) بالمدينة في غزوة تبوك فقالوا: قد مله وكره صحبته، فتبع علي النبي وأخبره بما قالوه فقال: يا علي إنما خلفتك على أهلي، أما ترضى أن تكون بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي.

كان علي بن أبي طالب يلبس ثياب الشتاء في الصيف، وثياب الصيف في الشتاء وقد دعا له رسول الله يوم خيبر بعدما تفل في عينه وهو أرمد وقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد، فما وجد حرًا ولا بردًا.

مر ابن عباس وقد كف بصره بقوم من أهل الشام ينالون من علي بن أبي طالب فقال لهم: أيكم الساب الله (عز وجل) ومحمدًا (ﷺ)؟ فقالوا: ما فينا أحد سب الله أو محمدًا، ثم قال: أيكم الساب عليًا؟ قالوا: أما هذا فنعم، قال: فإني أشهد، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: من سب عليًا فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أكبّه الله على منخريه في نار جهنم.

وأخذ رسول الله (ﷺ) شعر علي وقال (ﷺ): من آذى شعرة منك فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فعليه لعنة الله.

وروى عمار بن ياسر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول لعلي: طوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك.

نظر النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فقال: أنت سيد في الدنيا، والآخرة، من أحبك فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله (عَزَّ وَجَلَّ).

وقال علي بن أبي طالب: والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إنه لَعَهِدَ إليَّ النبي الأمي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق وعن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): إذا كان يوم القيامة ضربت لي قبة من ياقوتة حمراء على يمين العرش، وضربت لإبراهيم قبة من ياقوتة خضراء على يسار العرش، وضربت فيما بيننا لعلي بن أبي طالب قبة من لؤلؤة بيضاء، فما ظنكم بحبيب بين خليلين وقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حقُّ علي بن أبي طالب على المسلمين كحق الوالد على ولده.

وعن أبي ذر وسلمان قالا: أخذ النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بيد علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فقال: ألا إن هذا أول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين.

وقال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): إن عليًا لم يشرك بالله ساعة قط، ولم يشرب الخمر، ولم يعبد اللات والعزى قط، ولم ينكث قط.

وقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): يا عليّ فيك مثل من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس هو بها.

وعن علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: يخرج في آخر الزمان قوم لهم نبز يقال

لهم: الرافضة، ينتحلون شيعتنا وليسوا بشيعتنا، وآية ذلك أنهم يسبُّون أبا بكر وعمر (ﭫ) فإذا رأيتموهم فاقتلوهم، فإنهم مشركون.

باب فضائل الأربعة، وسائر الصحابة (ﭫ) أجمعين

عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله (ﷺ): أبو بكر في الجنة، عمر في الجنة، عثمان في الجنة، عليّ في الجنة، عبد الرحمن في الجنة، سعد في الجنة، طلحة في الجنة، الزبير في الجنة، سعيد بن زيد في الجنة، أبو عبيدة بن الجراح في الجنة.

روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ): أرحم أمتي بأمتي: أبو بكر، وأشدهم في أمر الله: عمر، وأصدقهم حياء: عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله: أبيٌّ بن كعب، وأفرضهم: زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام: معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة: أبو عبيدة بن الجراح.

وعن علي بن أبي طالب (ﭬ) قال: قال رسول الله (ﷺ): رحم الله أبا بكر، زوجني ابنته عاشة، وحملني إلى دار الهجرة، وأعتق بلالاً من ماله، رحم الله عمر، يقول الحق وإن كان مرًا تركه الحق وماله من صديق، رحم الله عثمان، تستحي منه الملائكة رحم الله عليًا، اللهم أدر الحق معه حيث دار.

وعن أبي موسى الاشعري قال: كنت مع رسول الله (ﷺ) في حائط فجاء رجل فسلم فقال النبي (ﷺ) اذهب، فأذن له وبشره بالجنة، قال: فذهبت، فإذا هو أبو بكر الصديق، فقلت: ادخل وأبشر بالجنة، فما زال يحمد الله حتى جلس ثم جاء آخر فسلم فقال النبي (ﷺ) أذن له وبشره بالجنة، قال: فذهبت فإذا عمر بن الخطاب، فقلت: ادخل وأبشر بالجنة، فما زال يحمد الله حتى جلس، ثم جاء آخر، فسلم، فقال النبي (ﷺ): اذهب فأذن وبشره بالجنة بعد بلاء شديد، فانطلقت فإذا هو عثمان بن عفان (ﭬ)، فقلت: ادخل وأبشر

بالجنة على بلوى شديدة، فجعل يقول: اللهم صبرًا، حتى جلس.

وجاء ناس إلى ابن عباس فقالوا: جئنا نسألك، قال: فاسألوا عما شئتم، قالوا: أي رجل كان أبو بكر؟ قال: الخير كله على حدة كانت فيه، قالوا: فأي رجل كان عمر؟ قال: كالطير الحذر الذي يظن أن له في كل طير شرك يأخذونه، قالوا: فأي رجل كان عثمان؟ قال: ألهته نومته عن يقظته، قالوا: فأي رجل كان علي؟ قال: ملئ جوفه حكمًا وعلمًا وقرابة من رسول الله (ﷺ) وبأسًا ونجدة، فظن أنه لا يمد يده إلى شيء إلا ناله، قال: فما مد يده إلى شيء فناله.

قال أبو ذر (رضي الله عنه): رأيت رسول الله (ﷺ) أخذ سبع حصيات فوضعهن في كفه فسبحن حتى سمع لها حنين كحنين النحل فوضعهن فخرسن، ثم تناولهن فوضعهن في كف أبي بكر فسبَّحن حتى سمع لها حنين كحنين النحل، ثم في كف عمر، ثم في كف عثمان، ثم في كف علي ثم قال: هؤلاء الخلفاء من بعدي.

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): إن لحوضي أربعة أركان: فالركن الأول في يد أبي بكر، والثاني في يد عمر، والثالث في يد عثمان، والرابع في يد علي، فمن كان محبًا لأبي بكر مبغضًا لهم لم يسقه أبو بكر، ومن كان مبغضًا لأبي بكر محبًا لعمر لم يسقه عمر، ومن كان محبًا لعثمان مبغضًا لعلي لم يسقه عثمان، فمن أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليًا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحابي برئ من النفاق، ومن أساء القول في أصحابي فهو منافق.

وروى أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: خرج رسول الله (ﷺ) من باب المدينة وهو

متكئ، يمينه على أبي بكر، وشماله على عمر، وعثمان آخذ بطرف ثوبه، وعليّ من بين يديه فقال: هكذا ندخل الجنة، فمن فرق بيننا فعليه لعنة الله (عَزَّوَجَلَّ).

وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): لا يجتمع حب هؤلاء الأربعة إلا في قلب مؤمن: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي.

عن عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: قال رسول الله (ﷺ): سألت ربي عما يختلف فيه أصحابي من بعدي، فأوحى الله إليّ: يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى.

وعن ابن عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، فقال: لما طعن عمر وأمر بالشورى، دخلت عليه حفصة ابنته، فقالت له: يا أبة إن الناس يزعمون أن هؤلاء الستة ليسوا برضا، فقال: اسندوني - مرتين - قال: فلما أن أسند، قال: ما عسى أن يقولوا في علي بن أبي طالب؟ سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: يدك في يدي يوم القيامة، تدخل حيث أدخل، ما عسى أن يقولوا في عثمان بن عفان؟ سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: يوم يموت عثمان تصلي عليه ملائكة السماء، فقلت: يا رسول الله لعثمان خاصة أم اللناس عامة، فقال: لعثمان خاصة، ما عسى أن يقولوا في طلحة بن عبيد الله؟ سمعت رسول الله (ﷺ) ليلة قربه، وقد سقط رحله فقال: من يسوي لي رحلي وله الجنة، فندب طلحة فسوَّاه له حتى ركب ، فقال النبي (ﷺ): يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول لك: أنا معك يوم القيامة حتى أنجيك من أهوالها. ما عسى أن يقولوا في الزبير، وهو يذب عن وجهه حتى استيقظ، فقال له النبي (ﷺ): يا أبا عبد الله لم تزل؟ فقال: لم أزل بأبي أنت وأمي، فقال: هذا جبريل يقرئك السلام، ويقول: أنا معك يوم القيامة حتى

أذب عن وجهك شرر جهنم، ما عسى أن يقولوا في سعد بن أبي وقاص؟ سمعت رسول الله (ﷺ) يوم بدر وقد أوتر قوسه: أربع عشرة مرة فدفعها إليه ويقول: ارم فداك أبي وأمي، ما عسى أن يقولوا في عبد الرحمن بن عوف؟ رأيت النبي (ﷺ) وهو في منزل فاطمة والحسن والحسين يبكيان جوعًا ويتضوران فقال النبي (ﷺ) من يصلهما بشيء؟ فاطلع عبد الرحمن بصحفة فيها حيس ورغيفان بينهما إهالة، فقال النبي (ﷺ): كفاك الله أمر دنياك، فأما أمر آخرتك، فأنا لها ضامن.

صعد رسول الله (ﷺ) المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال: ما لي أراكم تختلفون في أصحابي؟ أما علمتم أن حبي وحب أهل بيتي وحب أصحابي فريضة على أمتي إلى يوم القيامة؟ ثم قال (ﷺ): أين أبو بكر الصديق، وقال: ها أنا ذا يا رسول الله، قال: ادن مني، فدنا منه فضمه إلى صدره وقبل بين عينيه ورأينا دموع عيني رسول الله (ﷺ) تجري على خديه ثم أخذ بيده وقال بأعلى صوته: معاشر المسلمين هذا أبو بكر الصديق، هذا شيخ المهاجرين والأنصار، هذا الذي أمرني الله أن أتخذه والدًا في الدنيا وخليلًا في الآخرة، هذا صاحبي صدقني حين كذبوني، وآواني حين طردوني، وآنسني حين أوحشوني، وواساني بنفسه وماله، وزوجني ابنته عائشة، واشترى لي بلالًا من ماله، فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين، والله بريء منه، وأنا منه بريء، فمن أحب أن يتبرأ من الله ومني فليتبرأ من أبي بكر الصديق، وليبلغ الشاهد منكم الغائب، ثم قال له: اجلس أبا بكر فقد عرف الله ذلك لك.

ثم قال (ﷺ): أين عمر بن الخطاب؟ فوثب إليه عمر وقال: ها أنا ذا يا رسول الله، فقال: ادن مني، فدنا منه فضمه النبي (ﷺ) إلى صدره وقبّل بين عينيه، ورأينا دموع عيني رسول الله (ﷺ) تجري على خديه، ثم أخذ بيده وقال بأعلى صوته، معاشر المسلمين، هذا عمر بن الخطاب هذا شيخ المهاجرين والأنصار،

هذا الذي أمرني الله أن أتخذه ظهيرًا ومشيرًا، هو الذي أنزل الله الحق على قلبه ولسانه ويده، وهو الذي تركه الحق ماله من صديق، هو الذي يقول الحق وإن كان مرًا، هو الذي لا يخاف في الله لومة لائم، هو الذي يفرق الشيطان من شخصه، هذا سراج أهل الجنة، فعلى مبغضه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، والله منه بريء وأنا منه بريء.

ثم قال (ﷺ): أين عثمان بن عفان؟ فوثب إليه عثمان وقال: ها أنا ذا يا رسول الله، فقال (ﷺ): ادن مني، فدنا منه، فضمه إلى صدره، وقبّل ما بين عينيه، ورأينا دموع عينيه تجري على خديه، ثم أخذ بيده وقال: معاشر المسلمين هذا عثمان بن عفان، هذا شيخ المهاجرين والأنصار، هذا الذي أمرني الله أن اتخذه سندًا وختنا على ابنتي، ولو كان لي ثالثة لزوجتها إياه، هذا الذي استحيت منه ملائكة السماء، فعلى مبغضه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ثم قال (ﷺ): أين علي بن أبي طالب؟ فوثب إليه عليّ وقال: ها أنا ذا يا رسول الله، قال: ادن مني، فدنا منه فضمه إلى صدره، وقبَّل ما بين عينيه، ورأينا دموع رسول الله (ﷺ) تجري على خديه، ثم أخذ بيده وقال بأعلى صوته: معاشر المسلمين، هذا علي بن أبي طالب، هذا شيخ المهاجرين والأنصار، هذا أخي وابن عمي وختني، هذا لحمي ودمي وشعري، هذا أبو السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، هذا مفرج الكرب عني، هذا أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه، فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين، والله منه بريء، فمن أحب أن يتبرأ من الله ومني فليتبرأ من علي بن أبي طالب، وليبلغ الشاهد منكم الغائب، ثم قال: اجلس يا أبا الحسن فقد عرف الله لك ذلك.

ثم قال (ﷺ) بأعلى صوته: معاشر المسلمين، لو عبدتم الله حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، وصليتم حتى تجف الركب

منكم ثم أبغضتم واحدًا من أصحابي العشرة لأكبكم الله في النار على مناخيركم، ثم نزل عن المنبر باكيًا حزينًا.

فصل: ومن فضائل عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما)

روي أنه (صلى الله عليه وسلم) ضم عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) إلى نفسه وقال: اللهم علمه الحكم وفي رواية: اللهم فقهه في الدين، وعلمه التنزيل والتأويل.

وقال (صلى الله عليه وسلم): تلد أم الفضل ولدًا تقرُّ به أعيننا.

عن ابن عباس: حدثتني أم الفضل بنت الحارث: قالت: بينا أنا مارة والنبي (صلى الله عليه وسلم) في الحجر فقال: يا أم الفضل، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: إنك حامل بغلام، قالت: كيف وقد تحالفت قريش ألا يولدون النساء؟ قال: هو ما أقول لك، فإذا وضعتيه فائتني به، فلما وضعته أتت به النبي (صلى الله عليه وسلم) فسماه عبد الله، وألباه من ريقه ثم قال: اذهبي به فلتجدنه كيِّسًا، قالت: فأتيت به العباس فأخبرته فتلبس ثم أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) وكان رجلاً جميلاً مديد القامة فلما رآه النبي (صلى الله عليه وسلم) قام إليه فقبل ما بين عينيه، ثم أقعده عن يمينه ثم قال: هذا عمي، فمن شاء فليباه بعمه، فقال العباس: بعض القول يا رسول الله، قال: ولم لا أقول وأنت عمي، وبقية آبائي والعم والد؟

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كنت مع النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو مقبل على رجل يناجيه، فلما خرجنا من عنده قال العباس: ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني؟ قال: قلت: يا أبت أو ما رأيت الرجل الذي كان معه؟ قال: وكان معه أحد؟ قال قلت: نعم، ما رأيته؟ قال: فرجعنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال أبي: إن عبد الله أخبرني بكذا وكذا، فهل كان عندك أحد تناجيه؟ قال: نعم، رأيته يا عبد الله؟ قلت: نعم، قال: ذاك جبريل هو الذي شغلني عنك.

رأى ابن عباس جبريل مرتين، ودعا له النبي (ﷺ) مرتين.

وقال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.

وقال (ﷺ): لكل كتاب فارس، وفارس القرآن ابن عباس.

فصل: ومن مناقب سعد بن معاذ

روي أن سعد بن معاذ: قطع أكحله، فدعا الله فأمسك عليه عرقه وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال: لقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ، وقد تواتر قول النبي (ﷺ) إن العرش اهتز لموت سعد فرحًا به، وقال (ﷺ) له: لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع سماوات: وروى جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) لسعد وهو يدفن: إن هذا العبد الصالح تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء.

ودخل رسول اله (ﷺ) قبره فاحتبس، فلما خرج قيل: يا رسول الله ما حبسك؟ قال: ضم سعد في القبر ضمة، فدعوت الله أن يكشف عنه.

فصل من فضائل عبد الله بن سلام

كان اليهود يقرون لعبد الله بن سلام (رضي الله عنه) قبل إسلامه أنه سيدهم وابن سيدهم.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت رسول الله (ﷺ) يقول لأحد يمشي على وجه الأرض إنه من أهل الجنة غير عبد الله بن سلام، وفيه نزلت ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ (الأحقاف: ١٠).

وعن مصعب بن سعد، عند أبيه أن النبي (ﷺ) أتي بقصعة فيها ثريد، فأكلوا منها وفضلت فضلة، فقال النبي (ﷺ) يأكل هذه الفضلة رجل من أهل الجنة وكنت تركت أخي عميرًا في البيت يتوضأ فرجوت أن يكون هو

فجاء عبد الله بن سلام فأكلها.

وعن قيس بن عباد قال: كنت بالمدينة فدخلت المسجد فقعدت إلى رهط من أصحاب النبي (ﷺ) قال: وإنا لقعود فدخل علينا رجل في وجهه أثر الخشوع، فقال بعض القوم: هذا رجل من أهل الجنة، وقال آخرون: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر قال: فصلى إلى سارية من المسجد ركعتين تجوز فيهما، ثم خرج فتبعته، فدخل منزله فمكثت على الباب هنيهة حتى ظننت أنه قد استقر في مجلسه، ثم استأذنت عليه فأذن لي، فقعدت عنده فتحدثنا، فلما استئنس بي في حديثه قلت له: إنك لما دخلت المسجد قالوا: كذا وكذا، قال: سبحان الله، ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك عن ذلك إني رأيت رؤيا على عهد رسول الله (ﷺ) فقصصتها عليه: رأيت كأني في روضة خضراء، وفي وسط الروضة عمود من حديد، أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، وفي رأس العمود عروة، فقيل لي: ارق، فقلت: لا أستطيع، فجاءني منصف من خلفي فقال بثيابي من خلفي فرفعه من خلفي فرقيت، حتى إذا كنت في أعلى العمود أخذت العروة بيدي فقيل لي: استمسك، فانتبهت وإن العروة في يدي، فقال رسول الله (ﷺ): أما الروضة الخضراء فالإسلام، وأما عمود الحديد فعمود الإسلام، والعروة عروة الإسلام، ولا تزال على الإسلام حتى تموت، قال: وإذا الرجل عبد الله بن سلام.

ويروى أن معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة قالوا: يا أبا عبد الرحمن أوصنا، فقال: أجلسوني، ثم قال: إن العلم والإيمان مكانهما، من التمسهما وجدهما -قال ذلك ثلاث مرات- العلم، العلم، العلم عند أربعة رهط، عند عامر أبي الدرداء، وعند سلمان، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام، فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إنه عاشر عشرة من الجنة.

فصل: ومن فضائل سلمان الفارسي

اختصم المهاجرون والأنصار في سلمان فقال المهاجرون: هو منا، وقال الأنصار: هو منا، فقال رسول الله (ﷺ) سلمان من أهل البيت، قال: فكان في حيز المهاجرين.

وروي أن رسول الله (ﷺ) قال لأبي الدرداء عويمر: سلمان أفقه منك وقال (ﷺ): إن الله ليرضى برضا سلمان، ويسخط بسخطه.

وقال (ﷺ): إن الجنة أشوق إلى سلمان، من سلمان إلى الجنة.

فصل: من فضائل العباس بن عبد المطلب

قال (ﷺ): العباس بن عبد المطلب عمي.

واستسقى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه عام الرمادة بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا جئناك نستسقيك ونتشفع إليك بعم نبيك، فما انقضى كلامه والناس ينظرون إليهما حتى نشأت سحابة من قبل القبلة، فلم يلبث أن طبقت الأفق، ثم أرملت عزاليها، فأمرغ الله الجبال، وأخصب البلاد وفي ذلك يقول الفضل بن عباس:

بعمي سقى الله الحجاز وأرضها ... عشية يستسقى بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا ... فما كبر حتى جاد بالديمة المطر

فصل: ومن فضائل أبي عبيدة بن الجراح

قدم وفد نجران على رسول الله (ﷺ) فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا القرآن، فأخذ (ﷺ) بيد أبي عبيدة بن الجراح، فأرسله معهم، وقال: هذا أمين هذه الأمة.

فصل: ومن فضائل بلال بن رباح

يروى أن رسول الله (ﷺ) أصبح يومًا فدعا بلالاً فقال: يا بلال، بم سبقتني إلى الجنة، إني دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي؟ قال بلال: يا رسول الله ما توضأت قط إلا صليت ركعتين -أو قال: ما أصابني حدث إلا توضأت عنده، فقال رسول الله (ﷺ): بهذا .

وقال (ﷺ) نعم المرء بلال، إنه سيد المؤذنين، ولا يتبعه إلا مؤمن والمؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة.

وروى أنه (ﷺ) قال: يجمع الله الأولين والآخرين، ثم يجيء بلال على ناقة من نوق الجنة، فيتبعه المؤذنون، فيؤمر بالأذان، فيؤذن، فإذا بلغ قوله: أشهد أن محمدًا رسول الله، شهد أهل الحشر من الأولين والآخرين.

وقال (ﷺ): بلال سابق الحبشة إلى الجنة.

وفي رواية: أول من يقرع باب الجنة بلال المؤذن.

وقال أبو بكر الصديق: يا ليت أمي أم بلال وأبي أبو بلال وأنا مثل بلال.

وكان عمر بن الخطاب (ﷺ) يقول: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا بلالاً .

فصل: ومن فضائل عمار بن ياسر

قال (ﷺ): عمار ملئ إيمانًا إلى مشاشه.

وقال (ﷺ): يا خالد لا تبغض عمارًا فإن من أبغض عمارًا أبغضه الله، ولا تسبَّ عمارًا فإن من سب عمارًا سبه الله.

وروى جابر بن عبد الله أن النبي (ﷺ): مر بياسر وعمار بن ياسر وأم عمار وهم يؤذون في الله ويعذبون فقال: أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة.

روى أبو سعيد الخدري قال: كان المسجد يبنى، فكنا نحمل لبنة لبنة، وحجرًا حجرًا، وكان عمار يحمل لبنتين لبنتين، وحجرين حجرين، فنفض رسول الله (ﷺ) التراب عن رأسه، ومسح بيده على ظهره، وقال: اللهم بارك في عمار، ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية.

فصل: ومن فضائل طلحة والزبير

قال (ﷺ): طلحة ممن قضى نحبه، وقال (ﷺ): لكل نبي حواري، وحواريي الزبير، وفي رواية: لكل نبي حواري، وحواريي طلحة والزبير وقال (ﷺ): طلحة والزبير جاراي في الجنة.

فصل ومن فضائل عبد الله بن مسعود

يروى عن النبي (ﷺ): أنه قال: خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة، وروي عن النبي (ﷺ): أنه قال: رضيت لأمتي ما رضى لهم ابن أم عبد، وكرهت لهم ماكره لهم ابن أم عبد.

فصل: ومن فضائل معاذ بن جبل

ذكر عبد الله بن مسعود، معاذ بن جبل: فقال: إن معاذًا كان أمة قانتًا لله حنيفًا، قال: أتدرون ما الأمة؟ وما القانت؟ الأمة: الذي يعلم الخير، والقانت: المطيع لله ولرسوله.

وعن أنس أنه قال: جمع القرآن أربعة: أبيٌّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد ابن ثابت، وأبو زيد-، كلهم من الأنصار.

فصل: ومن فضائل أبي ذر

قال (ﷺ): ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر.

وقال (ﷺ): من أراد أن ينظر إلى زهد عيسى بن مريم فلينظر إلى زهد أبي ذر، ورُوي أن أبا ذر دخل المسجد ومعه عصا له وقد أخضرت مما يضرب بها الشجر لرعيه غنمه، فرآه محمد بن مسلمة فقال: أما له من يرعى غنمه؟ فبعث إليه ألف درهم وخادمًا، فردها وقال: إن لنا غنيمة، ولنا محرزة أحيانًا نرعاها وأحيانًا ندع، وايم الله إني مشفق من فضل ألبانها ألا نؤدي شكرها.

فصل: ومن فضائل عبد الله بن حُذافة

عن أبي رافع قال: أسر الروم جماعة، فقيل: إن فيهم رجلاً من أصحاب النبي (ﷺ). يقال له عبد الله بن حذافة، فدعا به الملك، فقال: هل لك أن ترجع عند دينك وأشركك في ملكي؟ فقال له: لو أعطيتني ملكك وملك كل ملك ملكته العرب والعجم على أن أرجع عن دين محمد (ﷺ) طرفة عين ما فعلت، قال: إذن أقتلك؟ قال: شأنك، قال: فأمر به فصلب، ثم قال للرماة: ارموا ولا تصيبوا له مقتلاً، ارموه عن يمينه وشماله ومن فوقه ومن تحته، فقال: فكانوا يرمونه، فأبى أن يتنصر، فأمر به فأنزل فقال: ألا تتنصر؟ قال: لا، قال: اذهبوا به فاقتلوه، فذهبوا به ليقتل فبكى عبد الله بن حذافة، فأخبر الملك ببكائه، فقال: ردوه، فرد إليه فقال: تتنصر؟ قال: لا، قال: فلم بكيت؟ قال: بكيت لأن لي جسمًا واحدًا، وددت أن لي بكل شعرة في جسدي روحًا أعذب بها في الله، قال: فتقوم فتقبل رأسي حتى أخلي عنك، قال: أما لنفسي فلا، ولكن أقبل رأسك على أن تخلي هؤلاء الأسرى معي، قال: أفعل، فقام فقبل رأسه وقال: ماذا علي إن قبلت رأسك فتخلص عدة من أسارى المسلمين،

فلما رجع إلى المدينة قام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خطيبًا، وقال: ألا إن عبد الله بن حُذافة فعل كذا وكذا، حق على كل مسلم أن يقبل رأسه، قال: فنزل فقبل رأسه، ثم إن المسلمين قاموا فقبلوا رأسه.

فصل: ومن فضائل أبي أمامة الباهلي

قال أبو أمامة الباهلي: بعثني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى قومي فانتهيت إليهم وهم يأكلون الدم، فقالوا: هلمَّ، فقلت: إنما جئتكم لأنهاكم عنه -وكنت بجهد- فاستهزؤا بي، فسمعت بعضهم يقول لبعض: أتاكم رجل من سراة فوقكم فما لكم بد من أن تتحفوه ولو مذقة، قال: فوضعت رأسي فنمت، فأتاني آت فناولني إناء فأخذته فشربته، فاستيقظت وقد كظني بطني، فناولوني إناء وقالوا: خذ، قلت: لا حاجة لي فيه، قالوا: قد رأيناك تجهد قال قلت: إن ربي أطعمني وسقاني، فأريتهم بطني، فأسلموا عن آخرهم.

فصل: ومن فضائل أنس بن مالك

ودعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأنس بن مالك فقال: اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه، فيقال: ولد له ستة وعشرون ومئة.

وقال (صلى الله عليه وسلم): لكل نبي خادم، وخادمي أنس بن مالك.

فصل: ومن فضائل أبي هريرة

قال (صلى الله عليه وسلم): من أراد أن ينظر إلى حكيم هذه الأمة فلينظر إلى أبي هريرة وقال (صلى الله عليه وسلم): في أبي هريرة: اللهم حبب عُبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين.

وقال (صلى الله عليه وسلم): أبو هريرة وعاء العلم.

قال زيد بن ثابت: كنا جلوسًا فخرج إلينا رسول الله (ﷺ) وجلس إلينا، فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة، وجعل رسول الله (ﷺ): يؤمن على دعائنا، ثم دعا أبو هريرة فقال: اللهم إني أسألك مثل الذي سألك صاحبي هذا، وأسألك علمًا لا ينسى، فقال رسول الله (ﷺ): آمين فقلنا: يا رسول الله (ﷺ) ونحن نسأل الله علمًا لا ينسى، قال: سبقكما به الدوسي.

فصل: ومن فضائل عبد الله بن عمر

روى نافع، عن ابن عمر أنه رأى رؤيا: كأن بيده قطعة من استبرق لا يهوي إلى مكان في الجنة إلا طارت بي إليه، فقصتها حفصة على النبي (ﷺ) فقال: إن أخاك رجل صالح.

وعن جابر بن عبد الله قال: ما منا من أحد أدرك الدنيا إلا وقد مالت به إلا عبد الله بن عمر، وقال (ﷺ): عبد الله بن عمر من وفد الرحمن، وعمار بن ياسر من السابقين، والمقداد بن الأسود من المجتهدين.

فصل: ومن فضائل سعد بن أبي وقاص

وقال (ﷺ): حيث ما دار سعد بن أبي وقاص دار الحق معه.

وقال (ﷺ): ارم فداك أبي وأمي.

فصل: ومن فضائل أسامة بن زيد

قال (ﷺ): من كان يحب الله ورسوله فليحب أسامة.

قال ابن عمر: لما فرض عمر للناس فرض لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف، وفرض لي ألفين وخمسمئة، فقلت: والله ما شهد أسامة قط مشهدًا غبت عنه، وما شهد أبوه مشهدًا غاب عنه أبي، قال: صدقت يا بني، لكن أباه كان أحب إلى

رسول الله (ﷺ) من أبيك، وهو أحب إلى رسول الله (ﷺ) منك، فلذلك فضلته عليك.

فصل: ومن فضائل حاطب بن أبي بلتعة

وفيه: فضل من شهد بدرًا والحديبية

روى جابر بن عبد الله قال: جاء غلام حاطب بن أبي بلتعة إلى النبي (ﷺ) فقال: يا نبي الله، والله لا يدخل حاطب الجنة أبدًا، قال وكان حاطب شديدًا على الرقيق فقال النبي (ﷺ): كذبت، لا يدخل النار من شهد بدرًا والحديبية إن شاء الله.

وعن أبي هريرة: أن النبي (ﷺ) قال: لا يدخل النار من شهد بدرًا وفي رواية: لن يلج النار رجل شهد بدرًا والحديبية -بيعة الرضوان- وقال (ﷺ) لعمر بن الخطاب: وما يدريك؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

فصل: ومن فضائل بعض الصحابة مجتمعين

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): ارحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأشدهم حياء عثمان بن عفان، وأفضلهم علي ابن أبي طالب، ولكل نبي حواري وحواريي طلحة والزبير، وحيث ما دار سعد ابن أبي وقاص دار الحق معه، وسعيد بن زيد من أحباء الرحمن (عز وجل)، وعبد الرحمن بن عوف الزهري من تجار الرحمن، وأبو عبيدة بن الجراح أمين رسوله، ولكل نبي صاحب سر وصاحب سري معاوية بن أبي سفيان، فمن أحبهم فقد نجا، ومن أبغضهم فقد هلك.

وقال (ﷺ): أول من يسقى من حوضي: صهيب الرومي، وأول من يأكل من

ثمار الجنة: أبو الدحداح.

وقال (ﷺ): إن الله أعطى أبا موسى الأشعري مزمارًا من مزامير آل داود.

وقال (ﷺ): خالد بن الوليد سيف الله وسيف رسوله، وحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وحذيفة بن اليمان من أصفياء الرحمن.

وقال (ﷺ): حسان بن ثابت مؤيد بروح القدس.

وقال (ﷺ): جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة في الجنة حيث شاء وقال (ﷺ): أبو سفيان بن الحارث خير أهلنا، وقال (ﷺ): صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة.

فصل: في فضل المصاهرة وحرمة الأصحاب

عن عبد الله بن عمر قال: قال النبي (ﷺ): إني دعوت الله فقلت: اللهم من صاهرت إليه أو صاهر إليّ فأدخله الجنة.

وقال (ﷺ): أصحابي مثل النجوم، فبأيهم اقتديتم اهتديتم.

وقال (ﷺ): من سب أحدًا من أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ألا فلا أناله الله شفاعتي يوم القيامة، ألا فلا سقاه الله من حوضي.

وقال (ﷺ): من سب نبيًا فاقتلوه، ومن سب أصحابي فاجلدوه.

وروى جابر بن عبد الله، عن رسول الله (ﷺ) قال: إذا لعن آخر هذه الأمة أولها، فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد.

وقال رسول الله (ﷺ): إذا ظهرت البدع في أمتي وشتم أصحابي فليظهر العالم علمه، فإن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فقيل: وما

إظهار العلم؟ قال: السنة.

وقال (ﷺ): إن الله اختارني واختار لي أصحابًا، فجعلهم أصهاري وأصحابي، وإنه سيجيء في آخر الزمان قوم ينتقصونهم، فلا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم، ولا تعودوهم إذا مرضوا، ولا تصلوا عليهم إذا ماتوا.

وقال (ﷺ): إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة من شتم الأنبياء، ثم من شتم أصحابي، ثم من شتم المسلمين.

ويروى عنه (ﷺ): أنه قال: مثل أصحابي في أمتي مثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح.

وقال ابن عباس في ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ (النمل: ٥٩) قال: أصحاب محمد، اصطفاهم الله لنبيه (ﷺ).

فصل: في فضل زوجاته (ﷺ)

قال (ﷺ): خير نساء العالمين خمسة: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد (ﷺ) وعائشة بنت أبي بكر من أحب النساء إليّ.

وقال (ﷺ): أزواجي خير نساء أمتي.

فصل: ذكر حديث أويس القرني (رضي الله عنه)

عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم: أويس القرني، وإن أهله ظنوا أنه مجنون، فبنوا له بيتًا على باب دارهم، فكان يأتي عليه السنة والسنتان لا يرون له وجهًا، فكان طعامه مما يلتقط من النوى، فإذا أمسى باعه لإفطاره، وإذا أصاب حشفة حبسها لإفطاره.

ولما ولي عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أخذ يسأل أهل الكوفة في موسم الحج عمن كان من قرن وهل يعرف أويسًا، فقال واحد من القوم: وما سؤالك عنه يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما فينا أحمق منه ولا أجوع فبكى عمر وقال له: ويحك: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: يدخل بشفاعته الجنة مثل ربيعة ومضر.

وذهب هرم إلى أويس فوجده على شاطئ الفرات يتوضأ، وكان أشهب أصهب عريض المنكبين، لحيته تصل إلى صدره، ناصب بعينه موضع السجود، فسلم عليه فأبى المصافحة فبكى هرم وأويس وسماه هرم بن حيان وسأله عن حاله وهذه أول مرة يراه فيها، فسأله هرم كيف عرفه، فقال أويس: نبأني العليم الخبير، وسأله هرم أن يحدثه عن رسول الله (ﷺ) فقال: إنه لم يدركه ولا يجب أن يكون محدثًا أو قاصًا أو مفتيًا وأنه رأى رجالًا قد رأوه وهو في شغل عن الناس فطلب منه هرم بن حيان أن يقرأ عليه آيات من كتاب الله وأن يوصيه لأنه يحبه في الله، فأخذ بيده وقرأ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ (الدخان: ٣٨، ٣٩)، إلى قوله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الدخان: ٤٢)، وشهق شهقة ثم أخبر ابن حيان عن موت أبيه وهو وأن المصير إما إلى جنة وإما إلى نار ثم عدد أسماء الأنبياء حتى سيدنا محمد (ﷺ) وكذلك عمر بن الخطاب، فلما أخبره ابن حيان أن عمر لم يمت أخبره أويس أن الله نعاه إليه ثم أوصاه بذكر الموت وعدم مفارقة الجماعة وسأل الله أن يدخله عليه الجنة لأنه زاره من أجله سبحانه ثم طلب منه أن يفارقه وأن يدعو له كما أنه أويس سيدعو له وفارقه وكان ابن حيان يراه في منامه مرة أو مرتين في الجمعة.

قال أبو هريرة: إن رسول الله (ﷺ) كان بين أصحابه إذ قال: ليصلين معكم غدًا رجل من أهل الجنة وفي الغد صلى رسول الله (ﷺ) حتى انصرف الناس فأقبل رجل أسود متزر بخرقة، حتى وضع يده في يد رسول الله (ﷺ)

ثم قال: يا رسول الله ادع لي بالشهادة، فدعا له رسول الله (ﷺ) وأخبر أبا هريرة أنه من ملوك أهل الجنة وأنه لا يأبه الناس له في الخطبة والاستئذان، والحضور والغيبة والمرض والوفاة وقال رسول الله: هذا أويس القرني وقال عنه رسول الله: إنه يوم القيامة يقال لأويس: قم فاشفع فيشفع ثم طلب رسول الله من عمر وعلي إذا لقياه أن يطلبا منه الاستغفار لهما، وهكذا فعل عمر وعلي في الحج حين سألا عنه قيل لهما: إنه بأراك عرفات فوجداه يصلي إلى شجرة والإبل حوله ترعى، وأرادا أن يعطياه نفقة فأبى وأقبل على العبادة حتى لحق بالله.

فصل: ذكر زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل

عن جابر بن عبد الله قال: سئل النبي (ﷺ) عن زيد بن عمرو بن نفيل فقالوا: يا رسول الله كان يستقبل القبلة، ويقول: اللهم إلهي وإله إبراهيم، وديني دين إبراهيم، ويصلي ويسجد؟ فقال النبي (ﷺ): يبعث ذاك أمة وحده، يحشر بيني وبين عيسى ابن مريم (عليه السلام).

وقال رسول الله (ﷺ) عن ورقة بن نوفل: رأيته يمشي في بطنان الجنة، عليه سندس.

وسئل رسول الله (ﷺ): عن خديجة (رضي الله عنها) فقال: رأيتها على نهر من أنهار الجنة في بيت من قصب، لا لغو فيها ولا نصب.

وسمعت أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها) زيد بن عمر بن نفيل في الجاهلية وهو مسند ظهره إلى الكعبة ويقول: يا معشر قريش، والله الذي لا إله إلا هو، ما أصبح اليوم أحد على ظهر الأرض على دين إبراهيم (عليه السلام) غيري.

وذهب زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل إلى الشام يلتمسان دينًا فرفضا

اليهودية والنصرانية، فأتيا راهبًا فسألاه فقال: إن هذا الدين الذي تطلبان لم يجئ بعد -وهذا زمانه- وإن هذا الدين يخرج من قبل تيماء وكان زيد يلقى بلالًا وهو يعذب فيقول: يا بني أحد أحد، فوالذي نفسي بيده لئن قتلوك لا يخزيك ذلك، ومات زيد، فذكر للنبي (ﷺ) فقال: يبعث يوم القيامة أمة وحده، بيني وبين عيسى (عليه السلام).

وسأل سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال: يا رسول الله كان كما رأيت، وكان كما بلغك، ولو أدركك آمن بك، فاستغفر له؟ قال: نعم، أستغفر له، فإنه يجيء يوم القيامة أمة واحدة.

وحرم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل كل شيء حرمه الله من الدم والذبيحة على النصب وكل شيء من أبواب الظلم في الجاهلية وأخبر بذلك رسول الله (ﷺ) فقال: أتاني -أي زيد- وأنا أرعى ومعي لحم مطبوخ فدعوته إليه وأقسمت عليه فقال: يا ابن أخي لو سألت عماتك لأخبرنك أني لا آكل من اللحم ما ذبح لغير الله.

باب ماجاء في فضل هذه الأمة على سائر الأمم

وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)

كان لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) جارية يقال لها: زائدة وكانت كثيرًا ما تأتي رسول الله (ﷺ) فأتته ذات يوم بكرة، فقالت: يا رسول الله (ﷺ) أستأنس؟ قال: استأنسي يا زائدة، إنك لموفقة، فقالت: بأبي أنت وأمي، عجنت عجينًا لأهلي، فخرجت من وراء دار آل شيبة احتطب حطبًا، فلما شددت رزمتين سمعت وقع فارس لم أر في ذلك المكان قبل ذلك اليوم، فالتفت فإذا أنا بفارس لم أر فارسًا أحسن منه مركبًا، ولا أحسن ثوبًا، ولا أطيب منه ريحًا فقال: كيف أنت يا زائدة، وكيف محمد (ﷺ)؟ قلت: بخير، يحمد الله،

وينذر بأيام الله، فقال: إذا أتيت محمدًا فأقرئيه السلام، وقولي له: إن رضوان خازن الجنان يقرئك السلام ويقول لك: يامحمد ما فرح أحد بمبعثك كما فرحت أنا، وإن الله تعالى قسم الجنة ثلاثة أثلاث: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا، وثلث تشفع فيهم فتشفَّع.

قالت: ثم مضى، فذهبت لأحمل حطبي فثقل عليّ وارتعدت، فرأى تعبي، فالتفت فنظر إليّ فقال: يا زائدة أثقل عليك حطبك؟ قلت: نعم بأبي أنت وأمي، فأخذ قضيبًا أخضر كان في يده، فغمر الحطب فإذا هو بصخرة ناتئة: فقال: أيتها الصخرة أقبلي، فأقبلت فقال لها: احملي هذا الحطب مع زائدة إلى باب عمر بن الخطاب، قالت: والله يا رسول الله لو رأيتها تدكدك بين يدي حتى أتت باب عمر (رضي الله عنه) فألقت الحطب ثم رجعت.

قالت: فخرّ رسول الله (ﷺ) ساجدًا وهو يبكي ويقول: الحمد لله الذي لم يخرج نفسي من الدنيا حتى بشرني رضوان خازن الجنة بالخير لأمتي، ثم قال (ﷺ) لأصحابه: قوموا بنا نأت عمر بن الخطاب فننظر إلى آثار الصخرة، إلى ذهابها ومجيئها.

باب ما جاء في ذكر الألوية وصفة لواء الحمد ،

وقوله عزت قدرته ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ﴾ (البقرة: ٢٤٧)

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن رسول الله (ﷺ) قال: أنا سيد الناس يوم القيامة والذي نفس محمد بيده ولا فخر، وأول من يدخل الجنة ولا فخر، وأنا والذي نفس أبي القاسم بيده صاحب الشفاعة يوم القيامة ولا فخر، وأنا والذي نفس أبي القاسم بيده أول من يستفتح الجنة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.

قال ابن عباس: فأول من يعقد له محمد (ﷺ) النبي الأمي العربي، خاتم

كل نبي، فينادي المنادي من عند العرش -عرش الرحمن رب العالمين-: أين النبي العربي، القرشي، الأمي، التهامي، الحرمي المكي: محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين؟ وقال: فيقول النبي (ﷺ) وعقد له لواء الحمد، فيُؤخذ بيده وآدم (عليه السلام) وجميع ذريته من النبيين والمرسلين وجميع المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين تحت لواء النبي (ﷺ) يتبوأ من الجنة حيث شاء، وهو أول النبيين والمرسلين دخولاً إلى الجنة، وأمته أول الأمم جميعًا دخولاً إلى الجنة، فإذا نودي محمد (ﷺ) رفع إليه لواء الحمد، وأبيح له الجنان كلها يتبوأ منها حيث يشاء، ومعه فيها أزواجه من نساء الجنة سوى ما يزوج من الحور العين في الآخرة، ومعه ذريته الذين كانوا في دار الدنيا، وقد وقف جميع أهل الجنة في مجمع واحد، فعقد لواء الحمد، ونادى المنادي: أين السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان؟ فيعرف أوائل هذه الأمة الذي أقاموا مع نبيهم (ﷺ) بالنصيحة والجد والاجتهاد صفتهم، فيقولون: لبيك داعي ربنا، لم دعوتنا؟ فيقول: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠) قال: فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم التي أعدت لهم في الجنة وبقيت عصابة أخرى من المهاجرين والأنصار، لم يكونوا في السابقين في المغازي والحروب، يمدون أعينهم إلى المنادي، فعقد لواء آخر ثم ينادي المنادي: أين الذين كانوا مع محمد (ﷺ) وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، والذين آووا ونصروا؟ فيعرف القوم صفتهم، فقاموا فقالوا: لبيك داعي ربنا، لم دعوتنا؟ فيقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: ٤) يعني الجنة، قال: فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم التي أعدت لهم.

قال: وقد كان لله عباد في دار الدنيا من الصديقين، نزهوا أنفسهم

وأسماعهم وأبصارهم وجوارحهم عن الذنوب والخطايا صبرًا لله وإيمانًا به، حتى استوجبوا ولاية الله ومحبته، يكابدون الغموم، ويحتسون المرار صبرًا لله (عَزَّوَجَلَّ) حتى ماتوا على ذلك، فإذا كان يوم القيامة عقد لهم لواء، ونادى المنادي: أين أولياء الله؟ ووصفهم فقاموا وقالوا: لبيك داعي ربنا، لم دعوتنا؟ فيقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٦٢، ٦٣) يعني المعاصي والشبهات حتى ماتوا على ذلك: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ (يونس: ٦٤) عند ربهم بالفوز والأمان، وفي الآخرة بالنجاة والرضوان ودار الخلود في جوار الرحمن ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (يونس: ٦٤) قال: فيتبع القوم لواءهم، وذلك على رأس ثلاث وستين من سورة يونس.

ثم يعقد لواء للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ويناديهم المنادي فيسألون عن سبب الدعوة فيجيبهم أن الله تعالى يقول: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ (التوبة: ٧١) إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٧٢) وذلك على رأس إحدى وسبعين من سورة براءة وسورة براءة هي سورة التوبة.

ثم يعقد لواء آخر للشهداء، وينادي المنادي: أين الذين باعوا أنفسهم لله؟ وهم الذين قتلوا في سبيل الله برًا وبحرًا ويتساءلون عن سبب دعوتهم، فيتقدمون حتى يتعلقوا بقوائم العرش وينادي المنادي على الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم؟ ويبين أنهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ (التوبة: ١١١) ويعرف القوم صفتهم ويسألون عن سبب الدعوة فيقول إن ربكم يقول: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

(التوبة: ١١١). قال: فيتبع القوم لواءهم.

ثم يعقد لواء آخر للمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وينادون فيسألون عن السبب فيقول: إن ربكم يقول: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٥)، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة.

ثم يعقد لواء آخر لمن جاهد في سبيل الله من التابعين بعد النبي فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة.

وقد كان بعض من آمن بالنبي (ﷺ) في غير المدينة، فسمع به فخرج إليه، فمنهم من مات دونه، فأحبوا أن يعلموا منزلتهم فأنزل الله: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ (النساء: ١٠٠) ويعقد لهم لواء يوم القيامة ويسألون عن السبب فيقال إن الله (عز وجل) يقول: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (النساء: ١٠٠). وجنة عرضها السموات والأرض، ويناديهم المنادي، فيعرفون صفتهم فيلبون ويسألون فيقول إن الله تعالى يقول: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٦)، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة، على مئة وست وثلاثين آية من سورة آل عمران.

وقد ظن الأغنياء أن لهم فضلاً في الآخرة على الفقراء، فيعقد لواء لفقراء أمة محمد (ﷺ) خاصة، ويناديهم المنادي فيعرفون صفتهم فيلبون ويسألون عن سبب الدعوة، فيقول: إن الله تعالى يقول لفقراء أمة محمد (ﷺ) خاصة ولمن تقدمهم من الفقراء المتقين: ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٨)، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة وذلك خاتمة آل عمران.

باب فضل بعض سور القرآن

فصل: ومن سورة النساء

ثم يعقد لواء للمجتنبين الذين قاربوا وسددوا وكانوا يجتنبون كبائر ما ينهون عنه، فيعرفون صفتهم ويسألون عن سبب الدعوة فيقول: إن ربكم يقول ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١)، الجنة، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة على ثلاثين آية من النساء، ثم يعقد لواء آخر حين ينادى المنادي عمن عمل مثقال ذرة، فيعرف القوم صفتهم فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٠) فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة وذلك خاتمة الأربعين من سورة النساء.

ويعقد لواء لمن أطاع الله والرسول (ﷺ) من ضعفاء المؤمنين الذين قالوا للنبي (ﷺ): إنك تكون في الدرجات العلى مع النبيين حين لا يراك أحد فأنزل تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩) ويعقد لواء لمن يمسكون عما لا يعنيهم من الكلام فيدعون ويأتون ويسألون عن سبب الدعوة فيقال: إن ربكم يقول: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤)، يعني الجنة فيتبع القوم لواءهم، حتى يدخلوا منازلهم في الجنة، وذلك على مئة وأربع عشرة آية سورة النساء.

ويعقد لواء للذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدعون فيعرفعون صفتهم ويسألون عن سبب دعوتهم فيقال: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ (النساء: ٥٧)، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة.

ويعقد لواء لحبيب النجار من أنطاكية في قوله: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ

﴿رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (يس: ٢٠)، إلى قوله تعالى ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ (يس: ٢٥) فيعرف صفته ويتبع لواءه حتى يدخل منازله في الجنة.

وهناك قوم شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ثم ماتوا أو قتلوا من يومهم، ولم يصلوا، ولم يصوموا يومًا واحدًا، وأحبوا أن يعلموا ما منزلتهم فأنزل الله ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ (يونس: ٢٦): وجدوا ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (يونس: ٢٦)، يقول: الجنة، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم التي أعدت لهم في الجنة.

فصل: ومن سورة البقرة

ويعقد للواء للمتقين وهم الذين في أول سورة البقرة ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: ٣، ٤).

ثم يعقد لواء للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة.

وكذب الله أحبار اليهود والنصارى إذ قالوا لأهل مكة: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى فقال (عز وجل): ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١١، ١١٢)، فينادي من أسلم وجهه لله فيدخلون منازلهم في الجنة، ثم يعقد لواء آخر لمن كان يصنع المعروف في ماله بعد الزكاة المفروضة، الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًا وعلانية.

فصل: ومن سورة آل عمران

ثم يعقد لواء للقوم للذين أسلموا ثم ماتوا أو قتلوا قبل العمل على عهد النبي (ﷺ) وبعد وفاته، وينادي المنادي: أين الذين اتقوا الشرك وأخلصوا؟ فيعرفون صفتهم ويجيبون ويسألون عن سبب دعوتهم فيقال: إن الله (عز وجل) يقول: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ (آل عمران: ١٥)، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة وذلك على خمس عشرة من سورة آل عمران ولمن ابيضت وجوههم لواء حتى يدخلوا منازلهم في الجنة وذلك على مئة وست آيات من سورة آل عمران، ثم يعقد لواء آخر للمسارعين إلى مغفرة من ربهم الأنهار خالدين فيها أبدًا ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ (النساء: ١٢٢)، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة، وذلك على (ثنتين وعشرين ومئة من سورة النساء).

ويعقد لواء لمن أناب وأصلح وينادي المنادي: أين الذين تابوا من النفاق قبل موتهم وأخلصوا دينهم لله؟ فيعرفون صفتهم، فيلبون ويسألون، فيقال: إن ربكم يقول: ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عظَيمًا﴾ (النساء: ١٤٦)، يعني الجنة، فيتبع القوم لواءهم حتى ينزلوا منازلهم من الجنة وذلك على مئة وست وأربعين من سورة النساء.

ثم يعقد لواء آخر للذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين الله ورسوله؟ فيدعون ويسألون عن سبب دعوتهم، قال: إن ربكم يقول: ﴿سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ﴾ (النساء: ١٥٢)، يعني الجنة، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ (النساء: ١٥٢)، فيتبع القوم لواءهم حتى ينزلوا منازلهم في الجنة، وذلك على اثنتين وخمسين ومئة من سورة النساء.

ثم يعقد لواء آخر للذين آمنوا بعد ما بعث محمد (ﷺ)؟ ويصفهم بأنهم الذين قال الله لمحمد ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ (النساء: ١٦٢)، فيعرف القوم صفتهم ويسألون فيقال: إن ربكم يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١٦٢)، يعني الجنة، فيتبع القوم لواءهم حتى ينزلوا منازلهم التي أعدت لهم في الجنة، وذلك على اثنتين وستين ومئة من سورة النساء.

فصل: ومن سورة المائدة

إذا كان يوم القيامة عقد لواء، ونادى المنادي: أين الذين أمنوا من الشرك وعملوا الصالحات في الإسلام؟ فيعرف القوم صفتهم فيلبون ويسألون فيقال: إن ربكم يقول: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٩)، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

فصل: ومن سورة الأعراف

ثم عقد لواء آخر ونادى المنادي: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف: ٤٩) فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة وذلك على رأس تسع وأربعين آية من سورة الأعراف.

فصل: ومن سورة الأنفال

قال ابن عباس: ثم عقد لواء ونادى المنادي: أين المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون؟ فيعرف القوم صفتهم فيلبون ويسألون عن سبب الدعوة فيقول: إن ربكم يقول

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٤) يعني: الجنة، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

ويعقد لواء للمهاجرين الذين جاهدوا مع النبي (ﷺ) فأنزل الله (عَزَّوَجَلَّ) في الخاتمة من الأنفال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (الأنفال: ٧٤)، فيتبعون لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

فصل: ومن سورة براءة

ثم يعقد لواء للمؤمنين بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، وينادون بصفتهم فيلبون ويسألون عن سبب دعوتهم، فيقال: ﴿ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ (التوبة: ٧٢)، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

ويعقد لواء آخر للرسول (ﷺ) والذين آمنوا معه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وينادون بصفتهم، فيلبون ويسألون عن سبب دعوتهم؟ فيقال: إن ربكم يقول: ﴿ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ (التوبة: ٨٨، ٨٩).

فصل: ومن سورة يونس

ثم عقد لواء آخر لقوم مسهم سفح من النار من أهل الإسلام، فيخرجون وقد تحيرت أفئدتهم فلم يدروا إلى أين يؤخذون وكانوا مؤمنين فينادي المنادي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (يونس: ٩)، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

فصل: ومن سورة الرعد

ثم يعقد لواء لأولي الألباب فينادون: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ (الرعد: ٢٠)، إلى قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ (الرعد: ٢٢) فيعرفون صفتهم فيلبون ويسألون عن سبب دعوتهم؟ قال: إن ربكم يقول: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ (الرعد: ٢٢، ٢٣) فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم التي أعدت لهم في الجنة وينادي: عباد لم يكفروا بالله طرفة عين وهم المتقون فينادون ويجيبون ويسألون عن سبب دعوتهم قال: إن الله (عَزَّوَجَلَّ) يقول: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ﴾ (الرعد: ٣٥) فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم التي أعدت لهم.

فصل: ومن سورة إبراهيم

قال ابن عباس: ينادي المنادي: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (إبراهيم: ٢٢)، يعني: المشركين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم: ٢٢)، فسقطوا في النار.

قال: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ (إبراهيم: ٢٣)، وعقد لهم لواء، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم التي أعدت لهم في الجنة.

فصل: ومن سورة الحجر

ويمحو الله الضغائن والتبعات والدعاوي من قلوب المؤمنين لما أمر بهم إلى الجنة ويعقد لهم لواء ونادى المنادي ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ (الحجر: ٤٥، ٤٦) إلى قوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر: ٤٨) حتى يدخلوا منازلهم من الجنة، وذلك على ثمان وأربعين من الحجر.

فصل: ومن سورة النحل

ثم يعقد لواء آخر للذين أحسنوا في الدنيا من المؤمنين ونشأوا على الإيمان

والتقوى؟ وبعد النداء، يلبون ويسألون عن السبب، فيقال: إن الله تعالى يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ (النحل: ٣٠) يقول: اتقوا الشرك ﴿حَسَنَةٌ﴾ (النحل: ٣٠)، يقول: براءة من النار ﴿وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (النحل: ٣٠، ٣١) فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة، وذلك على رأس إحدى وثلاثين آية من النحل.

فصل: ومن سورة الكهف

ويعقد لواء لصانعي المعروف إلى الناس ولا يريدون ثناء وينادى عليهم فيلبون ويسألون عن سبب الدعوة، فيقال: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ (الكهف: ٣٠، ٣١) إلى قوله عز ذكره ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: ٣١)، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة.

فصل: ومن سورة مريم

ويعقد لواء للتوابين الذين تابوا وآمنوا وعملوا صالحًا، وينادى عليهم فيلبون ويسألون عن سبب الدعوة، فيقال: إن ربكم يقول: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ (مريم: ٦٠) فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة، وذلك على ستين آية من سورة مريم.

قال ابن عباس: ولما ورد الناس جميعًا نار جهنم، وكان ذلك قسمًا من ربنا (عَزَّ وَجَلَّ) حتمًا مقضيًا، خلد فيه أهل الشرك -وهم ظالمون- وأما من اتقى وأقام الصلاة، فبقدر أعمالهم فيخرجون منها وقد احترق بعضهم فينضجون بماء الحياة حتى تنبت أجسادهم، وتستوي خلقتهم، وينادون: إن الله (عَزَّ وَجَلَّ) يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم: ٧٢) فيعقد لهم لواء،

فيتبع القوم لواءهم وذلك عن خاتمة الثانية والسبعين من سورة مريم.

قال ابن عباس: ولما صدر الناس من مواطن المحاسبة، قربت نجائب من در وياقوت وزمرد، عليها رجال من الحرير الأملس، وعليها رحال مقدمه دور ومؤخرة ياقوت، وحافتاه ذهب وفضة، مكللة بالجوهر، تقرب من المؤمنين فيركبونها مذللة من غير رياضة، فيسيرون وفدًا جميعًا، ويعقد لهم لواء فيتبعونه حتى يدخلوا منازلهم في الجنة، وذلك على خمس وثمانين آية من سورة مريم ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ (مريم: ٨٥).

فصل: ومن سورة طه:

ثم يعقد لواء لمن أتى ربه مخلصًا قد عمل الصالحات بصدق النية ومحض اليقين، فيدعون ويلبون ويسألون عن السبب؟ فيقال: إن الله تعالى يقول: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ (طه: ٧٥- ٧٦)، فيتبعون لواءهم حتى يدخلوا الجنة وذلك على ست وسبعين آية من سورة طه.

قال ابن عباس: وبعد مناقشة أهل الكبائر الحساب، ينادى على أهل الأعراف الذين خافوا أن يهلكوا، إن الله (عَزَّوَجَلَّ) يقول: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه: ١١٢) فيعقد لهم لواء ونودوا بعد ذلك: ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، وذلك على مئة واثنتى عشرة آية من سورة طه.

فصل: ومن سورة الحج

وينادى يوم القيامة: أين الذين أدَّوا الفرائض فلم يزيدوا عليها، واجتنبوا المحارم؟ فيعرفون صفتهم ويلبون ويسألون؟ فيقال: إن الله (عَزَّوَجَلَّ) قال: ﴿ إِنَّ

﴿ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (الحج: ٢٣) إلى قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ (الحج: ٢٤) فيعقد لهم لواء فيتبعونه حتى يدخلوا منازلهم في الجنة.

فصل: ومن سورة المؤمنون

قال ابن عباس: ثم عقد لواء للمفلحين وينادى عليهم وبينهم: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ (المؤمنون: ٢، ٣) إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠، ١١) فيعرفون صفتهم ويتبعون لواءهم حتى يدخلوا منازلهم التي أعدت لهم في الجنة.

فصل: ومن سورة النور

ويعقد لواء للمسبحين وينادى عليهم قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ﴾ (النور ٣٦- ٣٧)، فيعرفون صفتهم ويلبون ويسألون؟ فيقال: إن الله (عَزَّوَجَلَّ) يقول ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ﴾ (النور: ٣٨) فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

فصل: ومن سورة الفرقان

أنكر نفر من اليهود والنصارى على المسلمين الأجر والثواب فليس هناك بعث أو نشور ولا جزاء ولا عقاب، فقال سبحانه: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ (الفرقان: ١١) إلى قوله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ﴾ (الفرقان: ١٣)، ثم قال سبحانه: ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا﴾ (الفرقان: ١٥)، إلى قوله

تعالى: ﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾ (الفرقان: ١٦)، فيعقد لهم لواء فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة قال: فلا ينتصف النهار من ذلك اليوم حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، ثم قرأ: ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ (الفرقان: ٢٤).

ثم يعقد لواء وينادي المنادي أين: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ (الفرقان: ٦٣)، فيعرف القوم صفتهم فيلبون ويسألون عن سبب الدعوة، فيقال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ (الفرقان: ٧٥) يعني بالغرفة، جنات عدن، وهي جنات فوق جنان. فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

فصل: ومن سورة القصص

ثم يعقد لواء، وينادي المنادي: أين الذين آتيناهم الكتاب من قبل أن ينزل القرآن على محمد (ﷺ)؟ فيعرفون صفتهم، ويتبعون لواءهم، وقيل: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ (القصص: ٥٤) فأدخلوا الجنة وينادي المنادي يوم القيامة: أين الذين كانوا لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص: ٨٣).

وذلك على رأس ثلاث وثمانين آية من القصص.

فصل: ومن سورة العنكبوت

قال ابن عباس: ويعقد لواء للصابرين وينادى عليهم ويتبعون لواءهم حتى يدخلوا منازلهم.

فصل: ومن سورة السجدة

ثم عقد لواء آخر للذين تتجافى جنوبهم من المضاجع وينادي عليهم، فيعرف

القوم صفتهم، فيلبون ويسألون؟ فيقال: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة: ١٧) فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة.

فصل: ومن سورة الأحزاب

ويعقد لواء لمن أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا وينادى عليهم ويتم تحديدهم ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥) إلى قوله (عَزَّوَجَلَّ) ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٣٥)، يعني: الجنة، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة ثم يعقد لواء للذين يذكرون الله ذكرًا كثيرًا ويسبحونه بكرة وأصيلًا وينادون فيعرفون صفتهم ويلبون ويسألون فيقال: إن الله تعالى يقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٣) إلى قوله: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٤)، يعني الجنة، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

فصل: ومن سورة فاطر

ثم يعقد لواء آخر للذين كانوا يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية يرجون تجارة لن تبور فينادى عليهم، فيلبون ويسألون عن سبب دعوتهم فيقال: إن الله تعالى يقول: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٣٠). فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة.

ويعقد لواء آخر لمن اصطفاهم الله من عباده ويبين المنادي ويقول: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ

عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ (فاطر: ٣٢، ٣٣)، إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ (فاطر: ٣٥)، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

فصل: ومن سورة الصافات

ويعقد لواء آخر، فينادي المنادي: أين عباد الله المخلصون الذين قاموا لله أيام حياتهم بالجد واليقين؟ فيعرف القوم صفتهم، فيلبون ويقولون: لم دعوتنا؟ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴾ (الصافات: ٤١، ٤٢) فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

قال ابن عباس: ويعقد لواء آخر لصاحب القرين، المؤمن الذي كان يعمل بطاعة الله (عَزَّوَجَلَّ) حتى مات وصار إلى الجنة، وكان له أخ يعمل بمعاصي الله حتى مات وصار إلى النار، فيعرف صفته، ويسأل عن سبب الدعوة فيقال: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (الكهف: ٣٠، ٣١) إلى قوله تعالى: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: ٣١) فيتبع لواءه حتى يدخل منازله التي أعد الله له في الجنة.

فصل: ومن سورة ص

قال: ثم عقد لواء أصحاب النبي (ﷺ) خاصة فيناديهم المنادي يوم القيامة بصفة أعمالهم فيلبون ويسألون عن سبب دعوتهم؟ فيقال: إن الله (عَزَّوَجَلَّ) يقول ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ (ص: ٥٠، ٥١) إلى قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ (ص: ٥٤) فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

فصل: ومن سورة الزمر

قال ابن عباس: وينادي المنادي يوم القيامة عن المبتعدين عن معاصي الشهوات

خوفًا من عقوبته، فيعرفون صفتهم، فيلبون، ويسألون، فيقال: إن الله (عَزَّوَجَلَّ) يقول: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ (الزمر: ٢٠) فيتبعون لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

ثم يعقد لواء آخر للمؤمنين الذين أصابوا الذنوب والخطايا ثم اتقوا وتابوا منها قبل موتهم، وينادي المنادي: إن الله (عَزَّوَجَلَّ) قد عفا عن ذنوبكم وتجاوز لكم عنها، وعقد لهم لواء، ثم سبقوا إلى الله فلذلك قوله سبحانه: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (الزمر: ٧٣)، إلى قوله: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣) فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

فصل: ومن سورة المؤمن

ويعقد لواء للنساء المؤمنات اللاتي رأين الرجال يساقون إلى الجنان ويسألون: أين ثواب أعمالنا؟ فيعقد لهم لواء وينادي المنادي: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (غافر: ٤٠)، فيتبعن لواءهن مع صالح المؤمنين حتى منازلهم في الجنة، ويزوجن أزواجهن إن كانوا في الجنة وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الطور: ٢١).

وإن كان الآباء أرفع درجة رفع إليهم الأبناء، وإن كان الأبناء أرفع درجة رفع الآباء إليهم وذلك قوله (عَزَّوَجَلَّ): ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ (النساء: ١١)، يقول ابن عباس: أيهم يشفع في الآخر.

فصل: ومن سورة الزخرف

ثم يعقد لواء للأخلاء الذين تحابوا في الله على غير مال تعاطوه، ولا نسب قريب تواصلوا به، فيناديهم المنادي، فيلبون، ويسألون عن سبب دعوتهم، فيقال:

﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ (الزخرف: ٦٧، ٦٨) إلى قوله تعالى: ﴿مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾ (الزخرف: ٧٣) فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة.

فصل: ومن سورة الدخان

قال ابن عباس: وإن المؤمنين لما صدروا من موقف الحساب تلقتهم الملائكة بحلل الجنة -من طرائف حللها وحليها- ويعقد لواء، ثم ينادي المنادي: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (الدخان: ٥١، ٥٢) إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (الدخان: ٥٧).

فصل: ومن سورة ق

ويعقد لواء لكل أواب حفيظ وينادي المنادي وقيل أي الأوابين تريد؟ قال: ﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ﴾ (ق: ٣٣، ٣٤) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٌ﴾ (ق: ٣٥) فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم التي أعدت لهم في الجنة.

فصل: ومن سورة الطور

يعقد لواء لأهل الدعاء والتفقه من المتقين، فينادي المنادي بصفة أعمالهم فيلبون ويسألون عن سبب دعوتهم، فيقول: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ (الطور: ١٧، ١٨) إلى قوله سبحانه: ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ (الطور: ٢٠) قال: فاتبعوا لواءهم حتى يدخلوا منازلهم التي أعدت لهم في الجنة.

فصل: ومن سورة الرحمن

قال ابن عباس: وينادي المنادي: أين من عرضت لهم المعاصي فتنكبوا عنها مخافة من الله (عَزَّوَجَلَّ)؟ قال: فعرف القوم صفتهم فيلبون ويسألون عن سبب

دعوتهم، فيقول إن الله (عَزَّوَجَلَّ) يقول: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن: ٤٦) فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم من الجنة.

فصل: ومن سورة الواقعة

ويعقد لواء وينادي المنادي: أين السابقون من الأمم السابقة إلى أنبيائهم وسابقوا أمة محمد (ﷺ)؟ فيعرف القوم صفتهم، فيلبون ويسألون عن سبب دعوتهم؟ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ (الواقعة: ١١، ١٢) إلى قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ (الواقعة: ١٥) أي: منسوجة بقضبان الدر والياقوت، فيتبع القوم لواءهم حتى منازلهم في الجنة.

ثم يعقد لواء آخر لأصحاب اليمين وهم الصديقون والأطفال من أولاد المؤمنين ويناديهم المنادي فيلبون ويسألون عن سبب الدعوة؟ قال: إن الله (عَزَّوَجَلَّ) يقول: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ (الواقعة: ٢٧، ٢٨) وهو شجر النبق الذي لا شوك فيه.

فيتبع القوم لواءهم حتى ينزلوا منازلهم التي أعدت لهم في الجنة.

فصل: ومن سورة الحديد

قال ابن عباس: ويعقد لواء آخر لأصحاب الصدقة، وينادي المنادي، أين المصدقون والمصدقات، والذين أقرضوا الله قرضًا حسنًا؟ فيعرف القوم صفتهم فيلبون ويسألون عن سبب الدعوة؟ قال: إن الله تعالى يقول: ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: ١٨)، يعني الجنة.

فصل: ومن سورة المجادلة

قال ابن عباس: ويعقد لواء لعباد حاربوا الآباء والأمهات في الله (عَزَّوَجَلَّ) فينادي المنادي بصفة أعمالهم، فيلبون ويسألون عن سبب دعوتهم، قال: إن الله

(عَزَّوَجَلَّ) يقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ (المجادلة: ٢٢) إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (المجادلة: ٢٢) إلى آخر السورة، قال: فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

فصل: ومن سورة التغابن

قال ابن عباس: وينادي المنادي على من أسلم من اليهود والنصارى وسائر الأديان ويسألون عن ذنوبهم قبل الإسلام فيلبون ويسألون عن سبب دعوتهم فيقول: إن الله تعالى قال: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ (التغابن: ٩)، التي كانت في الشرك ﴿وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التغابن: ٩)، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

فصل: ومن سورة الطلاق

قال: ثم عقد لواء آخر ونادى المنادي: أين أولو الألباب؟ إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ (الطلاق: ١١)، قال: فيتبع القوم لواءهم.

فصل: ومن سورة التحريم:

قال ابن عباس: ويعقد لواء للذين تابوا إلى الله توبة نصوحًا فيعرف القوم صفتهم، قال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ (التحريم: ٨)، وعسى من واجب الله ﴿أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (التحريم: ٨)، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم التي أعدت لهم في الجنة.

فصل: ومن سورة الملك

قال: ويعقد لواء للذين يخشون ربهم بالغيب بصدق النية وخالص اليقين،

فيعرف القوم صفتهم فيلبون فيقال: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الملك: ١٢)، يعني الجنة، قال: فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

فصل: ومن سورة القلم

ويعقد لواء للمؤمنين الذين يسجدون لله (عَزَّوَجَلَّ) لما عاينوا من نور العرش، وبقي المنافقون كأن في ظهورهم سفافيد من الحديد فلا يستطيعون السجود، وكانوا يدعون إلى ذلك في دار الدنيا فيأبون فقيل ﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ (يس: ٥٩)، فوردوا جهنم، فاتبع القوم لواءهم حتى نزلوا منازلهم التي أعدت لهم في الجنة.

فصل: ومن سورة الحاقة

قال ابن عباس: إذا كان يوم القيامة تطايرت الكتب في الأيمان والشمائل، أما المؤمنون فيأخذون كتبهم بأيمانهم وابيضت وجوههم، وأشرقت ألوانهم، وفرحت قلوبهم فيقول أحدهم: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ (الحاقة: ١٩، ٢٠)، فينادي المنادي: أين من أوتي كتابه بيمينه؟ فيقول: لبيك داعي ربنا، لم دعوتنا؟ قال: إن الله تعالى يقول: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٢١، ٢٢)، إلى قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ (الحاقة: ٢٤)، فعقد لهم لواء فيتبع القوم لواءهم، حتى يدخلوا الجنة.

فصل: ومن سورة المعارج

ثم عقد لواء آخر للمصلين: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ (المعارج: ٢٣)، إلى قوله تعالى: ﴿يُحَافِظُونَ﴾ (المعارج: ٣٤) فيعرف القوم صفتهم فيلبون، قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (المعارج: ٣٥)، قال: فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا منازلهم في الجنة.

فصل: ومن سورة الإنسان

ثم يعقد لواء لمن يخافون الله في السر والعلن ويعبدون الله في كل الأوقات وينادي المنادي: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (الإنسان: ٥)، إلى قوله تعالى ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (الإنسان: ٦)، فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

ثم يعقد لواء للموفين والخائفين، قال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ (الإنسان: ٧)، فيعرف القوم صفتهم، ويلبون، قال: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ (الإنسان: ١١)، إلى قوله تعالى: ﴿مَّنثُورًا﴾ (الإنسان: ١٩)، وذلك الخدم بالنظافة كاللؤلؤ المنثور، قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ (الإنسان: ٢٢)، قال: فيتبع القوم لواءهم حتى يدخلوا الجنة.

فصل: ومن سورة النازعات

ثم يعقد لواء لمن خاف مقام ربه وينادي المنادي، فيلبون ويسألون عن سبب دعوتهم فيقول: إن الله تعالى يقول: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات: ٤١)، فيتبع القوم لواءهم، حتى ينزلوا منازلهم من الجنة.

فصل: ومن سورة المطففين

وينادي المنادي يوم القيامة أين الأبرار الذين كتبهم في عليين، فيعرف القوم صفتهم فيقولون: لبيك داعي ربنا، لم دعوتنا؟ قال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ (المطففين: ١٩)، إلى قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ (المطففين: ٢٣)، فيتبع القوم لواءهم حتى ينزلوا منازلهم التي أعدت لهم في الجنة.

فصل: ومن سورة البينة

قال ابن عباس: ثم يعقد لواء لخير البرية، فيدعون، فيلبون، ويسألون عن

السبب، فيقال: إن الله تعالى يقول: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ (البينة: ٨)، إلى آخر السورة، فيعرف القوم صفتهم فيتبعون لواءهم حتى ينزلوا منازلهم التي أعدت لهم في الجنة، قال ابن عباس: فذلك تسعون زمرة، وحبيب أنطاكية، وصاحب القرين المؤمن من غير التسعين: فإذا دخلوا الجنة وسكنوها اقتسموا المنازل والدرجات على قدر أعمالهم، ألا تسمع قول الله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٢١).

باب ما جاء في الشفاعة

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ﷺ) إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض، قال: فيؤتى آدم (عليه السلام) فيقال: يا آدم اشفع في ذريتك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم (عليه السلام)، فإنه خليل الله، فيؤتى إبراهيم (عليه السلام)، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى (عليه السلام) فإنه كليم الله، فيؤتى موسى (عليه السلام) فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى، فإنه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى (عليه السلام) فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد (ﷺ) فيؤتى فيقول: أنا لها، فأنطلق، فاستأذن على ربي تبارك وتعالى فيؤذن لي عليه، فأقوم بين يديه، ويلهمني المحامد -لا أقدر عليه الآن- فأحمده بتلك المحامد، ثم آخر ساجدًا فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، قال: فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه ذرة أو مثقال شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق، ثم أعود وأحمده بتلك المحامد، وأخر ساجدًا، قال: فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجه من النار -ثلاث مرات- فأنطلق فأفعل وزاد الحسن -وهو

مستخف بمنزل أبي خليفة- ثم قال رسول الله (ﷺ): فأقوم الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر ساجدًا، قال، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، قال: فأرفع رأسى فأقول: أي رب إيذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقال: ليس ذلك لك، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبيًا ما صدقه من أمته إلا رجل واحد.

وعنه (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): أنا أول من يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا، وأنا أول من يقرع باب الجنة.

وعنه (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ) آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد (ﷺ) فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك.

وقال (ﷺ): لكل نبي دعوة يدعو بها، وأنا أريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة.

يتعلق العبد المذنب من هذه الأمة يوم القيامة بنبينا (ﷺ) فيقول: يا نبي الله (ﷺ) أنقذني من عذاب الله (عز وجل) فيقول (ﷺ): بلغتك سنتي، وعرفت شريعتي ثم عصيت! فما عذرك؟ فيقول: يا نبي الله غلبت علي شقوتي، فيقول رسول الله (ﷺ): لا شقوة على أحد من أمتي، اللهم هبه لي، قال: فيهبه الله تعالى له.



المحتويات